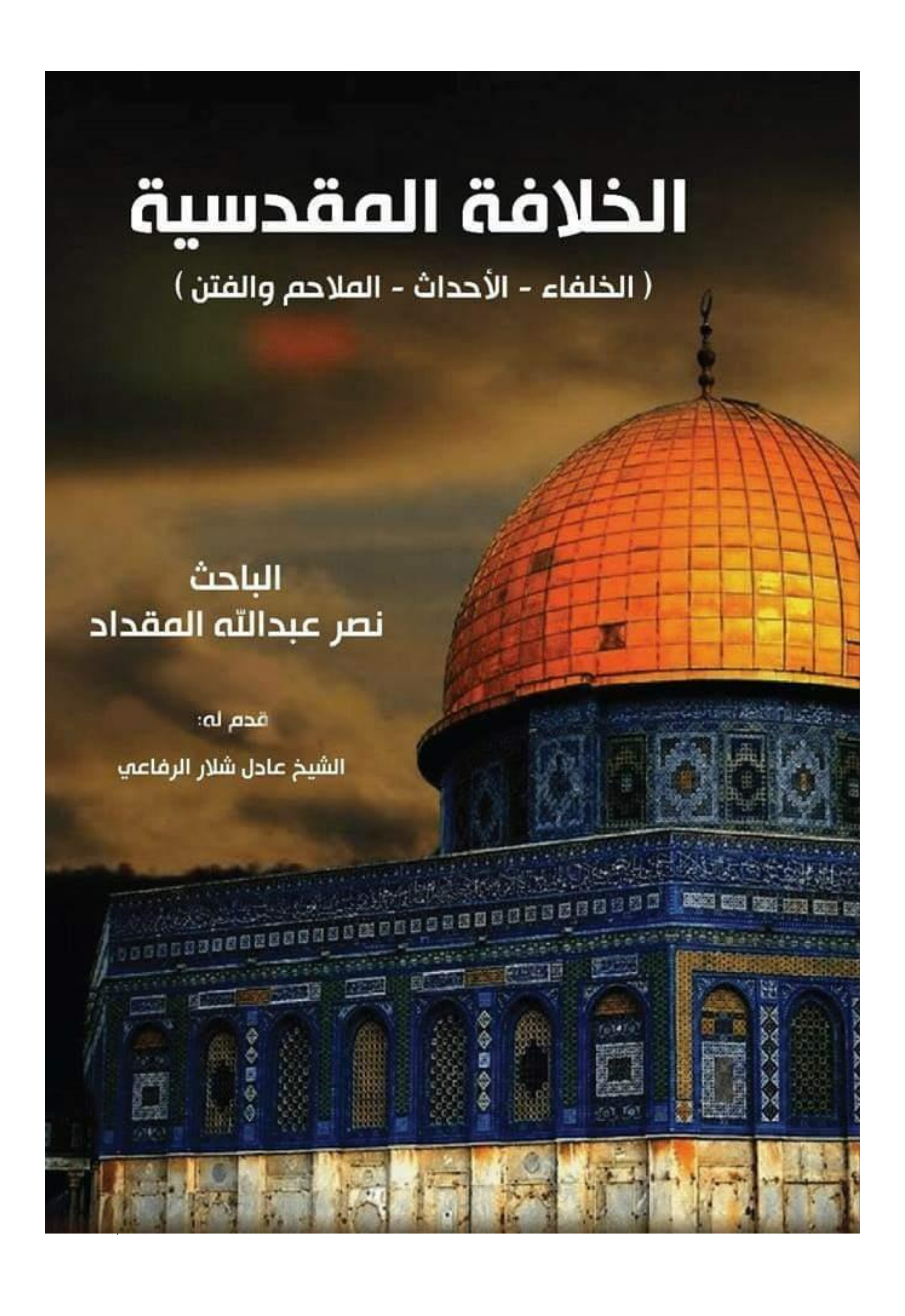

الخلافة المقدسية
(الخلفاء - الأحداث - الملاحم والفتن)
الباحث
نصر عبدالله المقداد
قدم له:
الشيخ عادل شلار الرفاعي

الخلافة المقدسية

﴿الخلفاء – الأحداث – الفتن والملاحم﴾

الباحث

نصر عبد الله المقداد

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٧/٥/٢٤١٩)

نسخة / مركز الإيداع ٩٥٦٠٤١١

المقداد، نصر عبد الله

الخلافة المقدسية/ نصر عبد الله المقداد .- عمان: المؤلف، ٢٠١٧

( ) ص.

ر.إ. : ٢٠١٧/٢٤١٩

الواصفات: /تاريخ فلسطين//الخلافة//القدس/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

دولي:٠٠٩٦٢ – أبو عبد الله: ٠٧٩٧٩١٦٥٧٩

إهداء

إلى روح والدي العزيز رحمه الله وأكرم نزله ورفع قدره، الذي علّمني أول كلمة ينطقها لساني، إلى أن علمني معنى الفتن ودورها في الأسرة والمجتمع والأمة، والنجاة منها بعونه تعالى، فهو أستاذي الأول وقدوتي بعد نبي الله ﷺ.

إلى روح جدي فضيلة الشيخ عثمان المقداد رحمه الله ورفع قدره، الذي جعله الله تعالى من المعمّرين في الأرض، وكان عالِماً فاضلاً، يدعو إلى الله تعالى، وتعلمنا منه معنى الإسلام والإيمان والإحسان، وهو من تلاميذ فضيلة الشيخ محدّث الشام بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى، ومن تلاميذ فضيلة الشيخ علي الدقر رحمه الله تعالى.

إلى والدتي، نبع الحنان والعطاء، عنوان الصبر والتضحية، التي لطالما وقفت إلى جانبي في كل حياتي.

إلى أهل بيتي وأولادي، الذين صبروا وعملوا وتحملوا معي عناء السنوات الست من العمل المتواصل في هذا الكتاب، حتى يسّر الله تعالى إخراجه.

إلى شيخي وأستاذي الفاضل الشيخ سليمان المقداد، مدير الثانوية الشرعية في درعا، الذي حرص على التواصل معي، رغم غربته ومرضه سائلاً عني وعن كتابي، إلى أن غادر هذه الحياة إلى الرفيق الأعلى، رحمه الله وتغمده بواسع رحمته.

شكر وعرفان

{لا يشكر الله من لا يشكر الناس}

الشكرُ عرفانٌ لأصحاب الفضل بفضلهم، وتقديرٌ لهم لمعروفهم، وأول من أتقدم بشكره، ممتناً ومعترفاً بفضله ونعمته، هو الخالق الواهب تبارك وتعالى، شكراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده.

ثم أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، بنصحٍ أو ملاحظة أو توجيه.

إلى أخي العزيز:

الفنان الشامل، في الخط والرسم والإنشاد، عماد المقداد، صاحب الباع الطويل في مباحث الملاحم والفتن، والموجه الأول لي في هذا الكتاب.

إلى أصدقائي الباحثين:

الذين أرّقتنا الليالي الطوال في التفكّر في معاني النصوص، وجمعها وتحقيقها وترتيبها، أخوتي الأفاضل (مع حفظ الألقاب): طريف سبيناتي ومحمد فؤاد قنايا.

إلى الشيخ الراحل (الجندي المجهول) الشيخ أبا سفيان رحمه الله، السابق السبّاق في علم الملاحم والفتن، الذي استفدنا من أبحاثه ولم نتعرف على شخصه، وإن اختلفنا معه في فهم بعض النصوص.

إلى فضيلة الشيخ الداعية عون معين القدومي حفظه الله، الذي شرّفني بقراءة الكتاب ناصحاً ومشجعاً ولتقريظه له.

إلى فضيلة الشيخ المُسنَد الفقيه المُحدِّث، الشيخ عادل شلّار الرفاعي، على مراجعته وتقريظه للكتاب، بهذه الكلمات النفسية.

وأخيراً وليس آخراً:

إلى بلد الأمن والأمان، أرض المهاجرين في زماننا، المملكة الأردنية الهاشمية، فهي أرض جهادٍ مباركة، وإلى شعبها الكريم المضياف.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم: بخط يد فضيلة الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حق حمده وصلاة
وسلام كاملات على محمد خير البرية . وبعد :
اطلعت على كتاب الخلافة المقدسية لأخي
الشيخ نصر المقداد . فوجدته نافعا يصحح للأمة
معارفا أفسدها فلاسفة عصرنا وباحثو كتب التراث
فجاء كتاب الخلافة المقدسية في زمانه المناسب على
ترتيب سهل القراءة كثير الفوائد حسن الصياغة كأنه
وكتب أكابر المفكرين صنوان فأوصيكم
بهذا الكتاب فاقرأوه .

كتبه عادل شلاش الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب:

الحمد لله الذي أسرى ليلاً بعبده الأمين، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك بأرضه للعالمين، وبارك حوله وتكفل بأهله إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على القائل: اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بدأ الأمر نبوة، فكانت رحمةً وعدلاً وفتحاً، وكانت تشريعاً وتأسيساً، ثم صارت إلى خلافةٍ راشدةٍ مباركة، وكانت رحمةً وعدلاً وفتحاً، على منهاج النبوة، ثم مرّت الأمة بملوكٍ وأمراءٍ وسلاطين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، قدّموا للأمّةِ وللإسلامِ ما حفظهُ التاريخ وسجلّه.

ثم ما لبثت الأمّة أن تداعت عليها الأمم الأخرى، فتآمروا على نزعِ الخلافةِ منها، حتى أصبحت إلى جبريةٍ وفُرقة، مزّقت وحدتها وفرّقت كلمتها، فبدّلت سننها وقوانينها، حتى عانت الأمة ما لا يخفى على منصفٍ عاقل، وغدت شعوباً وقبائل متناكرة متناحرة، إلا من رحم ربي.

ولكن الأملَ فجرٌ، لا يفتأُ يلوحُ في مُحيّاها، في كل يوم وساعة يزداد اقتراباً، لا نشكّ به ولا نيأس منه، وحاشا لأمةِ المصطفى ﷺ أن تعرف اليأس، ولكنه العمل والأمل، وانتظار المنح بعد المحن، والفرج بعد الفتن.

إنها الخلافة، خلافة بيت المقدس، قادمة قادمة لا محال، فهي خاتمة عقد الخلافة جميعاً، هي خلافة قرشية هاشمية حَسَنيّة مهدية بامتياز.

هذه الخلافة التي فيها عودة لعزة الكلمة ورفعة الأمة، وهي أيضا التي فيها ما فيها من أحداث وفتن وزلازل وبلايا وأمور عظام.. كما جاء في الحديث.

هي وإن كانت آخر خلافة إسلامية، ويغلب على ظننا أن بدايتها نصر وظفر وسعة، ونهايتها مهدية ونبوة، لكنها لن تخلو من كدر هنا أو هناك، وثورات وبغاة وخوارج واحتلال.

سيتعدد الخلفاء فيها، فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخير بإذنه تعالى، ومنهم المجاهد الفاتح، والضعيف الطالح، والأمين الصالح.

إنها حياة جديدة، وفرصة أخيرة للأمة[1]، فإما أن تعود إلى رشدها كتاريخ أسلافها الأولين كما بدأت، وإما أن تختار سبيل الشتات والتفرقة والتمزق والفتن.

هذه الخلافة سيكون فيها ما لا يخطر على بال عامة الناس أنه كائن، من سنن كونية وتغيرات مناخية وتبدلات جغرافية وتحولات جيولوجية (زلازل – براكين – نسفُ جبال – خسف – تصدعات ضخام...).

وسيكون فيها أيضاً معجزاتٍ ربانية، وتقلباتٍ اجتماعية، وأمراضٍ وبائية، وعودة للجاهلية، و(خسف ومسخ قذف ونطق جمادات...).

ففيها يأس ورجاء، وضيق وسعة، وفقر وغنى، وجوع وبطر، وشدة وترف، وضيق ورخاء، وحرب وسلام، وفتن وأمان، تغزوا وتُغزى، كرٌّ وفرٌّ، فتُنتصر وتُهزم، فيها احتلال واستقلال...

يكون العالم صغيراً، والأمم المتبقية قليلة، الناس أقل من القليل، إنها الفرصة الأخيرة للأمة، في طريق الازدهار والعلو.

لقد أصبح العالم اليوم على يقين أننا في طريق العودة إلى القدس، فاتحين مستبشرين، فمنهم من يعمل لما بعدها، تربصاً ومكراً بها، ومنا من هو لاهٍ غير مصدّق بها وبما بعدها.

إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، فهي الدعوة إلى العمل لها ولما بعدها، بيقين الناظر بعينيه لأحداثها، مصدّقاً للوحي الذي أخبر به الصادق المصدوق ﷺ.

لماذا هذا الكتاب:

قال الله ﷻ: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾**. (**آل عمران: ١٨٧**)

علم الفتن وأخبار آخر الزمان، من العلوم التي قصّر في نشره العلماء، وقد يكون التقصير من الترويج لهذا العلم، وربما كان التقصير من عامة الناس في الاهتمام به، فهو الركن الرابع من أركان الدين، كما في حديث جبريل عليه السلام.[2]

[1] أنظر الصفحة: ٥٩ من هذا الكتاب، حديث رقم: ١١٨، ففيها مرادي من قولي: (فرصة أخيرة) والله أعلم.

[2] حديث جبريل الذي فيه تعريف الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، وهي الأركان الأربعة للإسلام.

حتى ظهرت بعض الأحداث في السنوات الأخيرة على صعيد الأمة، فاستغل بعض أعداء الأمة هذه الأحداث لترويج النصوص التي تتحدث عن زمان، فيه أحداث تتشابه مع ما يجري في الأمة في هذه المرحلة، وليس هذا أوانها، فأنزلوها على زماننا هذا مُسقِطين بعض الوقائع والشخصيات على واقعنا، كالرّايات السود والصفر، ومن الشخصيات كالسفياني والأبقع والأصهب مثلا، مما غرّر ببعض شباب الأمة، فانخدع بتلك الاسقاطات، ظاناً أنه على الطريق الصحيح لإحياء الخلافة الموعودة، وما هذه التنزيلات والاسقاطات من هؤلاء المخادعين إلا لأهدافٍ سياسية بلباس عَقَدي ديني، لخداع شباب الأمّة الغض الفتي، ولصالح أعداء الأمة.

ما دفع هذا الشباب المغرر به للانطلاق خلف هذه الرايات العميّة، وبتأثير من شعارات مزيفة، رفعها البعض، من المحسوبين على أهل العلم والدعوة.

ولا يُعذر المسلم بالجهل في هذه المسائل، ولا ينبغي للعاطفة أن تقوده إليها، وإن حسُنتِ النوايا، فحُسن النية مع سوء العمل، قد يتعدى ضرره إلى حدودٍ لا يُحمد عُقباها.

ومن منطلق أبحاث ودراسات تجاوزت لسنوات طوال، مع مجموعة من الباحثين الغيورين على شأن الأمة، وانطلاقا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ﴾**[٣].

وقوله ﷺ: **﴿ليس أشد ما أتخوف على أمتي الشيطان ولا الدجال ولكن أشد ما أتقي عليهم الأئمة المضلين﴾**[٤].

فإن الواجب يتحتم على من كان لديه علم، من شأنه أن يُوضّح المسائل الشرعية، ويزيل الملابسات، ويرد على كيد أعداء الأمة وتزييفهم للحقائق، فالواجب هو نشر هذا العلم الحق، الذي ارتضاه علماء الأمة الثقاة العدول، من الراسخين في الفهم الصحيح، وإعادة نشره وتبسيطه للعامة من الناس، حتى يكون حصنا منيعا لهم من الوقوع في الفتن والهرج.

سائلين الله ﷻ القبول والتوفيق وقول ما يرضيه.

---

[٣] رواه ابن ماجة والطبراني في الأوسط وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم.

[٤] رواه أبو عمرو الداني في سنن الفتن.

قال سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ﴿**لوددت أن عندي مائة رجل، قلوبهم من ذهب، فأصعد على صخرة، فأحدثهم حديثا لا تضرهم فتنة بعده أبدا، ثم أذهب فلا أراهم ولا يروني**﴾[٥].

وعن مُعاذِ بن جبلٍ ﵁ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿**إذا ظهرَ فيكمُ السَّكْرتانِ: سَكْرةُ الجهلِ، وسكْرةُ حُبِّ العَيْشِ، وجاهدُوا في غيْرِ سبيلِ اللَّهِ، فَالقَائِمُونَ يومئذٍ بكتابِ اللَّهِ سِرًّا وعلانيَةً كالسَّابقينَ الأَوَّلينَ مِن المهاجرينَ والأَنْصارِ**﴾[٦].

سكرة الجهل، وأي سكرة هذه؟ عندما يتحكم الهوى في التفكير، والاعجاب بالرأي في المنطق، والخروج عن اجماع الأمة، واتباع كل ناعق، والتكفير والتبديع والتفسيق، والاجتراء على الفتوى.

وسكرة حُبّ العيش، وهو الوَهن، حُبّ الدنيا وكراهية الموت، والخضوعُ للمالِ، وبيع الدين بالدنيا، والولاء لأعداء الأمة.

فمن تلبّس بهذه البلايا، كيف له بالجهاد الحق؟ ومن أين له البصيرة وتمييز الباطل والشبهات، الا من رحم ربي.

والحلّ: الحلّ في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا بفهم اهل التشدد والغلو، ولا بفهم مدّعي الحداثة والتمييع، ولا بفهم أبواق الأنظمة الظالمة، بل بقواعد الأئمة العظام، أصحاب الفقه والأفهام، من أهل القرون الثلاثة الكرام.

وبقيت كلمة:

وهي لمُنكري عودة الخلافة التي على منهاج النبوة، ولمُنكري ظهور مهدي آخر الزمان، على أنها خرافة، هؤلاء من جانب.

ومن جانب آخر، لهؤلاء الذين ادعوا مهدياً دخل سرداب الغيب وينتظرون عودته، بل ويعملون ليلاً ونهاراً لإخراجه على النحو الذي ترتضيه مصالحهم، ليخدعوا فيه البسطاء والمنتفعين على السواء.

لكلّ هؤلاء وهؤلاء، كان هذا الكتاب، بعرضٍ متواضع سهل، يُبيّن بكتاب الله تعالى وصحيح سُنّة نبيه ﷺ، حقيقة الخلافة المقدسية القادمة، وما فيها من أحداث، السّرّاء منها والضرّاء، حتى يدخل الإسلام العظيم كل بيت.

[٥] رواه ابن ابي شيبة في مصنفه ونعيم بن حماد في الفتن.
[٦] رواه ابو نعيم في الحلية وابن وضاح في البدع وغيرهما.

عملي في الكتاب:

يأتي عنوان الكتاب **الخلافة المقدسية** اختصاراً للخلافة القرشية في بيت المقدس، وقد شرحت بالدليل القاطع ان الخلافة في بيت المقدس، ستكون قريشية حسينية، وذكرت اضافة الى ذلك فضائل قريش والعترة ومكانة قريش بين العرب والإسلام، ثم عرجت على بيان المقصود من حديث ابن حوالة رضي الله عنه حول الخلافة في المقدس وفضائل الشام والاقصى .

وتناول الكتاب تعاريف لغوية واصطلاحية للخلافة والمُلك والامامة، والفرق بين تلك المصطلحات، معتمداً بذلك على مراجع لغوية وشواهد قرآنية، وشرح تلك المصطلحات وبيانها للقارىء واثباتها بالادلة القاطعة .

وتناول الكتاب ايضاً لمحةً مختصرةً عن الخلافة الراشدة واشكال الخلافة عموماً، التي مرت بها الامة الى ان وصلت الى الحكم الجبري، وبقيَ المرحلة الاخيرة وهي خلافة بيت المقدس ..

ثم تتمةً للفائدة قدمت عرضاً للفتن الواقعة في آخر الزمان، الكبرى منها والاجتماعية، مع ذِكرِ الملاحم الوارد وقوعها، وختمت بملخص عن أشراط الساعة.

راجياً من الله تعالى القبول، والفائدة للقارئ الكريم. والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

الخلافة

أبوابه:

- الإمامة والخلافة والمُلك لغة واصطلاحا.
- وجوب إقامة الخلافة.
- شروط الخلافة، وظيفة الخليفة، طرق تولي الخلافة.
- منهاج النبوة في الخلافة، قواعد نبوية في تولي الحُكم.
- الخلافة في قريش.
- فضائل قريش والعترة النبوية.
- حديث الثقلين.

الإمامة والخلافة والمُلك

توطئة:

الحُكم هو قلب الأمة، إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، والحاكم إذا عفّ عفت رعيّته، وإذا طغى أثار رعيته عليه، فللحاكم وازع وسلطان، يُقِيم الله ﷻ به ما قد لا يُقيمه بالقرآن.

والحكم هو أول عرى الإسلام انتقاضا، - كما جاء في الحديث – وبانتقاضه تبدأ الفتن، ويُكسر باب العصمة، وتبدأ الفوضى، وتحلّ شريعة الغاب.

فينعدم وجود من يأخذ الحق لصاحبه، ويُقيم العدل بين الناس، ويقودهم إلى الصراط المستقيم، ويساوي بين الرعية، ويحفظ لهم دينهم وأمنهم ومعيشتهم، ويكون قدوة لهم، وإمام هُدى في الدين والدنيا.

قال ﷻ: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**. (البقرة: ١٢٤)

وأما عن أهمية هذا الفصل للكتاب، فهو تقديم لابد منه لفهم معنى الإمامة عموماً، ثم معنى كلاً من الخلافة والمُلك، ثم حُكم وجوب إقامة الخلافة في الأمة، وما هي الشروط الواجبة في الخليفة، وما هي وظيفته، بشيء من الاختصار.

وكذلك في هذا الفصل نتعرف على شرط القُرشية في الخليفة، وما هي فضائل قريش حتى جاءت الوصية لهم بالخلافة، خاصة بنو هاشم وبنو العباس منهم، وبذلك يزول أي لبسٍ أو تساؤل عن هذه الأحقية.

فعندما نتفهم هذا الفصل التعريفي والتأصيلي، سيسهل على القارئ غير المتخصص من تقبل فكرة الخلافة في قريش، مما يمهّد لموضوع الكتاب الأصلي، وهو الخلافة المقدسية، وخلفاء هذه الخلافة، وأحداثها، وأسباب التنازع عليها والأطماع غير المبررة شرعا في الخلافة، لأخذها من أهلها، مما يتولد منه الفتن والتقاتل على السلطة، واستباحة الدماء وانتشار الفوضى.

ولا يفوتني أن أذكر أني لم أتوسّع في شرح عناوين هذا الفصل، لأن القصد منها ليس التفصيل الفقهي، بل مجرد التذكير بما يناسب موضوع الكتاب، لذا من أراد التوسع فعليه بكتب الفقه والسياسة الشرعية.

- (الإمامة، المُلك، الخلافة) لغةً واصطلاحًا:

في البداية، لابد من معرفة الفرق بين معاني كل مفردة من هذه المفردات، لما تحمله من مدلولاتٍ لا تحمله الأخرى.

الإمامة لغةً:

قال ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾. (البقرة: ١٢٤)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (جعله الله للناس قدوة وإماماً يُقتدى به، ويُحتذى حذوه)[٧].

وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾. (ص: ٢٦)، قال الإمام الطبري رحمه الله: (وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويُتَّبَعون عليه).

وفي لسان العرب:

أمم: الأم، بالفتح: القصد. أمه يؤمّه أَمّاً: إذا قصده. وأَمَّ القوم وأَمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة. والإمام: كل من ائتمّ به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين. قال ابن الأعرابي في قوله ﷻ: **﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** (الإسراء:٧١)، قالت طائفة: بكتابهم، قال آخرون: بنبيهم وشرعهم، وقيل: بكتابه الذي أحصى فيه عمله. وسيدنا رسول الله ﷺ إمام أُمّته، وعليهم جميعا الائتمام بسنته التي مضى عليها. ورئيس القوم: أمهم. ابن سيده: والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره، والجمع أئمة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين ضعفاؤهم تبع لهم.

وإمام كل شيء: قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند قائدهم. وأممت القوم في الصلاة إمامة. وأتم به أي اقتدى به. والإمام: المثال؛ قال النابغة:

أبوه قبله وأبو أبيه   بنوا مجد الحياة على إمام

---

[٧] تفسير ابن كثير.

الإمامة اصطلاحًا:

الإمامة: هي الرعاية والمسؤولية. هكذا عرّفها النبي ﷺ، حيث أنه ميز بين الإمامة العظمى والإمامة الخاصة، على أنها جميعا تحمل معنى الرعاية والمسؤولية.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿**كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته قال فسمعت هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال والرجل في مال أبيه راع ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**﴾[٨].

قال الامام الماوردي: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[٩].

وقال إمام الحرمين الجويني: (الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا)[١٠].

وهكذا تدور تعريفات العلماء حول الرياسة العامة للأمة والعمل على مصالحها الدينية والدنيوية، والكلام هنا عن الإمامة العظمى، أي الرئاسة في الحُكم، لا عن الإمامة التي فسرها الشيخ الشعراوي رحمه الله، والتي تجمع إمارة الدين والدنيا، كما سيأتي بعد قليل.

الخلاصة:

فكلّ من له أتباعٌ فهو إمامٌ لهم، وهم أتباعه، حتى وإن كان في غير شؤون الدين، ومنه الإمام المُضلّ، كما في حديث ثوبان قال: قال: رسول الله ﷺ ﴿**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**﴾[١١]، ولكننا في هذا الكتاب نتناول الإمامة بمعنى الخلافة فقط.

---

[٨] رواه البخاري.
[٩] الأحكام السلطانية.
[١٠] غياث الأمم في التياث الظلم.
[١١] رواه الترمذي.

الخلافة لغةً:

قال ﷻ: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرْضِ**﴾. (ص:٢٦)

قال الطبري رحمه الله تعالى: (يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها).

وفي لسان العرب:

الخلافة: الإمارة وهي الخليفى. وإنه لخليفة بين الخلافة والخليفى. وفي حديث عمر ﵁: لولا الخليفى لأذّنت، وفي رواية: لو أطقت الأذان مع الخليفى، بالكسر والتشديد والقصر الخلافة، وهو وأمثاله من الأبنية كالرميا والدليلى مصدر يدل على معنى الكثرة، يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها. ابن سيده: قال الزجاج: جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله - عز وجل: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾. وقال غيره: الخليفة السلطان الأعظم، وقد يؤنث؛ وأنشد الفراء: أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

قال: ولدته أخرى لتأنيث اسم الخليفة والوجه أن يكون ولده آخر، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**﴾، قال: جعل أمة محمد خلائف كل الأمم، قال: وقيل: خلائف في الأرض يخلف بعضكم بعضاً؛ ابن السكيت: فإنه وقع للرجال خاصة، والأجود أن يحمل على معناه فإنه ربما يقع للرجال، وإن كانت فيه الهاء، ألا ترى أنهم قد جمعوه خلفاء؟ قالو: ثلاثة خلفاء لا غير، وقد جمع خلائف، فمن قال خلائف قال ثلاث خلائف وثلاثة خلائف، فمرة يذهب به إلى المعنى ومرة يذهب به إلى اللفظ، قال: وقالوا خلفاء من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر وفيه الهاء، جمعوه على إسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء، لأن فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء. ومخلاف البلد: سلطانه.

فالخلافة هي مصدر من فعل خَلَفَ، الخلف ضد قدام. قال ابن سيده: خلف نقيض قدام. وخلفه يخلفه: صار خلفه، واختلفه: أخذه من خلفه، والخلافة قيام الشيء مقام الشيء.

يقول الإمام ابن العربي في (أحكام القرآن): الخلافة قيام الشيء مقام الشيء، والحكم لله، وقد جعله الله للخلق على العموم، وذلك بقوله ﷺ: ﴿**إن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون**﴾[١٢]. يعني كل الناس خلفاء.

وعلى الخصوص في قوله ﷻ:

﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة:٣٠)،

وقوله ﷻ: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾. (ص:٢٦).

الخلاصة: الخلافة مأخوذة من الاستخلاف وهي النيابة عن الغير، والخليفة: مَن يقوم خلف غيره ويسدّ مسدّه.

الخلافة اصطلاحاً:

يقول ابن خلدون: (والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[١٣].

قلت: الخلافة: هي إمامة الأمة الإسلامية كافة لرجل قرشي لا ينافسه رجل آخر في حال قيام خلافته، يرعى مصالح الأمة وأمنها ويسوس أمر رعيته في دينهم ودنياهم.

المُلك لغةً:

رَوَى المُنذِرُ عن أبي العبَّاس أنَّه اختَار مَالكِ يومِ الدِّين، وقال: كلُّ مَن يملكُ فهو مالكٌ لِأنَّه بتأوِيل الفعلِ مَالكُ الدَّراهم، ومالكُ الثَّوب، ومالكُ يوم الدِّينِ، يملِكُ إقامةَ يَومَ الدِّين، وَالْمُلْكُ: معروف وهو يُذَكَّر ويؤَنَّثُ كالسُّلْطَان، ومُلْكُ اللَّهِ ﷻ وملَكُوته: سُلْطانُه وعظْمَتُهُ.

ولفُلَانٍ ملَكُوتُ العراقِ أَي عِزُّهُ وسلطانهُ ومُلْكُهُ، عن اللّحياني، والموضعُ مَملكَةٌ، وتَملَّكَه أي مَلَكَهُ قَهرًا، وملَّكَ القَومُ فلانًا على أنفُسِهِم وأمْلَكُوه: صَيَّرُوهُ مَلِكًا، عن اللِّحْيَانِي، والمَملَكَةُ: سُلْطَانُ الْمَلِكِ في رعِيَّتِه.

---

[١٢] رواه مسلم.
[١٣] مقدمة ابن خلدون.

ابن سيده: المَلِكُ والمُلكُ والْمِلكُ احتواء الشّيء والقدرَة على الاستِبداد به، مَلَكَهُ يَمْلِكُهُ مَلْكًا وَمِلْكًا وَمُلْكًا وَتَمَلُّكًا، الأَخيرة عن اللّحْياني، لم يَحكها غيره[١٤].

الملك اصطلاحاً:

لقد فرّق رسول الله ﷺ بين الملك والخلافة فقد روى سفينة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿**الخلافةُ في أمّتي ثلاثونَ سنةً، ثمّ مُلْكٌ بعدَ ذلِكَ**﴾[١٥].

وفي حديث أيضاً:

﴿**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها...**﴾ وسيأتي بطوله بعد قليل. وفي هذا الحديث فرّق ﷺ بين الخلافة والملك، ثم بيّن أن المُلك أيضاً أنواع: ﴿**ملك عاض وملك جبري**﴾.

وجاء في معجم المعاني الجامع:

(المَلِكُ: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من ملَكَ: صاحب الأمر والسّلطة على أمّة أو بلاد، شخص يحكم أو يتولّى الملك في منطقة بحكم الوراثة ولمدى الحياة).

فالخلافة أوسع من المُلك، وكل خليفة ملك وليس كل ملك خليفة، لما سيأتي من شروط الخلافة التي لا يجب أن تتوفر في الملك.

ولا يعني هذا الذم في نظام الملك أو الحامل للقب الملك، فالمدح أو القدح إنما يكون في تحقيق العدل أو الظلم، وقد آتى الله الملك لبعض عباده الصالحين من الأنبياء، قال ﷻ:

﴿**وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء**﴾، وكذلك كان عمر ابن عبد العزيز أحد ملوك بني أمية وكان ملكا عادلا، وغيره من بعض ملوك التاريخ الإسلامي.

الفرق بين الخليفة والملك:

قال القاضي الماوردي: (إن الخلفاء الراشدين كانوا لا يرون الخلافة إلا لإحياء الدين، ولا الإمارة إلا لصالح المسلمين. وكانوا أهل رأفة بالمؤمنين، سيرتُهم

---

[١٤] لسان العرب

[١٥] رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

العدلُ، وقولهم الفصل، وقضاؤهم الحق، وكلامهم الصدقُ، وقد لبسوا المُسوح والصوف وجردوا السيوف، يضربون بها وجوه الكفار، وأخذوا السياط يقمعون بها رؤوس الفُجّار. حتى فتحوا الفتوح، وهزموا الجيوش، وقهروا الجبابرة، وقتلوا الفراعنة. وأظهروا نور الحق في الغرب والشرق. ظاهرهم الخشوع، وباطنهم الخضوع لله. وبغيتهم الآخرة، والاستخفاف بالدنيا جعلوها تحت أقدامهم، إذ عرفوها حق معرفتها. ووضعوها في منـزلتها).

فالخليفة هو الإمام الأعظم للأمة جمعاء، أما الملك فقد يكون على إقليم أو أكثر، والاثنان تجب لهما الطاعة في المعروف، والجهاد معهما.

والخليفة لابد أن يكون قرشيا، فإن لم يكن قرشيا فلا يسمى خليفة، بدليل حديث الخلافة في قريش، أما الملك فيُفضّل أن يكون قرشيا، فإن لم يكن فلا يُنزع عنه لقب المُلك، بدليل حديث تكون نبوة ثم خلافة ثم مُلك، ويدخل فيه الدولة العثمانية والدول التي لم يكن السلطان فيها قرشيا كدول السلاجقة والمماليك وغيرها ممن دان لهم العرب، وقد يكون الملك القرشي ملكا في بدايته، ثم إذا تهيأت له البيعة العامة أصبح خليفة للأمة جمعاء.

فالخلافة تكون ببيعة شورى، ولا يكون المغتصب للسلطة خليفة، بدليل أن النبي ﷺ لم يسمّ أحداً من ملوك الإسلام بالخلافة سوى المرحلة الراشدة والمرحلة المقدسية.

يكون الخليفة أو الملك على الناس بحسب أعمالهم، وهذا المقياس من سنن الله في الأرض، بمعنى أنهم كما يكونون يُولّى عليهم، والأدلة على ذلك كثير، منها حديث: **﴿الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم﴾**، وحديث: **﴿الناس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع لشرارهم﴾**[١٦].

وجوب إقامة الخلافة:

اتفق الفقهاء على وجوب نصب إمام للمسلمين[١٧]، عملا بكتاب الله تعالى وسُنّة نبيه ﷺ، وعملا بالقاعدة الفقهية: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب.

فالخليفة هو من يقيم الحدود ويأمر وينهي، ويقيم الجُمع والجماعات، ويُؤمّن الطرق والتجارة، ويحجز الظلم ويقيم القضاء والأحكام الشرعية، ويستخرج

---

[١٦] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.
[١٧] أنظر الملل والنحل لابن حزم.

خيرات الأرض وما أفاء الله به على الأمة، ويعدل في توزيعها بين الناس، ويحفظ الأمن للبلاد ويجاهد العدو، ويقاتل البغاة والخوارج والصّائل.

وكل هذا مما لابد للناس منه، ولا يتفق الناس على تفاصيله لاختلاف العقول والأهواء والمصالح والأفهام، لذا كان وجوب تنصيب الإمام الذي يتولى إقامة هذا، هو واجب شرعي محتوم.

قال ﷺ: ﴿**إنما الإمام جُنّة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه**﴾[١٨].

قال الامام النووي في شرحه على صحيح مسلم: (الإمام جُنَّة: أي كالستر، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقيه الناس ويخافون سطوته، ومعنى "يقاتل من ورائه" أي: يُقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم مطلقا).

شروط الخلافة:

لاشك أن أول شروط الخلافة هو الذكورة، فلا تكون المرأة في منصب الإمامة العامة، يقول الإمام الماوردي رحمه الله: (أمَّا أهل الإمامة، فالشُّروط المعتبرة فيهم سبعة:

الأول: العدالة على شروطها الجامعة.

الثَّاني: العلم المؤدِّي إلى الاجتهاد في النَّوازل والأحكام.

الثَّالث: سلامة الحواس السَّمع والبصر واللِّسان، ليصحَّ معها مباشرة ما يدرك بها.

الرَّابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة، وسرعة النُّهوض.

الخامس: الرَّأي المفضي إلى سياسة الرَّعيَّة، وتدبير المصالح.

السَّادس: النَّسب القرشي: وهو أن يكون من قريش، لورود النَّصِّ فيه، وانعقاد الإجماع عليه، لأنَّ أبا بكر الصِّدّيق ﷺ احتجَّ يوم السَّقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة، لما بايعوا سعد بن عبادة عليها بقول النَّبيِّ ﷺ: ﴿**الأئمة من قريش**﴾. فأقلعوا عن التَّفرُّد بها، ورجعوا عن المشاركة فيها، حين قالوا: منَّا أمير ومنكم

[١٨] رواه مسلم.

أمير، تسليماً لروايته، وتصديقاً لخبره، ورضوا بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء)[١٩].

ويُضاف على ما ذكره الإمام الماوردي، ما قاله يحيى بن أبي عمرو الشيباني: (ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين: مسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس)[٢٠].

وقال ابن خردابذة عن الأندلس وأميرها الأموي: (ويسلم على هذا الأموي السلام عليك يا ابن الخلائف، وذلك أنهم لا يرون اسم الخلافة إلا لمن ملك الحرمين)[٢١].

وذلك في القيام بشؤون هذه المساجد المباركة التي تشد إليها الرحال، فهي بالإضافة لما لها من فضل وزيادة أجر لمن يصلي فيها، أصبحت رمزا للمسلمين يجب على الخليفة أن يحافظ عليها وعلى أمنها ويهيئ لها من يقوم بها برواتب ثابتة لقاء ذلك.

وظيفة الخليفة:

قال الله ﷻ: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**. (ص: ٢٦)

وقال الله ﷻ: **﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾**. (المائدة: ٤٩)

قال الماوردي: والذي يلزم الإمام من العامّة عشرة أشياء:

١- حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زائغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبيّن له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

٢- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدّى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

٣- حماية البيضة، والذب عن الحريم، ليتصرّف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار، آمنين من تغرير بنفس أو مال.

---

[١٩] الأحكام السلطانية ص٦.
[٢٠] رواه الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن.
[٢١] المسالك والممالك لابن خردابذة.

٤- إقامة الحدود، لتُصان محارم الله ﷻ عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

٥- تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً.

٦- جهاد من عاند الإسلام، بعد الدعوة، حتى يسلم، أو يدخل في الذمة، ليقام بحق الله ﷻ في إظهار على الدين كله.

٧- جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه نصاً واجتهاداً، من غير خوف، ولا عسف.

٨- تقدير العطايا، وما يستحق في بيت المال، من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

٩- استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوّض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

١٠-أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة، وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح[٢٢]﴾.

طرق تولي الخلافة:

ولمعرفة طرق تولي الخلافة، لابد من دراسة كيفية تولي الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم، حيث أثنى عليهم رسول الله ﷺ، وأوصى الأمة باتباع سنتهم. قال: **﴿وعظنا رسولُ الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداةِ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوبُ فقال رجلٌ إنَّ هذه موعظةُ مودّعٍ فماذا تعهدُ إلينا يا رسولَ الله؟ قالَ: ﴿أوصيكم بتقوى الله والسَّمعِ والطّاعة وإن عَبدٌ حبشيٌّ فإنَّه مَن يَعِش منكم يرى اختلافًا كثيرًا وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأُمور فإنّها ضلالةٌ فمَن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتِي وسُنَّة الخلفاءِ الرَّاشدينَ المهديِّين عضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ﴾**[٢٣].

وقالَ رَسُولُ الله ﷺ: **﴿اقْتَدُوا باللَّذَيْن مِن بعدي أبي بكرٍ وعمَر﴾**[٢٤].

---

[٢٢] الأحكام السلطانية للماوردي.

[٢٣] أخرجه أحمد والترمذي، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

[٢٤] أخرجه أحمد والترمذي.

١- الطريقة الأولى (فلتة خاصة لن تتكرر[٢٥]):

الخليفة الأول: أبو بكر الصديق ﵁:

فعن عائشة رضي اللهُ عنها قَالت: قال لي رسولُ الله ﷺ في مرضهِ: **﴿ادْعِي لي أبا بكرٍ، أباك وأَخاكِ، حتّى أكتبَ كتاباً، فإنّي أخافُ أنْ يتمنَّى متمنٍّ ويقولُ قائلٌ أنا أولَى، ويأبى اللهُ والمؤمنونَ إلاَّ أبا بكرٍ﴾**[٢٦] .

نعم، يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه، فعندما قرأت قصة سقيفة بني ساعدة، وقرأت شروح العلماء عليها، وجدت أن أكثر العلماء أطلقوا على طريقة تولي أبي بكر رضي الله عنه اسم الاختيار أو الشورى، وقد تفكرت كثيرا في هذه الاطلاقات، ولكني لم أجد أفضل مما وصفها به سيدنا عمر رضي الله عنه حين قال: (فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة ألا وإنها كانت كذلك).

فمن يعرف فضائل الصدّيق ﵁ ومقامه في الإسلام وفي الأمة لا يملك إلا أن يشعر أنه لا يمكن التخيّل أن يقود أحد أمة فيها أبو بكر رضي الله عنه كائن من كان، سوى نبي هذه الأمة ﷺ.

كانت بيعة أبي بكر ﵁ فلتة، وكان المسلمون يعرفون مكانته وفضله عند الله وعند رسوله ﷺ، فكانت ما يعرف ببيعة سقيفة بني ساعدة، وعندما سمع الناس بها لم يملكوا إلا السمع والطاعة مع كامل الرضى والمحبة، فلا يُقاس عليها أيّة بيعة بعدها.

حتى أن سيدنا عمر رضي الله عنه قد بيّن خصوصية هذه البيعة، وهذا واضح من قوله: (ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا).

---

[٢٥] فَلْتة: - يقول الخطابي: يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل لا يصل إلى منزلة أبي بكر فلا يطمع أحد أن يقع له مثل ما وقع لأبي بكر من المبايعة له أولا في الملإ اليسير ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه لما تحققوا من استحقاقه فلم يحتاجوا في أمره إلى نظر ولا إلى مشاورة أخرى وليس غيره في ذلك مثله.
- وفي غريب الأثر: أي فُجاءة، لأنه لم يُنْتظَر بها العوام، وإنما ابتدرها أكابرُ الصحابة لعلمهم أنه ليس له منازع ولا شريك في وجوب التّقدم.
- وفي شرح صحيح البخاري لابن بطال: قال أبو عبيد: معنى الفلتة الفجأة، وإنما كانت كذلك، لأنها لم ينتظر بها العوام، وإنما ابتدرها أكابر أصحاب محمد من المهاجرين وعامة الأنصار.
- وفي النهاية لابن الأثير: هي الخَلسة، أي أن الإمامة يوم السقيفة مالت إلى توليها الأنفس، ولذلك كثر فيها التشاجر، فما قلدها أبو بكر إلا انتزاعا من الأيدي واختلاسا.
[٢٦] متفق عليه.

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب فقال: (... فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة ألا وإنها كانت كذلك...إلى أن قال:

(فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله عز وجل وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم يريدون أن يخزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه وقد كنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر رضي الله عنه على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت فقال:

أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه إلا أن تغير نفسي عند الموت ... وكثر اللّغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار)[٢٧].

<u>**قلت:**</u> ولا ينبغي أن يكون مثل هذه الطريقة إلا لأبي بكر رضي الله عنه، فالفلتة لا تتكرر، وكذلك أبا بكر رضي الله عنه لن يتكرر، ولننظر في الطريقة الثانية.

٢- الطريقة الثانية: (الاستخلاف أو الوصية والعهد):

الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عندما أحس أبو بكر رضي الله عنه بقرب أجله، استشار المسلمين فيمن يستخلفه من بعده، وأنه اختار عمر رضي الله عنه، فما وجد منهم إلا القبول والرضى. فخرج على الناس في مرض وفاته فقال لهم: (أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني

---

[٢٧] أخرجه الإمام أحمد، وراجع الصفحة ٢٠ من هذا الكتاب.

والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وَلَّيت ذا قرابة، وإني قد استخلفتُ عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا)[٢٨].

(كانت وفاة الصدّيق ﷺ في يوم الاثنين عشيةً، وقيل بعد المغرب ودُفن من ليلته، وذلك لثمان بَقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد المرض خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض، عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا)[٢٩].

(لما عزم أبا بكر رضي الله عنه على العقد لعمر رضي الله عنه في مرض الوفاة، دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: أخبرني عن عمر فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيت فيه من رجل، ولكن فيه غلظة. فقال أبو بكر :ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقتُهُ فرأيتُني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أرانيَ الرضا عنه، وإذا لنتُ له أراني الشدةَ عليه، لا تذكر يا أبا محمد مما قلتُ لك شيئًا. قال: نعم. ثم دعا عثمان بن عفان، قال: يا أبا عبد الله، أخبرني عن عمر. قال: أنت أخبرُ به. فقال أبو بكر: على ذاك يا أبا عبد الله. قال: اللهم علمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته، وأن ليس فينا مثله. قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبد الله، لا تذكر مما ذكرتُ لك شيئًا. قال: أفعلُ)[٣٠].

<u>قلت:</u> فإن قال قائل: ما الذي يضمن أن يكون اختيار الخلفاء لمن بعدهم كاختيار أبو بكر لعمر رضي الله عنهما، وليس في الأمة كمثليهما؟

أقول: إن العبرة في الطريقة، وبمقاربة الشروط التي رآها أبو بكر في عمر، والتي ملخصها (القوة والأمانة)، وهذه الطريقة بمثابة الترشيح اليوم، كأن يرشح الخليفة نائباً له يستشرف فيه الكفاءة.

٣- الطريقة الثالثة: (الشورى):

الخليفة الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه:

يقول ابن كثير: (ثم استهلت سنة أربع وعشرين ففي أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث

---

[٢٨] تاريخ الطبري.
[٢٩] البداية والنهاية لابن كثير.
[٣٠] تاريخ الطبري.

أيام بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ كان عمر رضي الله عنه قد جعل الامر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين.

فلما فُرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه اجتمعوا رضي الله عنهم، فقال عبد الرحمن: ... اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: جعلت أمري إلى علي. وقال طلحة جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه. فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إلي؟ والله عليَّ ان لا آلو عن أفضلكما.

قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الاسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه)[٣١].

<u>قلت:</u> وليس في الأمة أمثال هؤلاء الستة، في ورعهم وعلمهم وتقواهم، وهم من شهد لهم النبي ﷺ بالجنة وزكّاهم، ولكننا نأخذ العبرة من تلك الطريقة، وهي طريقة الشورى، ففي كل قوم من هم أهلٌ للشورى والحلّ والعقد، من الأكفاء من أهل العلم والتقوى، بحيث لا تكون فيهم، إنما هم أمناء على مصالح الأمة واختيار من يناسبها.

٤- الطريقة الرابعة (الاختيار والطلب):

الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

بعد وفاة عثمان رضي الله عنه شهيدا، آلت الخلافة لعلي رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين، ولا نجد أحسن من يصف كيفية توليه الخلافة من ابنه.

فعن محمد ابن الحنفية، "وهو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما" قال:

أتى علي دار عثمان وقد قتل، فدخل إلى داره وأغلق بابه عليه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك.

---

[٣١] البداية والنهاية.

فقال لهم علي: لا تريدوني، فإني لكم وزير، خير لكم مني أمير، فقالوا: لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، فخرج إلى المسجد فبايعه الناس.

قلت: وهذه الطريقة هي مكمّلة للطريقة السابقة، بحيث أنه إذا ما اجتمع أهل الشورى، فنظروا في أهل الكفاءات من القرشيين فاختاروا الأنسب منهم.

٥- الطريقة الخامسة (السيادة في حقن دماء المسلمين):

خامس الخلفاء الراشدين: الحسن بن علي رضي الله عنهما.

كيف لا والخلافة ثلاثون عاما ولم تنته إلا به؟

أما السيادة، فجده رسول الله ﷺ هو من وصفه بها، فكان سيّداً حقاً وصدقاً، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يخطب، جاء الحسن فقال النبي ﷺ: ﴿**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**﴾[٣٢].

وصفه بأنه "سيّدٌ يُصلِح"، وكان رضوان الله عليه يعلم أن الخلافة ثلاثون عاماً كما قال جده ﷺ، وأن ما بعدها مُلك عضوض، وهذا المُلك العاضّ لا يليق بأهل بيت النبوة، فهم أكرم من أن تكون الدنيا هدفاً لهم أو مسعىً، لذلك قام بالتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حقناً لدماء المسلمين، فقدّم حُرمة الدماء على أن يكون مَلِكاً مُتوّجاً على جماجم الرعيّة.

وقوله ﷺ ﴿**بين فئتين**)، دلّ على أنه رضي الله عنه لم يكن طرفاً في النزاعِ بين فئتي المسلمين، بل هو السيد المُصلح بينهما، أصلح الله به بين الناس، فكان سليل بيت النبوة، والنبوة أرقى من المُلك، المُلك الذي رفض جده ﷺ أن يُؤتاه عندما خيّره ربه، قال رسول الله ﷺ: ﴿**إني أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة، فخُيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة**﴾[٣٣]. وهكذا كان الحسن رضي الله عنه، فكان سبباً لعام الجماعة.

عن يزيد بن خمير قال: سمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يزعمون أنك تريد

---

[٣٢] رواه البخاري.
[٣٣] رواه الإمام أحمد.

الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها بأتياس أهل الحجاز؟![٣٤]

فإن قيل: كيف اعتبرت هذا التنازل من إحدى طرق تولي الخلافة؟

أقول: لأنه عندما يتنازل حاكم ما عن منصبه في الحكم لأجل حقن الدماء وعدم إشغال الأمة بنزاعات وحروب داخلية، وتركه لحاكم آخر في أحد أقاليم البلاد العربية، على أن يكون هذا الآخر من أهل الحكم والقيادة، وإن كان مفضولا عن الأول، فهو بذلك يكون قد أعان على جمع الأمة على حاكم واحد.

ولا يعني هذا أنّه كلما خرج خارجي على حاكم ما، أن يُسلّم الحاكم لهم، ويترك لهم الحُكم، فتكون فوضى وسبيل قتال ودماء، لا ليس هذا المقصد من الكلام، ولا أظن أن يقوله عاقل، ولكنه كما بيّنت قصدي في الحدود التي تتشابه مع ما حدث في واقعة سيدنا الحسن ﵁، وسيدنا معاوية ﵁.

قال ﷻ: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾. (البقرة: ١٢٤)

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله ﷻ: (إن الله ابتلى إبراهيم ﷺ بكلمات تكليفية افعل كذا ولا تفعل كذا، وابتلاه بأن أُلقِي في النار وهو حي، فلم يجزع ولم يتراجع ولم يتجه إلا لله، وكانت قمة الابتلاء أن يذبح ابنه. وكون إبراهيم ﷺ أدى جميع التكليفات بعشق وحب وزاد عليه من جنسها.. وكونه يلقى في النار ولا يبالي، يأتيه جبريل عليه السلام فيقول: ألك حاجة؟ فيرد إبراهيم ﷺ: أما إليك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالي يغنيه عن سؤالي، وكونه وهو شيخ كبير يُبتلى بذبح ابنه الوحيد فيطيع بنفس مطمئنة ورضا بقَدَرِ الله.. يقول الحق: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ موسى وَإِبْرَاهِيمَ الذي وفّى**﴾. (النجم: ٣٦-٣٧) أي وَفَّي كل ما طلب منه وأداه بعشق للمنهج ولابتلاءات الله.. لقد نجح إبراهيم عليه السلام في كل ما ابتلي به أو اختبر به.. والله كان أعز عليه من أهله ومن نفسه ومن ولده.. ماذا كافأه الله به؟ قال: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ أي أن الحق تبارك وتعالى ائتمنه أن يكون إماماً للبشر، والله سبحانه كان يعلم وفاء إبراهيم ولكنه اختبره لنعرف نحن البشر كيف يصطفي الله ﷻ عباده المقربين وكيف يكونوا أئمة يتولون قيادة الأمور. استقبل إبراهيم هذه البشرى من الله وقال كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿**قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾.

[٣٤] البداية والنهاية لابن كثير.

فما هي الذرية؟

هي النسل الذي يأتي والولد الذي يجئ.. لأنه يحب استطراق الخير على أولاده وأحفاده وهذه طبيعة البشر، فهم يعطون ثمرة حركتهم وعملهم في الحياة لأولادهم وأحفادهم وهم مسرورون. ولذلك أراد إبراهيم ﷺ أن ينقل الإمامية إلى أولاده وأحفاده، حتى لا يُحرموا من القيم الإيمانية، تحرس حياتهم وتؤدي بهم إلى نعيم لا يزول، ولكن الله سبحانه وتعالى يردّ على إبراهيم بقضية إيمانية أيضا هي تقريع لليهود. الذين تركوا القيم وعبدوا المادة فيقول جل جلاله: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظالمين**﴾.

فكأن إبراهيم ﷺ بأعماله قد وصل إلى الإمامية، ولكن هذا لا ينتقل إلا للصالحين من عباده العابدين المسبحين).

منهاج النبوة في الخلافة

قال ﷺ: ﴿**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**﴾، فما هو المنهج النبوي في الخلافة؟

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة)[٣٥].

فإذا عرفنا كيف كان منهج الخلفاء الراشدون الخمسة رضوان الله عليهم، عرفنا عندها كيف ستعود في آخر الزمان، فالمنهاج النبوي واحد لا يتغير ولا يتبدل.

فالحُكم أمانة، والأمانة شاقة الحمل، إلا على من أعانه الله ﷻ، لذا كان المنهاج النبوي في تنصيب الإمارة أو القضاء بالتكليف لا بالطلب، ولا ينبغي للمسلم أن يدخل معتركاً ليس هو أهلاً له، فهو مسؤول يوم القيامة عمن استرعاه الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾. (النساء: ٥٨)

وعن عَدِيِّ بن عَمِيرةَ الكندِيِّ، قَال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يقول: ﴿**من استعملْناهُ منكم على عملٍ فكتمنَا مخْيَطًا فما فوقهُ كانَ غُلُولًا يأْتي به يوم القيامَة، قَال: فقام إِليهِ رجلٌ أَسود من الأَنصار كأنّي أَنظر إليهِ، فقال: يا رسول اللَّهِ، اقْبل عنّي عملك، قال: وما لك، قال: سمعتُك تقول كذا وكذا، قال: وأنا أقوله الآن مَن استعملناهُ منكم على عملٍ فلْيجِئْ بقليلهِ وكثيره، فما أوتيَ منه أخذ وما نُهي عنه انتهى**﴾[٣٦].

وقد تقدم الكلام على الخلافة أنها إمامة الأمة الإسلامية كافة، لرجل قرشي يتصف بما يجب عليه، لا ينافسه فيها رجل آخر في حال قيام خلافته، يرعى مصالح الأمة وأمنها، ويسوس أمر دينهم ودنياهم بالكتاب والسنة.

فما هي القواعد التي وضعها النبي ﷺ في هذا؟

[٣٥] رواه الإمام أحمد وصححه الأرناؤوط.
[٣٦] رواه مسلم.

قواعد نبوية في تولي الحكم:

لقد عرفنا مما سبق، الفرق بين الخلافة والمُلك، وكذلك الفرق بين الولاية العظمى والولاية الصغرى، وبقي أن نذكر القواعد العامة التي تشمل كلّ أشكال تولّي الحُكم، من تولي أصغر إمارة وصولا إلى الخلافة العُظمى.

ففي حديث مراحل وأشكال الحكم، في إحدى الروايات، بيّن النبي ﷺ معنى (خلافة على منهاج النبوة)، حيث قال رسول الله ﷺ :

﴿إن أول دينكم نبوة ورحمة وتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله. ثم يكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تذر السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته﴾[٣٧] .

الشاهد من الحديث:

﴿تعمل في الناس بسنة النبي ﷺ﴾، وهذه السنّة تقدم الكلام عن بعضها في الفصل السابق من هذا الكتاب، من حيث أن الخلافة في قريش، وأنها في بني هاشم، ومن حيث الشروط الأخرى عموماً الواجب توفرها في الخليفة.

والآن عرض آخر لهذه السنّة التي تعمل في الناس من أحاديث المصطفى ﷺ:

١- لا بيعة لخليفتين في آن واحد:

عن أبي سعيدٍ الخُدرِيّ ﷺ قَال: قال رسول الله ﷺ: **﴿إذَا بُويِع لِخلِيفتين، فَاقْتلوا الآخَرَ منهما[٣٨]﴾**.

٢- منع طلب الإمارة:

عن أبي سعيد عبد الرَّحمن بن سُمرة ﷺ قَال: قَال لي رسولُ اللهِ ﷺ: **﴿يا عبد الرَّحمن بنَ سمرة لا تسأَل الإمارةَ، فإنَّك إن أُعطيتها من غيرِ مسألَةٍ أُعِنت**

[٣٧] رواه البزار.
[٣٨] رواه الامام مسلم.

عليها، وإن أُعطيتها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإذا حلفتَ على يمينٍ فَرأيت خيراً منها، فَأْت الَّذي هو خيرٌ وكفِّر عن يمينكَ﴾[٣٩].

٣- منع تولي الضعيف:

عن أبي ذرٍّ ﷺ قَال: قلتُ: يا رسول اللهِ أَلا تستعملني؟ فضرب بيده على مِنكبي، ثمَّ قال: **﴿يا أَبا ذرٍّ إنك ضعيفٌ وإنها أمانَةٌ، وإنها يومَ القيامة خزيٌ وندامةٌ إلا مَن أَخذها بحقها وأدَّى الّذي عليه فيها﴾**[٤٠].

٤- عدم الحرص على الولاية:

عن أبي هريرةَ ﷺ أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: **﴿إنَّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة﴾**[٤١].

٥- حسن اختيار البطانة:

عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **﴿ما بعث اللهُ مِن نبيٍّ ولا استخلف مِن خليفةٍ إلا كانت له بِطانتان، بِطانةٌ تأمره بالمعروف وتحُضُّه عليه، وبِطانةٌ تأمره بالشرّ وتحضُّه عليه، والمعصومُ مَن عصمَ اللهُ﴾**[٤٢].

وعن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: قال رسول اللهِ ﷺ: **﴿إذا أراد اللهُ بالأمير خيراً جعل له وزير صِدقٍ، إن نسي ذكَّره، وإن ذكَر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك، جعل له وزير سوءٍ، إن نسي لم يُذَكِّره، وإن ذكر لم يُعنه﴾**.

[٣٩] رواه الشيخان.
[٤٠] رواه مسلم.
[٤١] رواه البخاري.
[٤٢] رواه البخاري.

الخلافة في قريش

لقد اصطفى الله العرب ليبعث منهم خاتم الأنبياء والمرسلين، مبعوثاً للعالمين، عرباً وعجماً. واصطفى من العرب كنانة، من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم سيد الخلق أجمعين محمدا ﷺ.

ولما كان الإسلام دينا خاتَماً ومهيمناً على ما سبقه، وكان لابد للنبي الخاتَم ﷺ كبشر، اللحاق بالرفيق الأعلى، وكان لابد للناس من قائم على أمر دينهم ودنياهم بعد ارتقاء النبي ﷺ.

ولما كان من طبيعة البشر الجِبِلّي – غالبا – حُبّ الرياسة والزعامة والقيادة، على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم، ومنعاً للتنافس والتقاتل وسفك الدماء على هذه الرياسة والزعامة والقيادة.

كان من هدي النبي ﷺ تعليم هذه الأمة الخاتَمة، كيفية اختيار هذا القائد الزعيم كخليفة له.

وهذه سنّة الله ﷻ في خلقه، وهو القائل جلّ وعلا: **﴿إنّي جاعلٌ في الأرضِ خَليفة﴾**، وقال ﷻ: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾**.

فاستخلف هذه الأمة بعد هلاك الأمم السابقة فجعلها خلائفهم على الأرض، يخلفونهم فيها ويعمّرونها، مفضلا بعض خلقه على بعض في الرزق وغيره، مختبرا لهم فيما خوّلهم فيه من فضله، فيعلم المطيع، ويعلم العاصي لما أمر به ونهى عنه، حتى يكون حُجة له أو عليه، والله علام الغيوب سبحانه وتعالى.

لماذا في قريش؟ الإجابة على هذا السؤال ستكون من شقين:

الأول: فيما يخص غير قريش من المسلمين.

الثاني: في مميزات وخصائص قريش.

أولا: لماذا لا تكون الخلافة في غير قريش؟

يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بعدة خصائص، منها الفطرة التي جُبِل عليها الإنسان والتي هي بخلاف الغرائز لدى الحيوانات، وهذه الفطرة تُترجم إلى شهوات وأهواء، وهذه الشهوات والأهواء الموجودة في النفس البشرية تُكوّن العاطفة، ومن العواطف البشرية الحُبّ، والحب منه العقلي ومنه القلبي.

أما العقلي فهو ما يتعلق بالتكاليف والمصالح والتفكير، ومنها كمثال قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن هشام قال: **كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر.**

قال في فتح الباري: (قال الداودي: وقوف عمر أول مرة واستثناؤه نفسه إنما اتفق حتى لا يبلغ ذلك منه فيحلف بالله كاذبا فلما قال له ما قال تقرر في نفسه أنه أحب إليه من نفسه فحلف كذا، قال: وقال الخطابي: حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه، قلت: فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الاختيار ولذلك حصل الجواب بقوله "الآن يا عمر" أي الآن عرفت فنطقت بما يجب).

وأما الحب القلبي، فهو ما لا قانون ولا تقنين له، لأن الحُبّ هم الميل بشدّة بالنفس والقلب إلى شيء من الأشياء، فيحرص عليها كل الحرص، حتى يصبح شهوة تتملّك الإنسان فيسعى لها من غير تفكير في عواقبها.

ومن أخطر ما تميل إليه النفس من الشهوات، هو حُبّ السلطة والتملّك، حب الرئاسة والصدارة، حب الظهور والتميّز.

وهذه غريزة لدى البشر، مغروزة في طبعه، تتفاوت في درجاتها، والقدرة على كبحها ولجمها، من إنسان إلى آخر.

فكم فرّق حبّ السلطة بين الأصدقاء والإخوة ورفقاء الدرب والعمل؟

وكم تسبب الصراع على السلطة في تاريخ البشرية، في سفك الدماء واستباحة المحرمات وقتل الأبرياء وقطع الطرق والسقوط في الرذائل؟

بل لم تعرف البشرية صراعاً أقوى من الصراع على السلطة والرئاسة، فمن أجلها قامت الحروب والاغتيالات، ولأجلها قامت الدسائس والمكائد والخيانات.

حتى أنّ علماء النفس، قاموا بوضع ما أسموه بنظريات علم النفس السياسي، وعلم النفس الاجتماعي، بهدف دراسة وفَهم السلوك والدوافع التي ينتهجها الناس في سبيل الوصول إلى قيادة مجتمعاتهم، إما بسبب نزعة قومية أو طائفية أو مذهبية، وما ينتج عن هذا السلوك من عنف أو تطرف، عن طريق اختلاق الحروب والصراعات، بما لديهم من أتباع يحلمون أيضاً بمغانم ومناصب ما بعد الانتصار.

إذا كان هذا ما توصل إليه علماء النفس، فكيف بخالق البشر العليم الخبير، والقائل في كتابه العزيز: **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. (مريم:٥٩).**

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾. (ال عمران:١٤).

فإذا كانت الشهوات في النساء والبنين والأموال المقنطرة وما يركبه الإنسان، وغيرها من متاع الدنيا، فإن حُبّ السلطة هي سيد هذه الشهوات، لأنها هي من يأتي بكل هذا، أو هي أبرز الطرق للوصول إليها.

وهذا ما عَلِمَهُ النبي صلى الله عليه وسلم، مما علّمه إياه ربه سبحانه وتعالى، فكان أعلم البشر بالشر، وبنفوس وأهواء الناس، وتتجلى لنا هذه المعرفة واضحة من خلال ما ثبت عنه، حيث نهى عن الحرص والتعلق بالسلطة، ومنها قوله ﷺ:

﴿إنَّكم <u>ستحرصون</u> على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة﴾[٤٣].

بل وهذا الحرص على الإمارة له مراحل، أخبر ﷺ عنها، كيف تتدرّج في النفس البشرية:

(إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما فيها، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عارٌ يوم القيامة، إلا من عَدَلَ، وكيف يعدل مع أقربائه؟)[٤٤].

---

[٤٣] رواه البخاري.

وقد علم صلى الله عليه وسلم أسرار الضعف الفطري في الإنسان، واحتمالية تغلب الشهوات والغرائز، وتملكها من الأداء الإنساني عموماً، وتحريض الشيطان له وتزيينه للشبهات والشهوات.

ولمّا كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، حريصاً على تعليمهم ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، وهو آخر الرسل والمبلّغين عن رب العالمين سبحانه وتعالى، فقد وضع القواعد الواضحة في هذا الأمر، أمر خلافته في الأمة، وأوصى بمن يقوم في تحمل هذه المسؤولية العظمى، مُبيناً ومُوضّحاً أن من أوصى لهم بهذه الخلافة فإن الله هو من قد اصطفاهم وآتاهم ما يجعلهم يقومون بها، داعياً ﷺ لهم في التوفيق والقدرة على الأداء ضمن ما وضعه لهم من قواعد.

فأراح بهذا الأمة ورفع عن كاهلها ثقل هذه الأمانة، موصياً إياهم بحُسن الاتباع والطاعة فيما استطاعوا في المعروف، وموصياً لكل ذي حق حقه ولكل ذي قدرة استعماله بحسب قدرته، ناهياً عن الأَثَرَة والظلم والبغي.

وقد فهم الصحابة والأئمة هذه النصائح النبوية البليغة، وترجموها أقوالاً وأفعالاً، ولعلنا نذكر في هذا المقام يوم فتح خيبر، فقد ثبت في الصحاح وغيرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:

(لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله على يديه). والشاهد من القصة:

(فبات الناس يدوكون أيُّهم يُعطاها، حتى قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فلما أصبح أعطاها عليا، ففتح الله على يديه.

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما: (فاستشرف لها من استشرف)، وفي رواية بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: (وأنا فيمن تطاول لها)، وفي رواية علي رضي الله عنه: (فتشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيها)، وفي رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (فتطاولت لها).

فانظر أخي القارئ متى حرص الصحابة رضوان الله عليهم على إمارة جيشٍ وقيادته، فقط حين علموا أن من سيحمل هذه الراية هو ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو كلّ هدفهم في هذه الحياة الدنيا، هذه الشهادة العظيمة، حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[٤٤] رواه الطبراني والحاكم في مستدركه.

وكذلك فهم الأئمة هذه النصائح في خطورة حب السلطة والحرص على الإمارة، فترجموها لنا قائلين:

نقل الإمام ابن عبد البر رحمه الله في كتابه (جامع بيان العم وفضله):

قال فضيل بن عياض: ما من أحد أحب الرئاسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير. وقال أبو نعيم: والله ما هلك من هلك إلا بحب الرئاسة. وقال أبو العتاهية: حب الرئاسة أطغى من على الأرض حتى بغى بعضهم فيها على بعض. ولي في هذا المعنى:

حب الرياسة داء يحلق الدنيـــــا ويجعل الحب حربا للمحبينا

يفري الحلاقيم والأرحام يقطعـــها فلا مروءة تبقى ولا دينـــا

من دان بالجهل أو قبل الرسوخ فما تلفيه إلا عدوا للمحقينــــا

يشنا العلوم ويقلي أهلها حســـدا ضاهى بذلك أعداء النبيينـا

ثانيا: خصائص وميزات قريش:

مما سبق تبين أن حُبّ السلطة والرئاسة من الفطرة، يسعى لها كل مُتشوّف لها، وليست هي هيّنة حتى يتولاها كل من رغب فيها، ولو تُرك الناس وأهواؤهم لفسدت المجتمعات وعمّت الفوضى، فكان لابد للناس من ضابط يضبط هذه الشهوات في التّطلّع إلى المناصب.

وفي الوقت ذاته، هناك قدرات وكفاءات يمتلكها البعض، تخوّله القيام بمهام القيادة أو الرئاسة، فكيف نجمع بين هذا وذاك؟

في الكلام عن الإمامة العظمى، لابد من شرط القرشية، أي أن يكون من قريش، وسأنقل الأدلة وإجماع العلماء على ذلك، ولكن الإمارات الصغرى، وولاية الجيوش والأقاليم ومهام السفارة وغيرها، لم يُشترط لها القرشية، وهنا يأتي دور أصحاب الكفاءات والقدرات ليقوموا فيما يُطلب منهم من صاحب الإمامة العظمى، أي أن الأمر تكليف، لا تطلّع أو استشراف وطلب، وهذا بنص الأحاديث الكثيرة التي صحّت في هذا الباب.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: **(إنا والله لا نولي هذا العمل أحدا يسأله أو أحدا حرص عليه)**[٤٥]. وقوله صلى الله عليه وسلم:

(لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها)[٤٦].

أمّا ما يختص بقريش، فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث تُبيّن خصائص قريش، ولماذا أوصى لهم بالخلافة، وهل هذه الوصية مختصة في وقت كان الإسلام في الجزيرة العربية فقط؟ أم هي صالحة لكل زمان؟

١- الاصطفاء:

إن قبيلةً اصطفاها الله تعالى، واختصّ منها نبيه صلى الله عليه وسلم، لهيَ أولى أن يكون منها خليفته، وليس هذا كلام عاطفي، بل هي مشيئة ربانية، والله أعلم حيث يضع رسالاته، ويضع خلفائهم، وليس الاصطفاء يعني العصمة.

فعن واثلة الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**إنَّ اللَّهَ اصطفىٰ كنانةَ مِن ولد إسماعيل، واصطفىٰ قُريشًا مِن كنانةَ، واصطفىٰ مِن قُريشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني مِن بني هاشمٍ**﴾[٤٧].

وعن العباس رضي الله عنه قال: بلغ النبيَّ ﷺ بعض ما يقولُ النَّاس، فصعِد المنبر فقال: ﴿**مَن أنَا؟ قالوا: أَنت رسولُ اللَّهِ. فقال: أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بن عبد المطَّلبِ، إنّ اللَّهَ خَلق الخلق فجعلني في خير خَلقهِ، وجعلهم فِرقتين فجعلني في خير فِرقةٍ، وخَلق القبائل فجعلني في خير قبيلةٍ، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا، فأَنا خيرُكُم بَيتًا وخيركم نَفْسًا**﴾[٤٨].

٢- الوصية:

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (الأحزاب:٣٦).

قد يتساءل البعض عن الحكمة من اختصاص قريش بالخلافة، وفي ظني أن الحكمة في هذا أن الله أراد أن يكون للمسلمين قبيلة توافقية، يرتضيها الجميع، فلا يطمع فيها أحد ويصطنع الصراعات لأجلها، وقد اختص الله هذه القبيلة – أو

---

[٤٥] رواه مسلم والنسائي وغيرهما.
[٤٦] متفق عليه.
[٤٧] رواه مسلم.
[٤٨] رواه الامام أحمد والترمذي.

بعضها – بصفات، تؤهل أن يخرج منها في كل زمان من يكون أهلاً لقيادة الأمة، والوصية لا تعني العصمة، ولن يخلو زماناً من قرشي أهلٌ للخلافة، بدليل حديث الثقلين، كما سأبيّن بعد قليل إن شاء الله.

فعن معاوية رضي الله ﷺ عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين﴾**[٤٩].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله في "الفتح": (أي لا ينازعهم أحد في الأمر إلا كان مقهوراً في الدنيا مُعذباً في الآخرة).

وهذا ضمانٌ للناس بتكفّل الله تعالى بنصرةِ قريش، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قام جماعة من غير قريش بالخلافة فمن يكفل نصرتهم؟

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان﴾**[٥٠].

قال في "فتح الباري": (قال ابن هبيرة: يحتمل أن يكون على ظاهره وأنهم لا يبقى منهم في آخر الزمان إلا اثنان أمير ومؤمر عليه والناس لهم تبع. قلت: في رواية مسلم عن شيخ البخاري في هذا الحديث "ما بقي من الناس اثنان" وفي رواية الإسماعيلي "ما بقي في الناس اثنان وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى" وليس المراد حقيقة العدد، وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش ويحتمل أن يحمل المطلق على المقيد في الحديث الأول ويكون التقدير لا يزال هذا الأمر، أي لا يسمى بالخليفة إلا من يكون من قريش إلا أن يسمى به أحد من غيرهم غلبة وقهرا وإما أن يكون المراد بلفظ الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض...).

فإن كان المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش، فهذا أمرٌ بالوصية لهم بالخلافة ولا يجوز انتزاعها منهم، وإن كان خبراً، فمن باب أولى أيضاً عند منازعتهم لها، لأنه لن ينالها – أي الخلافة – إلا قُرشياً، بدليل النص نفسه.

فإن قيل: ولكن منهم الصالح والطالح، أُجيب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تقدموا قريشا فتضلوا ولا تأخروا عنها فتضلوا، خيار قريش خيار الناس،**

[٤٩] رواه البخاري.
[٥٠] رواه البخاري.

وشرار قريش شرار الناس، والذي نفس محمد بيده، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لخيارها عند الله أو ما لها عند الله)[٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿الناس تبعٌ لقريش في هذا الشأن، مُسلمهم تَبَع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم﴾**[٥٢].

وهذا ما علمه الصحابة رضوان الله عليهم ورضوا به وأجمعوا عليه، وهذا ما كانوا عليه في سقيفة بني ساعدة، فقد صحّ في مسند الإمام أحمد:

(أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما ذهبا إلى سقيفة بني ساعدة حين اجتمع الأنصار لاختيار خليفة رسول الله ﷺ، تكلَّم أبو بكر ولم يترك شيئًا أنزل في الأنصار وذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار. ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال: **﴿الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقًا ولكم عليهم حقًا مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾**[٥٣].

٣- نصرة الله لهم على من يعاديهم:

عن معاوية رضي الله عنه أيضاً أنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين﴾**[٥٤].

وعن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **﴿من يُرد هوان قريش يُهِنهُ الله﴾**[٥٥].

---

[٥١] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

[٥٢] متفق عليه.

[٥٣] رواه أحمد والطبراني والبيهقي وغيرهم، وصححه العراقي. قال ابن حزم في "الفصل": (وهذه رواية الأئمة من قريش. جاءت مجيء التواتر رواها أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومعاوية وروى جابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت معناها)، وقال ابن حجر في الفتح: (قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيًا لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرد إلا عن أبي بكر الصديق).

[٥٤] رواه البخاري.

[٥٥] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

٤- الصدق والأمانة:

عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال: جمع **رسول الله ﷺ قريشا فقال: ﴿هل فيكم من غيركم، قالوا: لا إلا ابن أختنا ومولانا وحليفنا، فقال: ابن أختكم منكم، ومولاكم منكم، وحليفكم منكم، إن قريشا أهل صدق وأمانة، فمن بغى لهم العواثر كبه الله على وجهه﴾**[٥٦].

٥- رجاحة الرأي:

عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: **﴿إن للقرشي مثل قوة رجلين من غير قريش﴾**[٥٧]. قيل للزهري: ما عنى بذلك؟ قال: نُبلُ الرأي.

٦- الدعاء لهم:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **﴿يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثا: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى، وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار﴾**[٥٨].

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لقريش فقال :**﴿اللهم كما أذقت أولهم عذاباً فأذق آخرهم نوالاً﴾** [٥٩].

---

[٥٦] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.
[٥٧] قيل للزهري: ما عنى بذلك؟ قال: نبل الرأي.
[٥٨] رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
[٥٩] رواه ابن أبي شيبة.

الإجماع على أن الخلافة في قريش

وقد حكاه غير واحد من العلماء، قال الإمام النووي رحمه الله عند حديث ﴿الناس تبع لقريش﴾: (هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة)[٦٠].

وقال القاضي عياض رحمه الله فيما نقل عنه النووي قوله:

(اشتراط كونه – أي الإمام - قرشيًا هو: مذهب العلماء كافة. قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، وقال: ولا اعتداد بقول النّظّام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه: يجوز كونه من غير قريش....). وقال: وقد عدَّها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد منهم فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا)[٦١].

وممن قال بهذا الإجماع أيضًا: الماوردي في الأحكام السلطانية – ابن خلدون في مقدمته – الغزالي في فضائح الباطنية – وأبو بكر الباقلاني في الإنصاف، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله ﷺ.

وقد أجاب الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله على من اعترض على هذا الإجماع فقال في فتح الباري: (ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: ﴿إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل... الحديث﴾. ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش فيحتمل أن يقال: لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشيًا، أو تغير اجتهاد عمر في ذلك والله أعلم).

وممن قال بعدم اشتراط القرشية:

الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه، ومن المعتزلة ضرار بن عمرو قائلا: (حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي إذ هو أقل عددًا وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة) ذكره الشهرستاني في "الملل والنحل" وقال: (والمعتزلة - أي جمهورهم - وإن جوزوا الإمامة في غير قرشي، إلا أنهم لا يجيزون تقديم النبطي على القرشي).

---

[٦٠] شرح النووي لصحيح مسلم.
[٦١] السابق.

<u>فضائل قريش</u>

بلا مقدمات، أستطيع القول بأنه كفى قريشَ فضلاً أن النبي ﷺ منهم. فعن أمِّ هانئ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **﴿فضَّل الله قريشاً بسبع خصال، لم يعطها أحدٌ قبلهم، ولا يعطاها أحدٌ بعدهم: فضَّل الله قريشاً أنِّي منهم، وأنَّ الخلافة فيهم، وأنَّ الحجابة فيهم، وأنَّ السِّقاية فيهم، ونصرهم على الفيل وهم مشركون، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم "لإيلاف قريش﴾**[٦٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان﴾**[٦٣]. قال عاصم في حديثه: وحرك إصبعيه .

وعن سعد بن أبي وقاص قال:**إن رجلا قُتل، فقيل للنبي ﷺ فقال: ﴿أبعده الله، إنه كان يبغض قريشا﴾**[٦٤].

<u>فضائل بني هاشم (العترة):</u>

إنهم أحد الثقلين وسفينة النجاة، إنهم وصية رسول الله ﷺ، إنهم الصفوة وخير بيوت العرب، من أُمرنا أن نصلي عليهم.

قال ﷻ :**﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**. (الأحزاب: ٥٦)

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه: أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيفَ نُصَلِّي عَلَيكَ؟

فقال رسول اللَّهِ ﷺ: **﴿قولوا: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وأزواجه وذرِّيَّته كما صلَّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمَّدٍ وأزواجه وذرِّيَّته كما باركتَ على آلِ إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ﴾**[٦٥].

وعن واثلة الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إنَّ اللَّهَ اصطفىٰ كنانة مِن ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشًا مِن كنانة، واصطفىٰ مِن قريشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني مِن بني هاشمٍ﴾**.

---

[٦٢] رواه البيهقي.
[٦٣] رواه ابن أبي شيبة.
[٦٤] رواه ابن أبي شيبة.
[٦٥] متفق عليه.

الصحابة يعرفون حق آل البيت:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون هذا الفضل وهذا الحق لآل البيت رضوان الله عليهم، وكان على رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: (ارقبوا محمَّدًا ﷺ في أَهل بيتهِ)[٦٦]. وكان رضي الله عنه يقول: (والَّذي نفسي بيده، لَقرابةُ رسول اللَّهِ ﷺ، أَحبُّ إليَّ أَن أَصِلَ مِن قرابَتِي[٦٧]﴾.

وكان سيدنا عمر ﷺ يقدمهم في العطاء على جميع الناس، ويفضلهم في العطاء على جميع الناس، حتى إنه لما وضع الديوان للعطاء كتب أسماء الناس، (قالوا: نبدأ بك؟ قال: لا، ابدؤوا بأقارب رسول الله ﷺ، وضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ ببني هاشم، وضم إليهم بني المطلب)[٦٨].

وذلك لأن بني هاشم وبني المطلب، واحد لا فرق بينهم، فعن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: مشيتُ أنا وعُثمانُ بن عفَّان إِلَى رسول اللَّهِ ﷺ، فقلنا: يا رسول اللَّهِ، أَعطيتَ بني المُطَّلبِ وتركتنا، ونحن وهُمْ منك بمنزلةٍ واحدةٍ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: **﴿إِنَّما بنو المُطَّلِب، وبنو هاشمٍ شيءٌ واحدٌ. قال جُبيرٌ: ولم يَقْسم النَّبِيُّ ﷺ لبنِي عبد شمسٍ، ولا لبني نوفلٍ﴾**[٦٩].

وعند أبي داود: **﴿إِنَّا وبنو المُطَّلِبِ، لا نفترق في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ، وإنَّما نحن وَهُمْ شيءٌ واحدٌ﴾**، وَشَبَّك بين أصابعه.

فلا يعرف لأهل الفضل فضلهم إلا أهل الفضل.

---

[٦٦] رواه البخاري.
[٦٧] متفق عليه.
[٦٨] انظر تاريخ الطبري.
[٦٩] رواه البخاري.

وقفة مع حديث الثقلين

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول اللهِ ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكَّة والمدينةِ، فحَمد اللَّهَ وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثمَّ قال:

﴿أَمَّا بعدُ. أَلا أَيُّها النَّاس، فإنَّما أَنا بشرٌ يوشِك أَن يأْتي رسول ربِّي فأُجيبَ، وأَنا تاركٌ فيكم ثَقَلَينِ :أَوَّلهما كتاب اللَّهِ فيه الهدىٰ والنّور، فخذوا بكتاب اللَّهِ، واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب اللَّهِ ورغَّب فيه، ثُمَّ قال: **وأَهلُ بيتي، أذَكِّركم اللَّهَ في أَهل بيتي، أُذكّركم اللَّهَ في أَهلِ بيتي، أُذكّركم اللَّهَ في أَهل بيتي.** فقال له حُصَينٌ: ومَن أَهل بيتهِ يا زيْدُ؟ أَلَيس نساؤُه مِن أَهل بيته؟ قال: نساؤُهُ مِن أَهل بيته، ولكنْ أَهل بيته مَن حُرم الصَّدقة بعدهُ، قال: ومَن هُم؟ قال: هُم آل عليٍّ، وآلُ عقيلٍ، وآل جعفرٍ، وآل عَبَّاسٍ، قال: كلُّ هؤُلاء حُرم الصَّدقة؟ قال: نعم﴾[٧٠].

روايات الحديث:

١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعا:

- **﴿إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي﴾**[٧١].

- **﴿إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما﴾**[٧٢].

- **﴿إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض﴾**[٧٣].

- **﴿إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله ﷻ وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض﴾**[٧٤].

- **﴿يا أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما: كتاب الله وأهل بيتي...﴾**[٧٥].

---

[٧٠] رواه مسلم.
[٧١] رواه الطبراني والبسوي في المعرفة والتاريخ.
[٧٢] رواه الشجري في أماليه بسند صحيح لغيره.
[٧٣] رواه البسوي في المعرفة والتاريخ، والترمذي.
[٧٤] رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الكبير بنحوه.
[٧٥] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي.

- ﴿إني تارك فيكم اثنين: أحدهما كتاب الله فيه حبل الله المتين، ومن اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...﴾[٧٦] .

٢- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعا:

- ﴿إني تارك فيكم خليفتي: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٧٧] .

- ﴿إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٧٨] .

- ﴿وإني قد تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٧٩] .

- ﴿إني تركت فيكم الخليفتين: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٨٠].

- ﴿إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض﴾[٨١].

- ﴿إني تارك فيكم الثقلين من بعدي: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٨٢].

- ﴿إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾[٨٣].

٣- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا: **﴿إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله سببه بيد الله وسببه بأيديكم وأهل بيتي﴾.**[٨٤]

---

[٧٦] رواه الطبراني في الكبير والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
[٧٧] البسوي في المعرفة والتاريخ.
[٧٨] رواه عبد الحميد في مسنده.
[٧٩] رواه الطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده بلفظ ﴿إني تارك﴾ و﴿حتى يردا علي الحوض جميعا﴾
[٨٠] رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الكبير.
[٨١] رواه الإمام أحمد في مسنده.
[٨٢] رواه الطبراني في الكبير.
[٨٣] السابق.
[٨٤] خلاصة الأسانيد:

العترة وآل البيت وأهل البيت

العترة: ما هي العترة؟

(عترة الرجل: أقرباؤه من ولد وغيره، وقيل: هم قومه دنيا، وقيل: هم رهطه وعشيرته الأدنون مَن مضى منهم ومَن غبر، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه: نحن عترة رسول الله ﷺ التي خرج منها وبيضته التي تفقأت عنه وإنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها، قال ابن الأثير: لأنهم من قريش والعامة تظن أنها ولد الرجل خاصة، وأن عترة رسول الله ﷺ ولد فاطمة رضي الله عنها، هذا قول ابن سيده، وقال الأزهري رحمه الله وفي حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، وقال: قال محمد بن إسحاق: وهذا حديث صحيح، ورفعه نحوه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وفي بعضها: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فجعل العترة أهل البيت، وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطه الأدنون، ابن الأثير: عترة الرجل أخص أقاربه، وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ، قال: فعترة النبي ﷺ ولد فاطمة البتول عليها السلام، وروي عن أبي سعيد قال: العترة ساق الشجرة، قال: وعترة النبي ﷺ عبد المطلب وولده، وقيل: عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم، وقيل: عترة الرجل أقرباؤه من ولد عمه دنيا، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ حين شاور أصحابه في أسارى بدر: عترتك وقومك أراد بعترته العباس ومن كان فيهم من بني هاشم، وبقومه قريشا، والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور في سورة الأنفال، والعتر بالكسر: الأصل، وفي المثل: عادت إلى عترها لميس أي: رجعت إلى أصلها يضرب لمن رجع إلى خلق كان قد تركه)[٨٥].

أهل البيت وآل البيت: (واتَّهَلَ الرَّجُلُ: اتَّخَذَ أَهْلًا، قال:

أنه روي عن سبعة من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة وحسنة وضعيفة، حتى بلغ حد التواتر.
ملاحظة: جميع التخريجات السابقة من كتاب ﴿الزهرة العطرة في حديث العترة﴾ لأبو المنذر سامي بن أنور خليل المصري الشافعي.

وقد اخترت منها ما هو صحيح او حسن فقط.

[٨٥] لسان العرب.

في دَارةٍ تُقْسمُ الأَزْوادُ بَينهمُ   كأَنَّما أَهْلُنا منْها الذي اتَّهَلَا

وأهل المذهب: من يدين به. وأهل الإسلام: من يدين به. وأهل الأمر: ولاته. وأهل البيت: سكانه. وأهل الرجل: أخص الناس به. وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً رضي الله عنه، وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله. وفي التنزيل العزيز: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} القراءة أهلَ بالنصب على المدح، كما قال: بك الله نرجو الفضل وسبحانك الله العظيم، أو على النداء، كأنه قال يا أهل البيت. وقوله عز وجل لنوح عليه السلام: إنه ليس من أهلك، قال الزجاج: أراد ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم، قال: ويجوز أن يكون ليس من أهل دينك. وأهل كل نبي: أمّته. ومنزلٌ آهل أي به أهله. ابن سيده: ومكان آهل له أهل؛ سيبويه: هو على النسب؛ ومأهول: فيه أهل؛ قال الشاعر:

وقدما كان مأهولا   وأمسى مرتع العفر

وأهْل الرجل وأهَلَتُه: زوْجه. وأهَلَ الرجل يَأْهِل ويأْهُل أهلًا وأهُولا، وتأهَّل: تزوَّج. وأهَل فلانٌ امرأة يأْهُلُ إذا تزوجها، فهي مأْهُولَةٌ. والتأهُّل: التزوُّج. وفي باب الدُّعاء: آهَلَكَ اللَّهُ في الجنةِ إيهالا أي زوَّجك فيها وأدخَلَكَهَا. والْآهِلُ: الَّذِي له زوجةٌ وعيالٌ.

وآل الرجل: أهله. وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا كما قالوا آدم وآخر، وفي الفعل آمن وآزر، فإن قيل: ولم زعمت أنهم قلبوا الهاء همزة ثم قلبوها فيما بعد، وما أنكرت من أن يكون قلبوا الهاء ألفا في أول الحال؟ فالجواب أن الهاء لم تقلب ألفا في غير هذا الموضع فيقاس هذا عليه، فعلى هذا أبدلت الهاء همزة ثم أبدلت الهمزة ألفا، وأيضا فإن الألف لو كانت منقلبة عن غير الهمزة المنقلبة عن الهاء كما قدمناه لجاز أن يستعمل آل في كل موضع يستعمل فيه أهل، ولو كانت ألف آل بدلا من أهل لقيل انصرف إلى آلك، كما يقال انصرف إلى أهلك، وآلك والليل كما يقال أهلك والليل، فلما كانوا يخصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقال رجل مؤمن من آل فرعون، وكذلك ما أنشده أبو العباس للفرزدق:

نجوت، ولم يمنن عليك طلاقة   سوى ربة التقريب من آل أعوجا

لأن أعوج فيهم فرس مشهور عند العرب، فلذلك قال آل أعوجا كما يقال أهل الإسكاف)[٨٦].

قال الإمام ابن القيّم الجوزيّة: (واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

١- القول الأول: فقيل هم الذين حرمت عليهم الصدقة وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية الثانية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك حكاه صاحب - الجواهر- عنه وحكاه اللخمي في التبصرة عن أصبغ ولم يحكه عن أشهب.

وهذا القول في الآل أعني -أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة- هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.

٢- والقول الثاني: أن آل النبي هم ذريته وأزواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد قال في باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي أحمد حميد الساعدي استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم وأزواجه وذريته خاصة لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر وفي غير ما حديث (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) وفي هذا الحديث يعني حديث أبي حميد (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته، قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ومن ذريته صلى الله عليك إذا واجهه وصلى الله عليه إذا غاب عنه ولا يجوز ذلك في غيرهم، قالوا: والآل والأهل سواء وآل الرجل وأهله سواء وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث.

٣- والقول الثالث: أن آله اتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ذكره البيهقي عنه ورواه عنه سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أصحاب الشافعي،

[٨٦] لسان العرب.

حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه، ورجحه الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم واختاره الأزهري.

٤- والقول الرابع: أن آله هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.)[٨٧].

وقفة مع فقه الحديث:

قال الإمام النووي رحمه الله: (قال العلماء: سُمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما. وقوله ﷺ **{كتاب الله عز وجل هو حبل الله}**: قيل المراد بحبل الله عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به)[٨٨].

وقال الامام ابن الأثير رحمه الله: (سماهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس: ثُقَل، فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما)[٨٩].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله، وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها)[٩٠].

وقال الإمام الطيبي رحمه الله: (ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، والتمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهُدَاهم وسيرِهم، وفيه إشارَة إلى أنهُمَا بمنزلة التوأمين، الخليفتين عن رسُول الله ﷺ)[٩١].

وقال الإمام التفتنازي: (لاتّصافهم بالعلم والتقوى مع شرف النسب، ألا يُرى أنه ﷺ قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما مُنقذا من الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة)[٩٢].

---

[٨٧] كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام)، وفيه أدلة كل فريق مع مناقشتها لمن أراد الاستزادة.

[٨٨] شرح النووي على مسلم.

[٨٩] النهاية في غريب الأثر لابن الاثير.

[٩٠] المفهم لما أشكل من تلخيص كناب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي.

[٩١] قوت المغتذي على جامع الترمذي للإمام السيوطي.

[٩٢] شرح المقاصد للإمام سعد الدين التفتنازي.

قال الإمام النيسابوري: (أما الكتاب فإنه باق على وجه الدهر، وأما النبي ﷺ فإن كان قد مضى إلى رحمة الله في الظاهر، ولكن نور سره باق بين المؤمنين، فكأنه باق على أن عترته ﷺ وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضا)[٩٣].

وقال الإمام الباقلاني: (وهذا كله يدل على أن أمر القرآن لم يكن مشهوراً عندهم ولا كان عذرهم بيننا منقطعاً، وأنهم لم يعلموا في جميع ما كانوا فيه على نص الرسول في ذلك، بل اجتهدوا واستحسنوا واستعملوا غالب الظن والرأي وتغيروا وتأمروا وعدلوا عن معرفة الصواب وأخذ الأمر عن أهله، ومن أمر بالرجوع إليه، وأن لا يفرقوا بين الكتاب وبينه حيث قال لهم ﷺ: ﴿**إني مخلف فيكم الثقلين وما إن تمسكتم به لم تضلوا...**﴾[٩٤].

وعترة الرجل أهل بيته ورهطه الأدنون[٩٥]، كما أنه في بعض الروايات قال أهل بيتي، والظاهر أن الأمر يتعدى مجرد محبتهم والأخذ برواياتهم والاعتماد على مقالتهم، وهو شيء عظيم ومطلوب بحد ذاته، ولكن هناك أكمل وأولى من مجرد هذا.

فالحبل الممدود من السماء إلى الأرض يوصل العبد إلى ربه ويعطيه الأمان والاستقرار الداخلي والنفسي والواقعي، مع قوة في اليقين والاطمئنان.

وعندما قرن رسول الله ﷺ بين هذا الحبل المتين وبين عترته، دلّ على أن للعترة مثل هذا الحبل في أسباب النجاة، ولكن الأول أقوى وأثقل كما ذكر في الروايات.

اللافت أن مجموع هذه الروايات، يدلّ على أنه لن يخلوا مكان أو زمان من وجود هذه العترة، التي تكون أهلا للتمسك بهم والأخذ منهم واتباعهم، وإلا فما فائدة هذه الروايات التي حث بها النبي ﷺ على عترته، وبشّر بهم، وأوصى لهم، ثم وعد باستمرارية تلازمهم مع كتاب الله ﷻ؟

صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، ولكن الأمة – للأسف – مرّ عليها أزمان فنسيت وتخلّت وابتعدت، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من انحدار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

[٩٣] غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام النيسابوري
[٩٤] الانتصار للقرآن للإمام الباقلاني.
[٩٥] أنظر مرقاة المفاتيح لعلي القاري (قال التوربشتي..)

وما وصلت إليه الأمة من هذا الانحدار إلا بسبب تخليهم هذا واتباعهم لسنن وطرق الأمم الضالة، وهذ مصداق ما أخبر به أيضاً نبي الله ﷺ:

عن أَبي سعيدٍ ﵁ أَنَّ النّبيّ ﷺ قال: **﴿لتتَّبعُنَّ سَنَن مَن قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتّى لو سلكوا جُحر ضبٍّ لسلكتُموه، قلْنا يا رسول اللّهِ الْيهود والنّصارى؟ قال فمَن؟﴾**.[٩٦]

ومن هنا أقول: ما فائدة هذا الكلام إذا لم يُطبّق عملياً؟

ولا يمكن تطبيق مثل هذا إلا إذا تم إبراز مكانة ودور العترة وإعطائهم حقهم المُوصى لهم فيه، وهي الخلافة.

تلك الخلافة المنصوص عليها في الروايات السابقة، وبذلك يكونون قدوةً ظاهرةً ونجدةً مبرزةً لكلّ ضعيفٍ أو مظلوم، حيث لا يمنعه مانع ولا حاجب عن الوصول إلى هذا الحبل والتمسك به والاعتصام فيه.

وإذا ما تتبعنا الروايات السابقة فإننا سنلاحظ التالي:

١- التأكيد على التذكير بمكانتهم: **﴿أذكّركم الله في أهل بيتي﴾**.

٢- وصفهم بأنهم أحد الثقلين الواجب التمسك بهما: ومن معان الثقل: الشيء النفيس الخطير، الوزن، المتاع، الراجح **﴿ثَقُلَت مَوازينه﴾**.

٣- الاهتمام والنظر والتفكّر، كيف تخلف الأمة نبيها ﷺ في عترته: **﴿فانظروا كيف تخلفوني فيهما﴾**.

٤- الوعد النبوي بعدم افتراق العترة والقرآن الكريم، وفي هذا إشارة إلى تلازمهما، أي ثباتهم -أو طائفة منهم- على العمل به، وهذا من أهم متطلبات الخلافة حيث أن القرآن يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فأي خير بعد هذا؟ **﴿لن يفترقا حتى يردا على الحوض﴾**.

٥- (التمسك) بهما، و(الأخذ) عنهما، و(الاتباع) لهما، فيه عصمة من الضلال، وهذا يذكرنا بحديث التمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين والعض عليها بالنواجذ، قال ﷺ: ﴿أُوصيكم بتقوى اللَّهِ والسَّمعِ والطَّاعة وإن عبدًا حبشيًّا فإنهُ من يعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهديِّين الراشدين تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذِ﴾[٩٧]. فهم الممسك والمأخذ، والطريق

---

[٩٦] رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

[٩٧] رواه أبو داود والترمذي.

في العصمة من الاختلاف، ﴿**ما إن تمسكتم به لن تضلوا – ما إن أختم به لن تضلوا – لن تضلوا إن اتبعتموهما**﴾.

٦- كيف لا وهما الخليفتان من بعده ﷺ؟ وقد مر معنا في بداية هذا الكتاب معنى الخليفة وأنه النائب عمن سبقه، وفي هذا راحةً للأمة وتجنباً لويلات التنافس للوصول إلى سدة الخلافة، حتى يبقى الأمر بالتعيين والاستعمال[٩٨] لمن يملك مقومات وملكات المسؤولية في المناصب الأدنى. ﴿**إني تارك فيكم الخليفتين بعدي**﴾.

٩٨ لحديث: ﴿اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة﴾. رواه البخاري.

ثمرة ما سبق:

وهل يبحث المسلم إلا عن طوق النجاة؟ وهل يريد إلا العصمة من النار، والعيش في هذه الحياة الدنيا مطمئنا على نفسه وأهله وماله، آمنا من أطماع الطامعين وكيد الكائدين، متفرغاً لعبادة الله ﷻ، متخففاً عن حمل أثقال التنافس على المُلك والحُكم، قائماً بما كتبه الله ﷻ عليه من دورٍ في عِمارة الدنيا بما يستطيع.

قال ﷺ: **﴿مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل، ومن قاتلنا في آخر الزمان كان كمن قاتل مع الدجال﴾**[٩٩].

وهذا حديث من الأهمية بمكان، ففيه ردٌ على من يقول بأن أمر تفضيل قريش على العرب في الخلافة، أو حصر الخلافة فيهم، هو أمر مختص في القرون الأولى فقط، وليس عنده دليل على تخصيصه، فجميع الأحاديث السابقة هي عامة، لا تختص في زمن دون آخر.

وقد لخّص الإمام السيوطي رحمه الله فضائل العترة حيث قال: (وأن من تمسك بهم وبالقرآن لم يضل، وأنهم أمان للأمة من الاختلاف، وأنهم سادة أهل الجنة، وأن الله وعد ألا يعذبهم، وأن من أبغضهم أدخله الله النار، ولا يدخل قلب أحدٍ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منه ﷺ، وأن من قاتلهم كان كمن قاتل مع الدجال، وأن من صنع إلى أحدهم يداً كافأه ﷺ، يوم القيامة، وأنهم ما من أحد إلا وله شفاعة يوم القيامة، وأن الرجل يقوم لأخيه من مجلسه إلا بني هاشم لا يقومون لأحد)[١٠٠].

---

[٩٩] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يروه، ورواه ابن عدي وقال أرجو أن يكون مستقيما، وحسنه السخاوي، وحسنه الهيتمي في الصواعق المحرقة ج٢، وقال الحافظ في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: يمكن أن يرتقي بمجموع هذه الطرق إلى درجة الحسن لغيره وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري وأنس وابن الزبير ... وجملة القول أن حديث أبي ذر حسن بطرقه. والله أعلم.

[١٠٠] أنموذج اللبيب في فضائل الحبيب ﷺ.

الفصل الثاني

أشكال ومراحل الحكم بعد النبوة

أبوابه:

- أشكال ومراحل الحكم بعد النبوة.
- دوران رحى الإسلام.

أشكال ومراحل الحكم بعد النبوة

بعد أن عرفنا الفرق بين الخلافة والمُلك، سنبدأ في قراءة أشكال الحكم التي مرت بها الأمة، وما بقي منها مستقبلاً، كما أخبر رسول الله ﷺ.

حيث أخبر عن أشكالٍ مختلفةٍ للحكم ستمرّ بالأمّة، فالخلافة الأولى بعد النبوة خلافة راشدة، ثم الخلافة الأخيرة في آخر الزمان أيضاً ستكون خلافة راشدة، وبينهما نوعان من أنواع المُلك هما: العاض والجبري.

وقد نفذ الوعد الصادق حيث أن الأمة مرّت بتلك المراحل الثلاث من الحكم، وبقي أن نرى المرحلة الرابعة منه، تصديقاً وإيماناً بما أخبر به ﷺ.

حيث كانت خلافة راشدة، ثم تبعها مُلكٌ عاض، ثم مُلكٌ جبري، ونحن في هذا الزمن في هذه المرحلة من الجبرية.

الأحاديث التي تُخبر عن مراحل الخلافة والملك بعد النبوة:

١- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه الله، قال: كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة. فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ:

﴿تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت﴾[١٠١].

٢- قال رسول الله ﷺ :

﴿إن أول دينكم نبوة ورحمة وتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله، ثم يكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي

[١٠١] رواه الإمام أحمد والطيالسي والبيهقي والطبري، والعراقي وصححه.

الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تذر السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته﴾[١٠٢].

٣- عن عمر بن الخطَّاب ﷺ عن رسول اللهِ ﷺ: **﴿إنَّ اللَّهَ بدأَ هذا الأَمرَ نبوَّةً ورحمةً، ثمّ يكون خلافةً، ثمّ يكون سلطانًا، ويكون ملكًا، ثمّ يكون جَبريّةً، ثمّ يكون جائزة﴾**[١٠٣].

٤- عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **﴿أوَّل هذا الأمر نُبوةٌ ورحمةٌ، ثمّ يكون خلافةً ورحمةً، ثمّ يكون ملكًا ورحمةً، ثمّ يكون إمارةً ورحمَةً، ثمّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُر فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرّباط، وإنَّ أفضلَ رباطكم عسقلانُ﴾** [١٠٤].

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **﴿إن الله بدأ هذا الأمر حين بدأ بنبوة ورحمة، ثم يعود إلى خلافة، ثم يعود إلى سلطان ورحمة، ثم يعود ملكا ورحمة، ثم يعود جبرية تكادمون تكادم الحمير، أيها الناس، عليكم بالغزو والجهاد ما كان حلواً خضراً، قبل أن يكون مراً عسراً، ويكون تماماً قبل أن يكون رماماً أو يكون حطاماً، فإذا أشاطت المغازي وأكلت الغنائم واستُحلّ الحرام، فعليكم بالرباط فإنه خير جهادكم﴾**[١٠٥].

التر تيب الملاحظ وفق الروايات:

في هذه الأحاديث نلاحظ الترتيب التالي:

١- مرحلة النبوة: (التأسيس النبوي للدولة الإسلامية):

كانت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب في السادس عشر من ربيع الأول، فأصبحت المدينة المنورة، وغدت هي دار الإسلام، ومنطلق الدعوة إلى الله تعالى، وأول دولة إسلامية، ومن هنا بدأ التاريخ.

وعند وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة، استقبله ساكنوها من المهاجرين والأنصار، وكان يسكنها أيضاً قبائلُ من يهود.

---

[١٠٢] رواه البزار.
[١٠٣] رواه محمد بن سليمان الباغندي الكبير في مسند عمر بن عبد العزيز، والجائزة: هي العطية / لسان العرب.
[١٠٤] رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله ثقات.
[١٠٥] رواه الحاكم في المستدرك

بدأ تأسيسُ الدولة العالمية الإسلامية، دولةٌ مستقلةٌ ذاتُ سيادة كاملة في قراراتها وسياساتها وسن قوانينها الربانية، دولةٌ حرةٌ في اقتصادياتها وعهودها، في السلم والحرب، في البناء والعمران، في العدل والمساواة، وفي جميع شؤون الحياة.

وتركزت هذه السيادة والسياسة في بدايتها بعدة أعمالٍ حضارية، فكانت أوّلُ هذه الأعمال:

أولاً: بناء المسجد: منطلق الدين والدعوة والحكم والقيادة.

ثانيًا: المؤاخاة: وهذا فيما بين المسلمين من مهاجرين وأنصار.

ثالثًا: المعاهدات: وهذا يشمل جميع المواطنين من مسلمين ويهود ومشركين، حيث كان من يقيم من قبائلَ يهود (بنو النظير وبنو قينقاع وبنو قريظة).

فالمرحلة المدنيّة، هي مرحلة التشريعات في العبادات والمعاملات والأخلاقيات، فكانت القاعدة والمنطلق الأول إلى تشكيل الدولة العالمية.

٢- مرحلة الخلافة الأولى:

الخلافة الراشدة (خلافة ورحمة): (١١هـ - ٤٠ / ٦٣٢ – ٦٦١)

بدأت بخليفة رسول الله ﷺ، أبي بكر الصدّيق ﷺ، ثم خليفة خليفة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ثم الخليفة الراشدي الثالث وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ثم الخليفة الرابع وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ثم أشهُراً من خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، فكانت به تمام الخلافة على المنهاج النبوي وخلافة الرحمة.

ومن المعلوم أن الخلافة الراشدة كانت ثلاثين عاما فقط، فعن سَفِينَةُ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء﴾**[١٠٦]. وفي رواية: **﴿الخلافَةُ في أُمّتي ثلاثونَ سنةً، ثمّ مُلكٌ بعد ذلك﴾**[١٠٧].

ثمّ قال سفينةُ: امسك عليك خلافة أَبي بكرٍ، ثمّ قال: وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثمّ قال لي: امسك خلافة علِيّ قال: فوجدناها ثلاثينَ سَنةً.

[١٠٦] رواه أبو داود وسكت عنه.
[١٠٧] رواه الترمذي وحسنه ابن حجر في (موافقة الخبر للخبر)، وعند أحمد بسند حسنه شعيب الأرناؤوط: ﴿الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك﴾.

فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وللحسن رضي الله عنه منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً[١٠٨].

وهم الخلفاء الراشدون الخمس، لأن بآخرهم انتهت الخلافة الراشدة، إذاً فالحسن رضي الله عنه منهم.

٣- مرحلة الملك العاض:(سلطان ورحمة)[١٠٩]:

الملك العضوض: (أي يصيب الرعية فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. والعَضُوضُ: من أبْنية المُبالغة. وفي رواية ﴿ثم يكون مُلك عُضُوض﴾ وهو جمع عِضٍّ بالكسر، وهو الخَبيثُ الشَّرِسُ)[١١٠].

بدأت بآخر الخلفاء وأول الملوك سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، عن ابن شوذب قال: كان معاوية يقول: (أنا أول الملوك وآخر خليفة)[١١١].

وهو وإن كان أول الملوك ممن جاء بعده، إلا أن أفضلهم وأعدلهم وخيرهم حكما ورحمة وحلما وسيادة، ولم يأت بعده مثله رضي الله عنه.

وقد دعا له النبي ﷺ فقال: ﴿**اللهم اجعله هاديا واهد به**﴾[١١٢]، وقد وصفه سيدنا عمر رضي الله عنه فقال: ﴿هذا كسرى العرب﴾[١١٣] لما له من هيبة، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿ما رأيت أحدا بعد رسول الله أسود من معاوية، قيل: ولا أبو بكر؟ قال: ولا أبو بكر، قد كان أبو بكر خيرا منه، وكان أسود منه قيل: ولا عمر؟ قال: والله لقد كان عمر خيرا منه ولكنه كان أسود منه قيل: ولا عثمان؟ قال: والله إن كان عثمان لسيدا ولكنه كان أسود منه﴾[١١٤].

وقال علي رضي الله عنه: (لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجال، تندر عن كواهلها كأنها الحنظل، إلا أن يفارقكم معاوية)[١١٥].

---

[١٠٨] ذكره ابن العربي في ﴿أحكام القرآن﴾، والعلقمي في عون المعبود شرح أبو داود، والقاضي عياض ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم، وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم.

[١٠٩] الفرق بين الملك والسلطنة وبين الأمارة: أن الأمارة تكون على إقليما واحدا، أما الملك والسلطنة فقد تمتد إلى أكثر من إقليم، وجميع هذه الثلاثة دون الخلافة.

[١١٠] ابن الأثير في ﴿النهاية﴾.

[١١١] البداية والنهاية لابن كثير. ولا يقال عنه خليفة لأن النبي ﷺ قال أن الخلافة ثلاثون عاما كما مر في الحديث.

[١١٢] أخرجه أحمد والترمذي والطبراني وغيرهم.

[١١٣] أسد الغابة ١٤٥/٤

[١١٤] الآحاد والمثاني ٣٧٩/١

[١١٥] مصنف ابن ابي شيبة ٥٤٨/٧

وقال كعب بن مالك ﷺ: (لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية)[١١٦].

وكان رضي الله عنه يعترف بتفضيل علي ﷺ عليه، ولم يكن يرى أنه أفضل منه أو أحق منه بالخلافة.

جاء أبو موسى الخولاني وأناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: (لا والله، إني لأعلم أن علياً أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً وأنا ابن عمه؟ وإنما أطلب بدم عثمان فأتوه فقولوا له، فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأُسلم له)[١١٧].

وأبي بردة قال: قال معاوية رضي الله عنه: (ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان)[١١٨].

ولما زار معاوية رضي الله عنه المدينة في آخر عهده قال: (إني لست بخيركم، وإن فيكم من هو خير مني: ابن عمر، وعبد الله بن عمرو وغيرهما. ولكني عسيت أن أكون أنكأكم في عدوكم، وأنعمكم لكم ولاية، وأحسنكم خلقاً)[١١٩].

وخطب في أخريات أيامه رضي الله عنه فقال: (إن من زرع قد استُحصد، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيتُ فراقكم وتمنيتم فراقي، ولا يأتيكم بعدي خير مني، كما أن من كان قبلي خير مني، وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي)[١٢٠].

- دول مرحلة الملك العضوض:

بدأت بالدولة الأموية، فقد توالى على حكمها ١٤ خليفة أموي، ولمدة ٩١ عاماً في دمشق، بدأت من: (٤١ هـ - ١٣٢ الموافق ٦٦١ – ٧٥٠م)، ثم الدولة الأموية في الأندلس التي قامت لمدة ثلاثة قرون.

ثم الدولة العباسية: (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) وفيها:

١- الدولة العباسية الأولى: (٧٥٠ – ٨٦١) ميلادي.

٢- الدولة العباسية الثانية: (٨٦١ – ١٢٥٨)، وفيها قامت دويلات:

---

[١١٦] الطبقات الكبرى ١١١/٤

[١١٧] ابن عساكر ٢٢٣/٤

[١١٨] مصنف ابن ابي شيبة 187/٣

[١١٩] سير أعلام النبلاء ١٥٠/٣

[١٢٠] الطبقات الكبرى /٨

(الأدارسة، الطولونيون، الحمدانيون، الفاطميون، الإخشيديون، المزيديون، العقيليون، المرداسيون، المرابطون، الموحدون، الأيوبيون، المرينيون، والوطاسيون، الحفصيون)، ثم الدولة المملوكية: (١٢٥٠ – ١٥١٧) ثم الدولة العثمانية التي قضت على المماليك: (١٥١٧ – ١٩٢٤).

٤- مرحلة الملك الجبري:

الملك الجبري: (جبري: أي عُتُوّ وقَهْر، يقال: جَبَّار بَيِّن الجَبَرُوت، والجَبريَّة)[١٢١]. وهي من نهاية الدولة العثمانية وحلّ الخلافة فيها إلى اليوم.

وفيها جاءت بعض المرويات التي تصفها ببعض الصفات وتتحدث عن بعض كبار مجريات الأحداث فيها، فهمها من فهمها وجهلها من جهلها.

وفي الحديث إشارة إلى آخر أحداث هذه المرحلة، ولنا هنا وقفات مع بعض الروايات:

- ثلاث وقفات في المرحلة الجبرية بين يدي فتح بيت المقدس:

الوقفة الأولى:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿مَنعت العراق درهمها وقفيزها، ومَنعت الشام مديها ودينارها، ومَنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه﴾**[١٢٢].

٢- عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله، فقال: **﴿يوشك أهل العراق ألا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام ألّا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم ثم سكت هنية، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً، قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء أترين أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا﴾**[١٢٣].

---

[١٢١] ابن الأثير في النهاية.
[١٢٢] أخرجه مسلم.
[١٢٣] أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما

٣- جاء في الحديث الذي في أول البحث: **﴿ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت﴾**[١٢٤].

الحديث الأول يشير إلى ثلاثة أقاليم تُحاصَر ويُمنع عنها أموالها وغذاؤها، والحديث الثاني يبيّن أن من يقوم بهذا المنع هم العجم والروم، فالعجم في العراق، والروم في الشام.

وهذا ما يحدث الآن، منذ أن بدأ الحصار على العراق والذي نتج عن قرار الأمم المتحدة رقم ٦٦١ الذي صدر في يوم 6أغسطس 1990 نتيجة الغزو العراقي للكويت، ونص على اقرار عقوبات اقتصادية خانقة على العراق.

الملاحظة الثانية من هذه الأحاديث الثلاثة: أن الحديث الثاني ذكر بعد مرحلة الحصار ظهور (خليفة)، وأن هذا الخليفة يحثو المال حثياً، وفيه اشارات:

<u>الإشارة الأولى:</u>

انتهاء الحصار السابق وعودة الأمة إلى عافيتها، بدليل كلمة (خليفة)، حيث أن الخليفة لا يكون خليفة – كما بينا في الفصل الأول – إلا إذا كان يملك الأقاليم الإسلامية، فدلّ على انتهاء الحصار ودخول هذه الأقاليم في رعاية خليفة.

<u>الإشارة الثانية:</u>

تدل على أن الخلافة التي في آخر الزمان، قد نزلت في الأرض المقدسة، حيث أن حديث ابن حوالة رضي الله عنه يدل على ذلك، وبما أن بيت المقدس – فلسطين – من بلاد الشام، فكيف يكون للخليفة وجود ولم تتحرر فلسطين من اليهود، وكيف يُرفع الحصار عن الشام وهاهم الروم يحاصرونها؟

<u>بقي ملاحظة أخيرة:</u> وهي ورود كلمة (سكت) في الحديثين الثاني والثالث، فالسكوت هُنيّة في الحديث الثاني دلّ على فترة زمنية ليست بالطويلة بين مرحلة الحصارين ومرحلة الخليفة الذي يحثو المال، والسكتة التي في الحديث الثالث جاءت في آخر الحديث بعد انتهاء المراحل الثلاث.

---

[١٢٤] رواه الإمام أحمد والطيالسي والبيهقي والطبري، والعراقي وصححه.

فكأن الترتيب على الشكل التالي:

الملك الجبري وفي آخرها – مجموعة من الأحداث – منها مرحلة الحصار على الأقاليم العربية ثم رفع هذا الحصار ثم فتح بيت المقدس ونزول الخلافة فيها، وبدء مرحلة (فتنة السرّاء) في الأمة، وسنتحدث عنها لاحقا بإذن الله ﷻ.

الوقفة الثانية:

في الحديث الذي قرأناه سابقا وفيه:

﴿... ثمّ يكون إمارةً ورحمةً، ثمّ يتَكادمون عليه تَكادمَ الحُمُر فعليكم بالجهادِ، وإنَّ أَفضلَ جهادكمُ الرِّباطُ، وإنَّ أَفضلَ رباطِكُم عَسْقَلَانُ﴾[١٢٥].

ولنا هنا أيضا ملاحظات:

١- الملاحظة الأولى:

ذُكر من صفات أواخر المرحلة الجبرية تنافس على الحكم، وتسابق نحو الإمارة، وهذا لا يكون إلا كان الجو السائد هو جو من الفوضى وعدم النظام وعدم الاستقرار، أو ما يُشبه الاحتلال، حتى شَبّه هذا التنافس على الحكم كتكادم[١٢٦] الحمير، وهذا التكادم يشبهه تقاتل بين عدد من الكتائب والفصائل المسلحة للاستيلاء على دفة الحكم، ثم لا تكون لأحد منهم بدليل ظهور الخليفة، والخليفة لابد أن يكون قرشي، فالحكم سيكون لهذا القرشي.

٢- الملاحظة الثانية:

هذه المرحلة التنافسية على الحكم – التي تكلمنا عنها – تتوافق مع الجو السائد من الفوضى والذي تكلمنا عنه في الفقرة السابقة، وأقصد مرحلة عدم الاستقرار وحصار الروم الذي استلزم وجود بعض الكتائب والفصائل المسلحة، منها ما هو لمقاومة هذا المحتل أو المحاصِر، ومنها ما هو مزيّف مُصطنع، ومنها ما هو يهدف إلى المال والمناصب والثروة (كتجّار الحروب وأغنياء الحرب).

---

[١٢٥] رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

[١٢٦] "الكَدْم: تَمَشْمُشُ العَظم وتَعَرُّقُه، وقيل: هو العَض بأَدنى الفم كما يَكْدُمُ الحِمار، وقيل: هو العَض عامة، كدَمه يَكْدُمُه ويَكْدِمُه كَدْماً، وكذلك إذا أَثَّرْت فيه بجديدة؛ وقال طرفة: سَقَتْهُ إياةُ الشمسِ إلاَّ لِثاتِه أُسِفَّ، وَلَمْ تَكْدِمْ عليه، بإِثْمِدِ وإنه لَكَدَّامٌ وكَدُوم أي عَضُوض. والكَدْم والكَدَمُ؛ الأُولى عن اللحياني: أَثَرُ العض، وجمعه كُدُوم والكَدْم: اسم أَثر الكَدْم يقال: به كُدُومٌ. / لسان العرب.

٣- الملاحظة الثالثة:

في هذه المرحلة من الفوضى والتنافس على الحكم، جاءت الوصية النبوية في الجهاد، وأن أفضله الرباط – ربما لأن الجهاد بمفهومه الكامل لم يكن مُهيئا بعد – على أنّ الرباطَ هو جهادٌ أيضاً- فقال بالرباط، وأفضل الرباط، ذاك البعيد عن الفوضى والتنافس على الحكم، حيث وضوح الرؤية، والذي يُطلق على ساكنه مرابط، هو عسقلان، ولعله أراد الإشارة إلى تلك البقعة من الأرض عموماً، فسبحان من علّم نبيه البلاغة المعجزة، التي وصف بكلمات قليلة إحدى مراحل الأمة وأوضاعها، بما تحتاج إلى عشرات من الكتب لوصفها.

وعسقلان في الأرض المقدسة، وهي محتلة من اليهود، فكأن الحديث يشير إلى الاستعداد والتهيؤ لنزول الخلافة فيها، وكأنها إشارة إلى نهاية الحكم الجبري. والله أعلم.

الوقفة الثالثة:

- فيما يجتمع على الأمة في المرحلة الجبرية:

١- **الغثائية**[١٢٧]: (كثرة عدد، تعلق بالحياة الدنيا، ترك الجهاد، تسلط العدو)، كل هذه من صفات هذه المرحلة، ولم تتواجد هذه الصفات مجتمعة إلا في هذه المرحلة الجبرية بعد إلغاء الخلافة العثمانية عن الأمة وتمزقها شذراً مذراً.

قال رسول الله ﷺ: **﴿يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت﴾**[١٢٨].

٢- **التبعيّة للغير:** قال رسول الله ﷺ: **﴿لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟﴾**[١٢٩].

---

[١٢٧] الغُثَاءُ: ما يحملُه السَّيلُ من رغوة ومن فُتات الأَشياء التي على وجه الأرض .
والغُثَاءُ رغوةُ القِدر .واحدته: غُثاءة. والجمع: أَغْثاءٌ وغُثاءُ الناس: أَرذالُهم/ المعجم الوسيط.

[١٢٨] رواه الإمام أحمد وأبو داود، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

[١٢٩] أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فلماذا جحر الضب؟

لأن الضب بينه بين العقرب اتفاق، يُؤويها في جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه، ومن طبعه النسيان وعدم الهداية، وبه يضرب المثل في الحيرة، ومن الأمثال المضروبة يقال: أعق من ضب لأنه يأكل صغاره، وأخب من ضب لأنه إذا خدع في جحره وصف بالخبث والمكر، وأضلّ من الضب.

٥- مرحلة الخلافة المنهجية الثانية:

هي مرحلة الأُعطية الربانيّة للأمة، بعد مراحلٍ من الجبرية والحصار والفوضى وتسلط العدو، كما في الحديث:

عن عمر بن الخطَّاب ﵁ عن رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿**إنّ اللَّهَ بدأَ هذا الأَمر نبوَةً ورحمةً، ثمَ يكون خلافةً، ثمَ يكون سلطانًا، ويكون ملكًا، ثمَ يكون جبريَةً، ثمَ يكون جائزة**﴾[١٣٠].

ولكن: إنها مرحلة ابتلاءٍ جديدة، فينظر الله ﷻ كيف تفعل الأمة، فإما استقرار واستقلال وسيادة، وإمّا عودة إلى الفتن والفوضى والانتكاس.

فعن أبي سعيد الخدري ﵁، عن النبي ﷺ قال: ﴿**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**﴾. وفي رواية: ﴿**لينظر كيف تعملون**﴾[١٣١].

وهذا ما أشار إليه حديث دوران رحى الإسلام، وحديث رجاء الأمة.

---

[١٣٠] رواه محمد بن سليمان الباغندي الكبير في مسند عمر بن عبد العزيز، والجائزة: هي العطية / لسان العرب.

[١٣١] أخرجه مسلم.

<u>دوران رحى الإسلام</u>

كيف سيكون حال الأمة في دورتها الجديدة؟ في مرحلة الخلافة الأخيرة التي تسبق نزول المسيح عليه الصلاة والسلام.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿تدور رَحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاما، قال قلت: أمما بقي؟ قال مما مضى﴾**[١٣٢].

جاء في "عون المعبود" للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي :

(قال ابن الأثير في النهاية: يقال دارت رحى الحرب إذا قامت على ساقها، وأصل الرحى التي يطحن بها، والمعنى أن الإسلام يمتد قيام أمره على سنن الاستقامة، والبعد من إحداثات الظلمة إلى تقضي هذه المدة التي هي بضع وثمانون انتهى).

ثم اعلم أن اللام في قوله لخمس للوقت أو بمعنى إلى. قال الأردبيلي:

(واللام في لخمس للوقت كما لو قال أنت طالق لرمضان أي وقته .... . فإن قلت: قد ذكر في الحديث انتهاء مدة دوران رحى الإسلام ولم يذكر فيه ابتداء مدته فمن أي وقت يراد الابتداء. قلت: يجوز أن يراد الابتداء من الهجرة أو من الزمان الذي بقيت فيه من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين..

قال في جامع الأصول: قيل إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة .

ووجهه أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كانت سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة الصفين انتهى ...

﴿فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً﴾: اعلم أنهم لما اختلفوا في المراد بدوران رحى الإسلام على القولين المذكورين اختلفوا

---

[١٣٢] أخرجه أبو داود.

في بيان معنى هذا الكلام وتفسيره أيضا على قولين، فتفسير هذا الكلام على قول الأكثرين هكذا، فقوله : فإن يهلكوا يعني بالتغيير والتبديل والتحريف والخروج على الإمام وبالمعاصي والمظالم وترك الحدود وإقامتها، وقوله: فسبيل من هلك أي فسبيلهم في الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن في الدين سبيل من هلك من الأمم السالفة والقرون الماضية في الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن في الدين .

وقوله: ﴿وإن يقم لهم دينهم﴾: أي لعدم التغيير والتبديل والتحريف والوهن يقم لهم سبعين عاما...، وعلى قول الخطابي والشيخ معناه: فإن يهلكوا - بترك الحرب والقتال - فسبيلهم سبيل من هلك بذلك من الأمم السالفة والقرون الماضية.

وإن يقم لهم دينهم بإقامة الحرب والقتل والقتال يقم لهم سبعين عاماً. هكذا قرر الأردبيلي رحمه الله، وليس الهلاك فيه على حقيقته بل سمى أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدي إليه هلاكا. فإن قلت: في هذا الكلام موعدان: الأول: أنهم إن يهلكوا فسبيلهم سبيل من هلك، والثاني: أنهم إن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما. وهذان الموعدان لا يوجدان معا بل إن وجد الأول لا يوجد الثاني، وإن وجد الثاني لا يوجد الأول، فأي من هذين الموعدين وجد ووقع.

قلت: قال القاري في المرقاة: قد وقع المحذور في الموعد الأول ولم يزل ذلك كذلك إلى الآن. انتهى.

قلت: لا شك في وقوعه فقد ظهر بعد انقضاء مدة الخلفاء الراشدين ما ظهر وجرى ما جرى، فلما وقع ما وقع في الموعد الأول ارتفع الموعد الثاني كما لا يخفى على المتأمل.

وقال التوربشتي: بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمسا وثلاثين أو ستا وثلاثين أو سبعا وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم، فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين.

هذا مقتضى اللفظ ولو اقتضى اللفظ أيضا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحوا من تسع وثمانين سنة والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأول يخالف تأويلنا هذا، وهو قول ابن مسعود.

قلت: أي يا رسول الله ﴿أمما بقي أو مما مضى﴾ يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها ﴿قال مما مضى﴾: يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة، من أول دولة الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين.

مدة رجاء الأمة:

وبالربط بين حديث دوران رحى الإسلام، وحديث مدة رجاء الأمة، نستنتج أننا ربما نعيش في آخر دورة منها، وهي مدة الرجاء، وفي رواية الرخاء، بدليل أن من أمارات مدة الرجاء القذف والرجف والمسخ، فالرخاء هو في أوّل مدة الخلافة، والقذف والمسخ في آخرها. والله أعلم.

عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وقوف إذ أقبل رجل فقال: يا رسول الله ما مدة رجاء أمتك؟ قال فسكت عنه رسول الله ﷺ حتى سأله ثلاث مرات، ثم ولى الرجل، فقال له رسول الله ﷺ: **﴿لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي، رجاء أمتي مائة سنة، قال فقال: يا رسول الله فهل لتلك من إمارة أو آية أو علامة؟ قال: نعم، القذف والخسف والرجف وإرسال الشياطين الملجمة عن الناس﴾**[١٣٣].

ثمرة معرفة كل ما سبق:

الثمرة هي الإيمان بما كتبه الله ﷻ وقدّره على هذه الأمة، ولا يعني هذا القعود والاستسلام، فالمسلم لا يدري ما كُتب له وقُدّر، وهو مأمور بتوحيد الله ﷻ وعبادته، وبعمارة الدنيا بما يفيد تهيئة هذه العبادة، فأي علم يفيد بإقامة عبادة الله ﷻ على النحو الذي أمر به هو علم تعبدي إذا استحضر صاحبها النية في جعل تعلمه خالصا لوجه الله ﷻ.

فالزراعة والصناعة والطبابة وجميع المهن والحرف، هي خادمة في إقامة حفظ النفس والدين والعرض والمال العقل، فبهذه الضروريات الخمس تُقام الحياة، وبالتالي إقامة العبادة لله ﷻ، عبادة العمل، ولا يتنافى جميع هذا مع الإيمان أن للكون رباً، يُنظّمه ويُسيّره كما يريد، قال ﷻ:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (التوبة: ١٠٥).

---

[١٣٣] رواه الحاكم وصححه، وسيأتي تفصيله في المبحث الأخير إن شاء الله.

الفصل الثالث

نزول الخلافة في بيت المقدس

أبوابه:

- المبشرات النبوية وقت المحن والفتن.
- مكان نزول الخلافة.
- الأرض المقدسة.
- الخلافة لا تعود من مكان خروجها.
- فضائل الشام.
- فضائل القدس.

المُبشّرات وقت المحن والفتن

من سُنّة النبي ﷺ أنه كان يُبشّر الأمة بالظفر والنصر في أحلك المواقف والأزمات، وبالفتح المبين في أصعب حالاتها، وهذه البشريات النبوية تدعو إلى التفاؤل والعمل، ونبذ اليأس والكسل.

ورغم أن الأمة اليوم في تمزقها وتداعي الأمم عليها، فإننا نرى ذلك الفجر وذلك النور الذي لطالما علّمنا رسول الله ﷺ أن نراه دائماً، وفي أحلك الحالات، فليس بعد شِدّة الظُّلمة إلا نور الفجر.

ونحن اليوم على ما نحن فيه من فتنٍ وتمزّقٍ، نتلمّس الأملَ والنورَ في أحاديث المصطفى ﷺ، الذي كما بشّر أصحابه في أوقات الأزمات، فإنه أيضاً يُبشّرنا في أحلك حالاتنا، فما أشبه اليوم بالأمس، مع الفارق، فعندما نقرأ – مثلا – هذا الحديث:

عن ابن زُغْبٍ الإياديَّ قال: نزل عليَّ عبد اللَّهِ بن حوالة الأَزديُّ فقال لي: بعثنا رسول اللَّهِ ﷺ لنغْنم على أَقدامنا، فرَجعنَا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجَهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: **﴿اللَّهمّ لا تكلهم إليَّ فأضعُفَ عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسِهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى النّاسِ فيستأثروا عليهم ثمّ وضع يده على رأْسي - أَو قال على هامَتي- ثمّ قال: يا ابن حَوالة، إذا رأَيتَ الخلافةَ قد نزلتْ أَرضَ الْمُقدّسة، فقد دنت الزّلازل والبلابلُ والأمورُ العظام، والسَّاعة يومئذٍ أَقربُ مِن النّاس مِن يدي هذه مِن رأسِكَ﴾**[١٣٤].

فمن يقرأ هذا الحديث وينظر إلى واقع الأمة، سيزداد تفاؤلاً، خاصة عندما يتذكر حال المسلمين في بداية الدعوة حين بدأ الإسلام غريباً، وما لقيه المسلمون من عذابٍ وضنكٍ، فما يكون من رسول الله ﷺ إلا أن يُبشرهم بالنصر والعلو.

فعن خبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: شَكونا إلى رسول اللَّهِ ﷺ، وهو مُتوسِّدٌ بُردةً له في ظِلِّ الكعبة، قلنا له: أَلا تستنصر لنا، أَلا تدعو اللَّهَ لنا؟ قال: **كان الرَّجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقُّ باثنتين، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، ويُمْشَط بأَمشاط الحديد ما دون لحمه مِن عظمٍ**

[١٣٤] أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي الدنيا في العقوبات.

أَو عصبٍ، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، واللَّهِ ليُتمَّنَّ هذا الأمر، حتَى يسيرَ الرَّاكب مِن صنعاء إلى حضرموْت، لا يخافُ إلَا اللَّهَ، أَو الذِّئبَ على غنمه، ولكنَّكم تستعجلونَ﴾[135].

وكذلك الأمر في غزوة الأحزاب، والمسلمون في حالةِ ضنكٍ، من جوع شديدٍ وبردٍ قارصٍ، وعددٍ قليلٍ وأعداء كُثر، وفي أثناء حفر الخندق شكا الصحابة رضوان الله عليهم إلى النبي ﷺ صخرةً لم يستطيعوا كسرها، فجاء النبي ﷺ وأخذ الفأس وقال :

﴿بسم الله، فضرب ضربة كسر منها ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب ثانيةً فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب ضربة كسرت بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا﴾[136].

وها نحن اليوم نستبشر الخير من حديث رسول الله ﷺ، حيث وصلت الأمة إلى مرحلة خطيرة من مراحل الهرج والتمزق، وظهرت الفتن والمحن، فلابد لنا أن نؤمن أنّ الله ﷻ سيُرسل من يقوم بضرب خيشومها. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

(تكون فتنة، فيقوم لها رجال فيضربون خيشومها حتى تذهب، ثم تكون أخرى فيقوم لها رجال فيضربون خيشومها حتى تذهب، ثم تكون أخرى فيقوم لها رجال فيضربون خيشومها حتى تذهب، ثم تكون أخرى فيقوم لها رجال فيضربون خيشومها حتى تذهب، ثم تكون الخامسة دهماء مجللة تنبثق في الأرض كما ينبثق الماء).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من** [137]**الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً﴾**[138].

---

[135] أخرجه البخاري.

[136] أخرجه الإمام أحمد.

[137] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ونعيم بن حماد في الفتن.

[138] أخرجه الامام أحمد، وقال الهيثمي: رجاله ثقاة.

مكان نزول خلافة آخر الزمان:

الحديث القادم يخبرنا أنّ الخلافة القادمة، ستكون حصراً في الأرض المقدسة، وهذه الأرض المقدسة هي أرض فلسطين وما حولها، وعاصمتها مدينة القدس:

فعن ابن حَوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿يا ابن حوالة، إذا رأيتَ الخلافة قد نزلت أرض المقدَّسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك﴾**[١٣٩].

إنها الأرض المقدسة، إنها بلاد الشام، التي ستنزل فيها الخلافة، بعد أن دارت دورتها في بلاد المسلمين، حين انطلقت من المدينة النبوية المنورة، ثم انتقلت إلى الكوفة، ثم إلى دمشق، ثم بغداد، وهكذا دار رحى الإسلام، حتى تعود الخلافة إلى لقدس. فما هي الأرض المقدس؟

الأرض المقدسة:

قال ﷻ: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** (المائدة: ٢١).

جاء في تفسير القرطبي: (وتظاهرت الأخبار أن دمشق قاعدة الجبارين. والمقدسة معناه المطهرة وقال مجاهد: المباركة، والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه. وعن قتادة: هي الشام. ومجاهد: الطور وما حوله. وعن ابن عباس والسدي وابن زيد: هي أريحاء. قال الزجاج: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقول قتادة يجمع هذا كله)[١٤٠]. وقال كعب: (وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده)[١٤١].

وقال ﷻ: **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**

(عن أبيّ بن كعب قال: الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس. وعن الحسن قال: الشام. وعن قتادة: كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينـزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ

---

[١٣٩] رواه أحمد وأبو داود.
[١٤٠] تفسير القرطبي.
[١٤١] تفسير البغوي.

الضلالة الكذّاب الدجال. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ قال: إلى الشام)[١٤٢].

وقال أكثر المفسرين في قوله ﷻ: ﴿المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ أن البركة تشمل بلاد الشام بأكملها بدليل قوله ﷺ: ﴿إن الله ﷻ بارك ما بين العريش والفرات وفلسطين، وخص فلسطين بالتقديس﴾[١٤٣].

وفي قوله ﷻ: ﴿**والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين**﴾: قال أهل التفسير: التين بلاد الشام أي سوريا، والزيتون بلاد فلسطين ﴿**وطور سينين**﴾ الذي كلم الله موسى عليه، ﴿**وهذا البلد الأمين**﴾ مكة.

لا تعود الخلافة الى مكان خروجها:

لقد نزلت الخلافة في عددٍ من البلاد والعواصم تنتقل بينها، حيث كانت انطلاقتها الأولى من مدينة رسول الله ﷺ، ثم انتقلت إلى الكوفة في العراق ثم دمشق ثم بغداد ثم إسطنبول حتى رُفعت.

وهي نازلة في بيت المقدس آخر الزمان بإذنه ﷻ.

عن يونس بن ميسرة الجيلاني قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**هذا الأمر كائن بالمدينة ثم بالشام ثم بالجزيرة ثم بالعراق ثم بالمدينة ثم ببيت المقدس، فإذا كانت ببيت المقدس فثم عقر دارها ولا يخرج من قوم فيعود إليهم**﴾[١٤٤].

اذاً، فعقر دار الخلافة في آخر الزمان هو بيت المقدس، وفي هذا ردّ على من ادعى أن المقصود من خلافة آخر الزمان هي الخلافة الأموية في دمشق.

وقوله: (بالمدينة ثم ببيت المقدس) إشارة إلى بيعة المهدي في الحرم المكي قُبيل انتقاله إلى بيت المقدس دار الخلافة، والله أعلم.

---

[١٤٢] تفسير الطبري.
[١٤٣] رواه ابن عساكر.
[١٤٤] أخرجه نعيم بن حماد في الفتن بإسناد مرسل، فيه ميسرة: ثقة عابد معمر وقد أرسله.

فضائل الشام

وهل للشام سرّ حتى اختصها الله ﷻ بما اختصها به من فضائل؟ ما هو هذا السر؟

هي أرض الرسالات السماوية، بارك الله ﷻ فيها وتكفل بأهلها، وجعلها مهبط المسيح عليه السلام، وأرض المحشر والمنشر، واختصها بفضائل لم يجعلها لغيرها من البلاد.

الإجابة هي أن الله فعّال لما يريد، يَسأل ولا يُسئل، له الأمر وهو العليم الحكيم، يختصّ من يشاء من عباده وما يشاء من أرضه، قال ﷻ:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. (الأحزاب: ٣٦)

وقال ﷻ: **﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**. (آل عمران: ٧٤)

ومن فضائل الشام:

١- دعاء النبي ﷺ لها:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **﴿اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان﴾**[١٤٥].

فإن قيل: لماذا لم يدعوا لنجد؟ فالجواب في الحديث نفسه، لأنه علم من ربه أنه منها تخرج الفتن، ويظهر قرن الشيطان، وفي رواية أن فيها الداء العضال، وليس هذا يعني أن جميع أهل نجد هم أهل شر، فلابد أن فيهم أهل صلاح وخير، ولكن رسول الله ﷺ قد علم أنه سيخرج منها الفتن فكيف يدعو لهذه الفتن بالبركة؟ والبركة تعني الزيادة والنماء، وحاشا رسول الله ﷺ أن يدعو للفتن بالزيادة والنماء، بل لقد كان من هديه الشريف أن دلّ الأمة على أنه سيُخرج من الشام زيافها لتكون أرض الأمان والإيمان حين نزول الفتن، حتى أنه قال للصحابي ابن حوالة رضي الله عنه:

---

[١٤٥] رواه البخاري.

﴿إني أختار لك الشام؛ فإنه صفوة الله عز وجل من بلاده، وإليه يحشر صفوته من عباده، فإن الله عز وجل قد تكفّل بالشام وأهله﴾[١٤٦].

٢- عمود الكتاب:

والعمود في لسان العرب: (الذي تحامل الثقل عليه من فوق كالسقف يعمد بالأساطين المنصوبة. وعمد الشيء يعمده عمدا: أقامه. والعماد: ما أقيم به. وعمدت الشيء فانعمد أي: أقمته بعماد يعتمد عليه).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿بينا أنا نائم إذ رأيتُ عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننتُ أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام﴾**[١٤٧].

وعن عبد الله بن عمْرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَال رسول اللهِ ﷺ: **﴿إني رأيتُ عمودَ الْكتابِ انْتُزِعَ من تحت وسادتِي، فنظرتُ فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمدَ به إلى الشَّام، ألا إنَّ الإيمانَ إذَا وَقعتِ الفتن بالشام﴾**[١٤٨].

فإن كان هذا العمود هو الإيمان أو العلم، فبهما تقوم الأمم، وإن كان هو الخلافة، فلا تعارض إذ بها تقوم للأمة قائمتها وعليها تحامل الثقل، وبالشام يعود للأمة عمودها بعد تفرقها وتمزقها، وتُرفع الفتن عنها بعد غثائيتها وتداعي الأمم عليها.

فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لنا النّبي ﷺ يومًا: **﴿إني رأيتُ الملائكة في المنامِ أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتنُ فإن الإيمان بالشام﴾**[١٤٩].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿رأيتُ عمودًا من نور خرج من تحت رأسي ساطعًا حتى استقر بالشام﴾**[١٥٠].

٣- صفوة الله من بلاده: عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **﴿... إني أختار لك الشام؛ فإنه صفوة الله عز وجل من بلاده، وإليه يحشر صفوته من عباده﴾**[١٥١].

---

[١٤٦] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ورجاله ثقاة.
[١٤٧] رواه الامام أحمد وصححه الارناؤوط.
[١٤٨] رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.
[١٤٩] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.
[١٥٠] رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

٤- الترغيب بالسكنى في الشام:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿**والذي نفس بن مسعود بيده ليوشكن أن يكون أحب شيء على ظهر الأرض إلى أحدكم أن تكون له أحمرة تنقل أهله إلى الشام**﴾[١٥٢].

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال حدثنا رجل من أصحاب محمد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**ستفتح عليكم الشام، فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، فإنها معقل المسلمين من الملاحم، وفسطاطها منها بأرض يقال لها الغوطة**﴾[١٥٣].

٥- تكفل الله بالشام وأهله:

عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: كُنّا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه العُري والفقر وقلة الشيء، فقال رسول الله ﷺ: ﴿**أبشروا، فوالله لأنا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلته، .... عليكم بالشام، فإنه صفوة الله عز وجل من أرض الشام، فإن الله عز وجل قد تكفّل بالشام وأهله**﴾[١٥٤].

وفي رواية: عن عبد الله بن حوالة الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**ستجندون أجناداً: جندا في الشام، وجنداً في العراق، وجنداً في اليمن، قال: قلت: يا رسول الله خر لي، قال: عليك بالشام، فمن أبى، فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله**﴾[١٥٥].

وكان ابن حوالة من الأزد، وكان مسكنه الأردن، وكان إذا حدث بهذا الحديث قال: ومن تكفل الله ﷻ به فلا ضيعة عليه.

٦- الشام مقياس خيرية الأمة:

عن معاويةَ بن قُرةَ عن أبيه ﷺ قَالَ: قَال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿**إذا فسد أهل الشام فلا خيرَ فيكم، لا تزالُ طائفةٌ من أُمتي منصورين، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم حَتَّى تقومَ الساعةُ**﴾[١٥٦].

---

[١٥١] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ورجاله ثقاة.
[١٥٢] رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
[١٥٣] رواه الإمام أحمد.
[١٥٤] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ورجاله ثقاة.
[١٥٥] رواه أحمد وأبو داود والطبراني والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. ذكره العز بن عبد السلام في ﴿ترغيب أهل الإسلام في سكنى أهل الشام﴾.
[١٥٦] رواه أحمد، والترمذي وصححه.

٧- فضل دمشق:

عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **﴿إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام﴾**[١٥٧].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: **﴿إذا وقعت الملاحِمُ بعث الله من دمشقَ بعثًا من الموالي، أكرمَ العرب فرسًا، وأجودهم سلاحًا، يؤيدُ الله بهم الدين﴾**[١٥٨].

قال رسول الله ﷺ: **﴿ستفتح عليكم الشام، إذا خيرتم المنازل فعليكم بمدينة يقال لها: دمشق، فإنها معقل المسلمين من الملاحم، وفسطاطهم منها بأرض يقال لها الغوطة﴾**[١٥٩].

٨- مهبط المسيح عليه السلام:

عن النواس بن السمعان الكلابيّ ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: **﴿إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنته، قلنا: وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، فقلنا: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره، ثم ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيُدرِكه عند باب لد، فيقتله﴾**[١٦٠].

وعن أوس بن أوس الثقفي ﷺ أنه سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه يقول: **﴿ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارةِ البيضاء شرقي دمشق﴾**[١٦١].

٩- وجود الطائفة المنصورة فيها:

عن معاوية ﷺ عن النبي ﷺ قال: **﴿لا تزال طائفة من أُمّتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس﴾**[١٦٢].

---

[١٥٧] رواه أحمد وأبو داود.
[١٥٨] رواه ابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
[١٥٩] رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
[١٦٠] رواه مسلم.
[١٦١] رواه الطبراني في المعجم الكبير.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: ﴿**لا تزال طائفة من أُمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**﴾[١٦٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**لا تزال عصابة من أُمّتي قائمة على أمر الله، لا يضرّها من خالفها، تقاتل أعداءها، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين، يرفع الله قومًا ويرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة. ثم قال رسول الله ﷺ: هم أهل الشام**﴾[١٦٤].

وعن سلمة بن نفيل ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿**لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام يقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**﴾[١٦٥].

١٠- أرض المحشر:

عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جده قَالَ: ﴿**قلت: يَا رسول الله أين تأمرني؟ فقال: ها هنا، وأومأ بيده نحو الشامِ، قال: إنكم محشورون رجالًا وركبانًا، ومُجْرَون على وجوهِكم**﴾[١٦٦].

وعن سالِم بن عبد اللَّه عن أبيه ﷺ قَال: قَال رسول اللَّه ﷺ: ﴿**تَخرج نارٌ في آخر الزَمان من حضرمَوت تحشرُ الناس، قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام**﴾[١٦٧].

وعن زيد بن ثابت ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**طوبى للشام قلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**﴾[١٦٨].

---

[١٦٢] رواه البخاري ومسلم. وزاد البخاري في روايته وأحمد: فقام مالك بن يخامر السكسكي فقال: سمعتُ معاذ بن جبل يقول: وهم بالشام.
[١٦٣] رواه مسلم.
[١٦٤] رواه الطبراني في الأوسط، وحسّنه الارناؤوط في المسند.
[١٦٥] رواه الإمام أحمد.
[١٦٦] رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
[١٦٧] رواه أحمد والترمذي.
[١٦٨] رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

فلماذا الفتن في الشام:

من الطبيعي أن يتبادر إلى ذهن القارئ هذا السؤال: إذا كانت جميع هذه الأحاديث في فضل الشام، فما بالنا نقرأ عن فتنة الشام وأنه سيكون في الشام فتن؟ وقال كعب الأحبار: لن تزال الفتنة مراماً بها ما لم تبد من قبل الشام.

والجواب يأتينا من الصحابي الجليل ابن حوالة ﷺ إذ قال: ﴿فخرتم يا أهل الشام أن قذف الله بالفتن عن أيمانكم وعن شمائلكم، والذي نفس أبي حوالة بيده ليقذفنكم الله بفتنة يخرج منها زيافكم﴾[١٦٩].

وعن ابن شوذب قال: (تذاكرنا الشام. قال: فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ قال: بلى، ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها).

إذن هو التمحيص الإلهي للشام لإخراج زُيّاف الناس منها، وأصل الفتنة في اللغة إدخال الذهب في النار لإخراج باقي المعادن منه حتى يبقى صافيا، وبالتالي تهيئتها لاستقبال خيرة الناس، حتى نزول المسيح عليه السلام فيها، حتى أن الناس سيكون أحب شيء على ظهر الأرض إلى أحدهم أن تكون له أحمرة تنقل أهله إلى الشام كما أقسم ابن مسعود رضي الله عنه على ذلك، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير**﴾[١٧٠]. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ﴿ليأتين على الناس زمان لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام﴾[١٧١].

<u>فضل القدس ومكانتها:</u>

(المقدس: المبارك، والأرض المقدسة: المطهرة، وقال الفراء: الأرض المقدسة الطاهرة)[١٧٢].

قال ﷻ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾. (الإسراء:١)

[١٦٩] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.
[١٧٠] رواه أبو داود.
[١٧١] رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الامام العز بن عبد السلام: ومثل هذا لا يقوله الا توقيفا.
[١٧٢] لسان العرب.

قال البغوي رحمه الله في تفسيره: (بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث أكثر الأنبياء).

وقال ابن عاشور رحمه الله: (والأرض: هي أرض فلسطين، ووصفها الله بأنه باركها للعالمين، أي للناس، يعني الساكنين بها لأن الله خلقها أرض خصب ورخاء عيش وأرض أمن).

وقد جاء في فضائل المسجد الأقصى أحاديث كثيرة، تُبيّن القيمة والمكانة الكبيرة التي متعه الله ﷻ بها، حيث أنه ثان مسجد وُضع في الأرض، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: **﴿قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أول، قال: المسجد الحرام قلتُ ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما، قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتْكَ الصلاة بعدُ فصل فإن الفضل فيه﴾**[173].

فهو مسجد مبارك في أرض مباركة، تحصل البركة لمن أتاه وصلى به، اختاره الله ﷻ ليكون مهبط الإسراء والمسجد الذي أمّ به رسول الله ﷺ بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومعراج نبيه ﷺ إلى السماوات العلى.

فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **﴿أُتيت بالبراق وهو دآبة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغلة، يضع حافره عند منتهى طَرْفه، فركبتُ؛ حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل ـ عليه السلام ـ بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطرة، ثم عُرِج بنا إلى السماء﴾**[174].

وهو من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **﴿لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى﴾**[175].

حيث يضاعف أجر الصلاة فيه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: **﴿تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل، أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلَّى هو،**

[173] متفق عليه.
[174] رواه مسلم.
[175] متفق عليه.

وليوشكنَّ أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعًا، قال أو قال: خير له من الدنيا وما فيها﴾[١٧٦].

وقد كان قِبلة المصلين الأُولى قبل تحويلها إلى الكعبة، فعن البراء ﷺ قال: ﴿صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفه نحو القِبلة﴾[١٧٧].

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **﴿لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا؛ حُكمًا يصادف حكمه، ومُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي أحدٌ لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه، فقال ﷺ: أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون أُعطي الثالثة﴾**[١٧٨].

أمّا الأرض المقدسة عموماً، فقد صحّ فيها أيضاً الكثير من الأحاديث، فهي أرض المحشر والمنشر، وأرض الإيمان في الفتن، وهي أرض الرباط والجهاد، وهي مهاجر الأنبياء ودار هجرة المسلمون، ومحل نزول الخلافة التي على منهاج النبوة في آخر الزمان.

ولم تُذكر الأرض المقدسة في القرآن الكريم إلا وهي مقرونة بوصف البركة أو التقديس أو العالمية، قال ﷻ: **﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾**. (الإسراء:١)

وقال ﷻ على لسان موسى ﷺ: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾**. (المائدة:٢١)

وقال ﷻ حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى الشام: **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾**. (الأنبياء:٧١)

وقال ﷻ :**﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾**. (الأعراف:١٣٧)

وفي قصة سليمان ﷺ يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾**. (الأنبياء:٨١)

---

[١٧٦] رواه الحاكم في المستدرك.
[١٧٧] متفق عليه.
[١٧٨] رواه النسائي وابن ماجة.

الفصل الرابع

حكم الاسرائيليات ومصادر الأخبار

أبوابه:

- توطئة.
- مصادر الأخبار.
- حكم الاسرائيليات.
- عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
- كعب الأحبار رحمه الله تعالى.
- كتاب الفتن لنعيم بن حماد (الكتاب المظلوم).

- توطئة:

ادعى البعض من الغلاة أن الله ﷻ لم يُطلع الغيب على أحد من خلقه، مستدلين، بقوله تعالى:

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾. (الأعراف:١٨٨)

وهذا القول فيه إفراط وغلوّ، لما فيه من تجاهلٍ لكثير من النصوص الصريحة، التي لا تَعارُض بينها وبين هذه الآية من سورة الأعراف.

فالحق الذي عليه المسلمون، أن الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله ﷻ، وأنه يُطلع من شاء من عباده، على ما يشاء من الغيب، وهو الغيب المقيّد، وعلى هذا سرد من الأدلة منها:

قال ﷻ: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا [٢٦] إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾**. (الجن:٢٦-٢٧)

وقال ﷻ: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**. (هود:٤٩)

وقال ﷻ: **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**. (آل عمران:٤٤)

(والغَيْبُ :الشَّكُّ، وجمعه غِيابٌ وغُيُوبٌ، قال أَبو إِسحق في قوله ﷻ: يؤمنون بالغَيْبِ أَي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أَخبرهم به النبـيُّ ﷺ، من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار)[١٧٩]. وقال ابن كثير في قوله ﷻ: (**﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول﴾**: هذه كقوله ﷻ: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾** وهكذا قال ههنا، إنه يعلم الغيب والشهادة، وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه ﷻ عليه).

وقال: (**قوله تعالى: ﴿وما كانَ الله لِيُطلعكُم على الغَيبِ﴾** أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق، لولا ما يعقده من الأسباب

---

[١٧٩] جاء في لسان العرب: وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به، فهو غَيْبٌ؛ وقال ابن الأَعرابي: يؤمنون بالله. قال: والغَيْبُ أَيضاً ما غابَ عن العُيونِ، وإِن كان مُحَصَّلاً في القلوب ويُقال: سمعت صوتاً من وراء الغَيْب أَي من موضع لا أَراه. قال شمر: كلُّ مكان لا يُدْرَى ما فيه، فهو غَيْبٌ؛ وكذلك الموضع الذي لا يُدْرَى ما وراءه.

الكاشفة عن ذلك ثم قال ﷻ: **﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾** كقوله ﷻ: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾)**[١٨٠].

وقال ابن حجر[١٨١]:

(وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال: أنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف عليه السلام قال إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي، إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله: **﴿إلّا مَنِ ارتَضى مِن رّسُولٍ﴾** فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذ وبه يكرم والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها والولي لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو الهام) .

لقد تواتر عنه ﷺ الكثير من الأحاديث، التي تتحدث عن غيبياتٍ كانت في زمنه، وعن أمورٍ وأحداثٍ من زمنه إلى قيام الساعة، بل وما بعد قيام الساعة حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وهذا من معجزات النبوة المتكررة منذ البعثة حتى آخر الزمان، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: **(لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه)**[١٨٢].

وفي رواية عمر رضي الله عنه يقول: **(قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه).**

وعن حذيفة أيضا قال: **(قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه)**[١٨٣].

---

[١٨٠] تفسير ابن كثير. سورة آل عمران، آية ١٧٩.
[١٨١] فتح الباري في شرح البخاري
[١٨٢] أخرجه البخاري.
[١٨٣] أخرجه مسلم.

- مصادر الأخبار:

لابد للمصدر في الأمور الغيبية أن يتصف بأمرين، الأول أن يكون وحياً من السماء، والثاني أن يثبت صحة السند عن هذا الوحي، وبتعبير آخر، أن يكون الخبر إما من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله ﷺ، ورُؤى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن رؤاهم حق، أو مما لا يعارض هذه المصادر مما وصلنا من الكتب السماوية السابقة مما لم يُحرّف منها، ويمكن تفصيل ذلك كالتالي:

تقسيم مصادر تلقي الأخبار:

١- مصادر يقينية: القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة.

٢- مصادر محتملة: الأحاديث الضعيفة والموقوفة والمقطوعة[١٨٤]، والاسرائيليات التي لا تُعارض المصادر اليقينية، مع اقرارنا بأنهم حرّفوا وبدّلوا في كتبهم.

٣- مصادر مكذوبة: الروايات المكذوبة والباطلة ومنقطعة الأسانيد، والاسرائيليات المخالفة لمصادرنا اليقينية، والتكهنات وما شابه.

ومِن تتبُّع ما وُجِد اليوم في ميدان الكتابة، من مواضيع الفتن والملاحم، وجدتُ أن أغلب من تطرق لها اتخذوا مسلكين بارزين:

١- رفض جميع الأحاديث الضعيفة، وما وصلنا عن أهل الكتاب، بل ورفض كتبا بعينها مثل كتاب الفتن للإمام نعيم بن حماد دون سابق دراسة، ومنهم من حرّم ذلك.

٢- بناء التصورات والتوقعات للأحداث المستقبلية من ملاحم وفتن على الاسرائيليات، وكل ما في تراثنا من ضعيف أو باطل أو موضوع، والمبالغة في الاستشهاد بها، بل وصل الأمر لدى البعض في تأليف ما يخطر بباله مما يخدم تصوره والادعاء أنه مخطوط نادر، أو أنه وجد هذا الكلام على حجر -مثلا- في بلاد الشام أو غيرها، وأن هذا الحجر فُقد ولا يعرف أين اختفى، أي كأنه يقول للناس: لا تبحثوا عن مصادري. وهذا استخفاف بعقول الناس، فضلا عن أنه غش وكذب وتزوير، ورجماً بالغيب بغير علم.

إذن كيف يكون المنهج الوسط في هذا الأمر؟ وما هو المنهج العلمي الذي تطمئن له النفس؟

---

[١٨٤] الحديث الموقوف: هو ما انتهي سنده إلى الصحابي، والمقطوع: هو ما انتهى سنده إلى التابعي،

يتلخص هذا المنهج في الاعتماد أولا على الأحاديث الصحيحة والحسنة، لبناء التصور ال عام للأحداث وترتيب العلامات والأشراط مع عدم الجزم أو التكلّف في ذلك أو في تنزيل الأحاديث على الواقع.

مع النظر في معاجم اللغة العربية، وقواعد النحو، لفهم المفردات التي تحمل أكثر من معنى، ثم الأخذ بعين الاعتبار ما اتضح في عصرنا مما أُشكل على من سبقنا من العلماء، بحكم وجودنا في زمان متأخر عنهم، حيث أننا قد علمنا ما لم يعلموه من أحداث بعدهم بحُكم المعاصرة.

التعامل مع مصادر التلقي:

بحسَب التقسيم السابق لهذه المصادر، يمكنني تفصيل ذلك – بما يخدم كتابنا هذا عن الخلافة في بيت المقدس فقط، لا عن علم الفتن عموما – على النحو التالي:

١- المصادر اليقينية:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة الشريفة، قد تحدثا عن فتح بيت المقدس ونزول الخلافة فيها في آخر الزمان، ولا أقصد الفتح الإسلامي زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بل في زماننا هذا، بعد استيلاء اليهود على أرض فلسطين، قال ﷻ:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُئُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. (الإسراء:٧)

وقال تعالى: **﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾**. (الإسراء:١٠٤)

أما ما صحّ من الأحاديث الشريفة فهي كثير موجودة في هذا الكتاب.

إذاً فالبناء العام لموضوع عودة الخلافة مقدسيةً، هو بناء صحيح، من حيث أنّ الفتح قادم لا ريب فيه، ومن حيث نزول الخلافة القرشية الهاشمية فيه، فلا تكلف ولا تنبؤات، ثم أن أحاديث التفاصيل فيها كثيرة، يجب دراستها، ووضع كل حديث بمكانه المناسب، بأفضل مقاربة لها دون ليّ أعناقها، لذا فهذا الكتاب إن شاء الله قائم على هذا الأساس الصحيح، وهو قراءة النص والمُضي خلفه، لا وضع النص كما يحلو للباحث بناءً على تصوره المُسبق.

٢- المصادر المحتملة:

وحيث أن عملنا في هذا الكتاب لا يحدد زمناً متوَقعاً للأحداث، ولا لفتح بيت المقدس ونزول الخلافة فيه، بل هو النظر في الإشارات التي تدور حوله، وترتيبها كما جاءت وفق نصوص تُبيّن ترتيب بعض الأحداث.

فالاستشهاد بالنصوص الواردة بالأسانيد الضعيفة، ومرويات الصحابة رضوان الله عليهم، مما سمعوه أو قرؤوه في الكتب السابقة، وكلام الأحبار الذين أسلموا في القرن الأول مما يسمى بالإسرائيليات، بما يتوافق مع البناء العام من الصّحاح من مروياتنا، مع الإقرار بأن نصوصهم قد دخلها من التحريف والتزوير ما داخلها، ما هي إلا من المصادر المحتمَلة، وذلك لا يُعد من التكلّف أو من التصديق بما لديهم، عملا بالحديث الشريف **﴿حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج﴾**، خاصة أنها لا تحمل أي تشريع يجب العمل به، بل هو لمجرد الاستئناس بها والتقاط الفائدة، والانتباه لما فيها من تحذير وافق الأحاديث الصحيحة.

٣- المصادر المكذوبة:

وهي المرويات الموضوعة، أو النصوص المحرّفة عند أهل الكتاب، وهذا ما لن تجده في هذا الكتاب بإذن الله ﷻ، إلا إن كان سهوا عن غير قصد.

حكم التعامل مع النصوص الإسرائيلية:

التعامل مع النصوص الإسرائيلية يحتاج إلى وعي وفهم، فالأصل هو أنه لا حرج من قراءة كتبهم، ولا حرج من التّحّدث بما فيها.

ولكن يُشترط عدم التأثر بها والتسليم لها، على أنها حق مطلق، لذا فالصواب هو عدم تصديقها ولا تكذيبها، وهذا يعني أن كتبهم فيها حق وفيها باطل، ولكن متى عرفنا الحق منه أخذنا به، ومتى عرفنا الباطل منه تركناه وبيّنا الصحيح، فمجرد النقل عنهم ليس فيه إثم، لأنه لا يترتب على ذلك تصديق أو تكذيب، ولا يُبنى عليه إيمان ولا عمل.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **﴿بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾** [١٨٥]

[١٨٥] رواه البخاري.

ذكر الحافظ ابن حجر عدة أقوال في شرح هذا الحديث فقال:

(قوله: ﴿**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**﴾: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار. وقيل: معنى قوله ﴿**لا حرج**﴾: لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا.

وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا: "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله: ﴿**ولا حرج**﴾ أي في ترك التحديث عنهم. وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا. وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح. وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: ﴾إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه)[١٨٦].

قال رسول الله ﷺ: ﴿**ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه**﴾[١٨٧].

أمثلة عن قبول الصحابة رضوان الله عليهم لبعض الاسرائيليات:

عن سعيد بن المسيب قال: قال علي ﷺ لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر. فقال: ما أراه إلا صادقً، ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾، ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾[١٨٨].

وعن الزهري قال: (أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب)[١٨٩].

---

[١٨٦] فتح الباري شرح صحيح البخاري/ الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ﷺ.
[١٨٧] أخرجه أبو داود.
[١٨٨] تفسير الطبري.

ثمرة ما سبق:

إذاً.. ما الهدف من هذا العرض، ومن هذا المبحث عموما؟

١- الإيمان بالغيب:

فالإيمان بالغيب وبسنن الله ﷻ التي كتبها وقدّرها على هذه الأمة وأخبرنا بها، واجب على كل مسلم، ومعرفتها من البدهيّات التي يجب فَهمها.

٢- معرفة كيفية التعامل مع الأخبار الواردة:

وبهذا العلم يعتصم المسلم من الزلل والوقوع في الفتن، من خلال الأحاديث التي تحذر منها، كفتن الدجال وأئمة الضلال والسفياني وغيرها، والأحاديث التي تُطالب المسلم بالاستعداد لما هو قادم (بادروا بالأعمال...).

٣- فهم الواقع والوعي بمجريات الأمور:

فقد لاحظت أن أكثر الناس، يلتفتون إلى من يظهر في وسائل الإعلام، ممن يسمونهم بـ (المحلل أو – المفكّر – السياسي أو الاستراتيجي أو الصحفي) فيتأثرون بكلامهم وتحليلاتهم على أنها واقع مسلّم به.

وإن كنت لا أنكر علم السياسة والقوانين والاتفاقات الدولية، كواقع موجود، ولكن هناك نقص أو ضعف في تناول دراسة الواقع والاستقراء المستقبلي من وجهة نظر تعتمد على النصوص والروايات الإسلامية، اعتماداً لا تكلّف فيه، ولا تزوير ولا شطط.

٤- الإيمان بأن هذه الحياة الدنيا إنما هي دنيا المتغيرات:

فالسابقون هم تاريخنا، ونحن بالنسبة لمن بعدنا سنكون من تاريخهم، فإذا كنا قد قرأنا في تاريخ أسلافنا، حجم التبدلات والتحولات التي كانت في الأمم والدول والحضارات السابقة، فهذا يعني أننا أيضا سنمرّ في مرحلة تغيرات، على أصعدة متعددة، منها تغيّر في التحالفات، أو زوال لبعض الدول وظهور غيرها، بل ربما نشهد زوالا لقارة بأكملها، ولمَ لا؟ ولدينا من النصوص ما يخبرنا بذلك، وتؤكده علوم الأرض الحديثة، قال ﷺ: **(لن تقوم الساعة حتى تزول الجبال من مراتبها)**[١٩٠].

---

[١٨٩] أخرجه البخاري. قال ابن حجر: وقال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به، ولم يُرِدْ أنه كان كذابًا .وقال غيره: الضمير في قوله لنبلو عليه للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب؛ لكونهم بدَّلوه وحرَّفوه.

[١٩٠] رواه أحمد والطبراني وابن حبان وغيرهم.

وعن كعب الأحبار: (يوشك أن يزيح -يزول- البحر الشرقي حتى لا تجري سفينة فيه، وحتى لا يجوز أهل قرية إلى قرية، وذلك عند الملاحم، وذلك عند خروج المهدي)[١٩١].

٥- معرفة كل مسلم لدوره المنوط به:

فمن لم يكن له دور في بناء الإسلام كان عالة عليه، ومن لم يخطط لدوره من أجل مستقبل الإسلام كان من ضمن مخططات الغير.

يُروى أن النجار الذي بنى منبر نور الدين زنكي الذي وضعه صلاح الدين الأيوبي في المسجد الأقصى عند تحريره من الصليبيين، وبينما هو منشغل في بنائه، كان المُحبطون يقولون له ما فائدة بنائه والأقصى تحت الصليبيين؟ فكان يقول: هذا ما أستطيع القيام به من جهاد في سبيل الإسلام، فلا أعرف حرفة غير النجارة، فلماذا لا أقدم ما أستطيع القيام به، ولابد من يوم يعود في أقصانا لنا.

من يقرأ التقارير الدولية والدراسات الغربية – التي تكلفهم المليارات – تحت عنوان: (الشرق الأوسط بعد إسرائيل)، لا يشك أبدا أن حقيقة قناعة الغرب أن هذا الكيان المصطنع على أرض فلسطين هو في طريقه القريب إلى الزوال بإذن الله ﷻ.

بل هم يعدّون عدّتهم إلى التعامل مع المسلمين بعد هذا زوال هذا الكيان، فأين نحن من الاستعداد للدخول في المرحلة المقبلة؟ مرحلة الخلافة في بيت المقدس، حيث تبدأ الملاحم والفتن، ويعود ظهور الروم، ويخرج جيل جديد من الخوارج، وتبدأ فتن الصراع على الماء، والصراع على ذهب نهر الفرات، وغيرها العديد من الفتن، أليس أقل الواجب هو أن نتعلمها ونعلمها لأبنائنا كي نحذرهم منها، أليس من أقل الواجب أن نبدأ نحن أيضا بوضع الدراسات الاقتصادية والغذائية والدوائية وغيرها؟

---

[١٩١] رواه أبو عمرو الداني في سنن الفتن.

تعريف ببعض الصحابة والتابعين ممن سننقل عنهم

١- الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

هو صاحب رسول الله ﷺ، اسمه: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، كان رضي الله عنه كريما جوادا كثير العبادة والنسك، جمع بين العلم والعمل، وكثرة صيام النهار وقيام الليل والزهد والعمل للآخرة، حتى كبر وضعف وكُفَّ بصرُه. وكان طويلاً أحمر الوجه، عظيم الساقين، سمينًا عظيم البطن.

أسلم وهاجر إلى المدينة المنورة بعد سنة ٧ هـ[١٩٢]، قبل إسلام أبيه الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه كان أحد سادات قريش وأحد سادات المسلمين، وكان عبد الله أصغر من أبيه عمرو باثنتي عشرة سنة فقط[١٩٣].

شهد مع النبي ﷺ بعض الغزوات، كان من أكثر الصحابة حديثا عن النبي ﷺ، وكان يكتب عنه في صحيفة سماها "الصحيفة الصادقة[١٩٤]"، قيل: أنها اشتملت على ألف حديث، وُجِدَ بعضٌ منها في مسند الإمام أحمد بن حنبل، حفظ القرآن الكريم والتوراة وكان عالما بهما[١٩٥].

اختلف الرواة في مكان وزمان وفاته بسبب كثرة جهاده وسعيه لنشر العلم، فقيل بمصر وقيل بمكة مسقط رأسه، وقيل بعسقلان عن عمر يبلغ اثنتين وسبعين سنة.

- مروياته عن النبي ﷺ وعن الاسرائيليات:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما كان أحد أكثر مني حديثاً إلا عبد الله فإنه كان يكتب ولم أكن أكتب).

وقد وصل من مروياته سبعمائة حديث، اتفق البخاري ومسلم له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية أحاديث، ومسلم بعشرين حديثًا، وكان لمسند ابن حنبل النصيب الأكبر منها[١٩٦].

---

[١٩٢] سير أعلام النبلاء.
[١٩٣] أسد الغابة في معرفة الصحابة/ ابن الأثير الجزري
[١٩٤] سير أعلام النبلاء
[١٩٥] الإصابة في تمييز الصحابة/ ابن حجر العسقلاني.
[١٩٦] سير أعلام النبلاء.

عن عبد الله بن عمرو قال: (كان نبي الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح ما يقوم إلا إلى عُظم صلاة)[١٩٧].

رواه أبو داود وقال: هذا خبر حسن، وهو يدل على أن عبد الله بن عمرو أخذ كثيراً من أخبار بني إسرائيل عن النبي ﷺ.

٢- كعب الأحبار[١٩٨]:

هو كعب بن مانع بن هيسوع، ويقال هلسوع، من آل ذي عين، ويقال من ذي الكلاع، ثم من بني ميتم المعروف بكعب الأحبار، من مُسلِمَة أهل الكتاب.

يقال له (الحَبر)، ويقال (الأحبار)، ويكنى بأبي إسحاق، و(الأحبار) جمع حبر، بالكسر والفتح، أي صاحب العلم الواسع والغزير، كما كان يقال لابن عباس الحبر والبحر لعلمه.

أدرك النبيَّ ﷺ وأسلم في خلافة عمر، روى عن عمر رضي الله عنه الأحاديث، وروى عنه ابن عباس، وعبد الله بن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، وكان يروي الإسرائيليات على أنها مما في كتبهم، وليس أنها من قول النبي ﷺ، وكان يغزو مع الصحابة[١٩٩].

وثقه ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر العسقلاني: (تابعي ثقة[٢٠٠]، كان من علماء اليهود وعنده علم غزير، وله إطلاع تام على كتب بني إسرائيل، ويحدّث بأشياء كثيرة عنها).

روى خالد بن معدان: عن كعب الأحبار، قال: (لأن أبكي من خشية أحب إليّ من أن أتصدق بوزني ذهبا)[٢٠١].

توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه فلقد كان من أوعية العلم، جالس الصحابة وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عنهم، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، وثقة.

---

[١٩٧] أخرجه أبو داود.
[١٩٨] أنظر: الإصابة لابن حجر العسقلاني، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وسير الأعلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير
[١٩٩] سير أعلام النبلاء للذهبي.
[٢٠٠] التقريب لان حجر.
[٢٠١] سير أعلام النبلاء

قال ابن كثير رحمه الله: (فإنَ كعب الأَحبار لمَا أسلم في زمن عمر كان يتحدَث بين يديْ عمر بن الخطَّاب رضي اللَّهُ عنه بأَشياء من علوم أَهل الكتاب، فيستمع له عمر تأليفاً له وتعجُّباً ممَا عنده ممَا يوافق كثيرٌ منه الحقَ الّذي ورد به الشرع المطهَّر، فاستجاز كثيرٌ من النَّاس نقل ما يورده كعب الأَحبار، لهذا المعنى، ولمَا جاء من الإذن في التَّحديث عن بني إسرائيل، لكنَ كثيراً ما يقع فيما يرويه غلطٌ).

توفي رحمه الله ﷺ سنة٣٢، والصواب ٣٤هـ[٢٠٢]، قيل كان غازياً مع جيش المسلمين في حمص.

ويُروى أن جمعاً غفيراً قد زاره في مرض يعودونه، فسألوه كيف حالك يا أبا إسحاق؟ فقال: أطمع برحمة ربي لي، وهو إذا شاء عذبني أو يرحمني، وأرجو أن ألقاه وليس عندي ذنب، وأن أُبعث لا ذنب لي.

ومن ثناء الصحابة عليه: قول أبو الدرداء رضي الله عنه عندما سُئل عن كعب فقال: (إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً، إنه أحد الحكماء).

- كعب الأحبار والتوراة:

(روى محمد بن سيرين ، عن أبي الرباب، قال: دخلنا على أبي الدرداء رضي الله عنه نعوده وهو يومئذ أمير، وكنت أحد خمسة ولوا قبض السوس، فأتاني رجل بكتاب، فقال: بيعونيه، فإنه كتاب الله، أحسن أقرأه ولا تحسنون، فنزعنا دفتيه، فأخذه بدرهمين. فلما كان بعد ذلك، خرجنا إلى الشام، وصحبنا شيخ على حمار، بين يديه مصحف يقرأه، ويبكي، فقلت: ما أشبه هذا المصحف بمصحف شأنه كذا وكذا.

فقال: إنه هو، قلت: فأين تريد؟ قال: أرسل إلي كعب الأحبار عام أول، فأتيته، ثم أرسل إلي، فهذا وجهي إليه. قلت: فأنا معك. فانطلقنا حتى قدمنا الشام، فقعدنا عند كعب، فجاء عشرون من اليهود، فيهم شيخ كبير يرفع حاجبيه بحريرة، فقالوا: أوسِعوا أوسِعوا، فأوسَعوا، وركبنا أعناقهم، فتكلموا، فقال كعب: يا نعيم! أتجيب هؤلاء، أو أجيبهم؟ قال: دعوني حتى أفقه هؤلاء ما قالوا، إن هؤلاء أثنوا على أهل ملتنا خيرا، ثم قلبوا ألسنتهم، فزعموا أنا بعنا الآخرة بالدنيا، هلم فلنواثقكم، فإن جئتم بأهدى مما نحن عليه، اتبعناكم، وإلا فاتبعونا إن جئنا بأهدى منه.

---

[٢٠٢] تاريخ دمشق لابن عساكر.

قال: فتواثقوا، فقال كعب: أرسل إلى ذلك المصحف، فجيء به. فقال: أترضون أن يكون هذا بيننا؟ قالوا: نعم، لا يحسن أحد أن يكتب مثله اليوم، فدفع إلى شاب منهم، فقرأ كأسرع قارئ، فلما بلغ إلى مكان منه، نظر إلى أصحابه كالرجل يؤذن صاحبه بالشيء، ثم جمع يديه، فقال: يه فنبذه فقال كعب: آه، وأخذه، فوضعه في حجره، فقرأ، فأتى على آية منه، فخروا سجدا، وبقي الشيخ يبكي. قيل: وما يبكيك؟ قال: وما لي لا أبكي، رجل عمل في الضلالة كذا وكذا سنة، ولم أعرف الإسلام حتى كان اليوم.

وقال همام: حدثنا قتادة، عن زرارة، عن مطرف بن مالك قال:

أصبنا دانيال بالسوس في لحد من صفر، وكان أهل السوس إذا أسنتوا استخرجوه، فاستسقوا به؛ وأصبنا معه ربطتين من كتان وستين جرة مختومة، ففتحنا واحدة، فإذا فيها عشرة آلاف، وأصبنا معه ربعة فيها كتاب، وكان معنا أجير نصراني يقال له :نعيم، فاشتراها بدرهمين.

ثم قال قتادة: وحدثني أبو حسان؛ أن أول من وقع عليه حرقوص، فأعطاه أبو موسى الربطتين، ومائتي درهم. ثم إنه طلب أن يرد عليه الربطتين، فأبى، فشققها عمائم. وكتب أبو موسى في ذلك إلى عمر؛ فكتب إليه: إن نبي الله دعا ألا يرثه إلا المسلمون، فصلِّ عليه، وادفنه.

قال همام بن يحيى: وحدثنا فرقد، حدثنا أبو تميمة ، أن كتاب عمر جاء: أن اغسله بالسدر وماء الريحان.

ثم رجع إلى حديث مطرف بن مالك قال: فبدا لي أن آتي بيت المقدس، فبينا أنا في الطريق، إذا أنا براكب شبهته بذلك الأجير النصراني، فقلت :نعيم؟ قال: نعم. قلت: ما فعلت بنصرانيتك؟ قال: تحنفت بعدك. ثم أتينا دمشق، فلقيت كعبا، فقال: إذا أتيتم بيت المقدس، فاجعلوا الصخرة بينكم وبين القبلة. ثم انطلقنا ثلاثتنا حتى أتينا أبا الدرداء، فقالت أم الدرداء لكعب: ألا تعدني على أخيك؟ يقوم الليل ويصوم النهار. قال: فجعل لها من كل ثلاث ليال ليلة.

ثم أتينا بيت المقدس، فسمعت يهود بنعيم وكعب، فاجتمعوا فقال كعب: هذا كتاب قديم وإنه بلغتكم فاقرؤوه. فقرأه قارئهم حتى أتى على ذلك المكان: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ (آل عمران: ٨٥) فأسلم منهم اثنان وأربعون حبرا، ففرض لهم معاوية، وأعطاهم.

ثم قال همام: وحدثني بسطام بن مسلم، حدثنا معاوية بن قرة، أنهم تذاكروا ذلك الكتاب، فمر بهم شهر بن حوشب ، فقال: على الخبير سقطتم؛ إن كعبا لما احتضر، قال: ألا رجل أئتمنه على أمانة؟ فقال رجل: أنا، فدفع إليه ذلك الكتاب، وقال: اركب البحيرة، فإذا بلغت مكان كذا وكذا، فاقذفه، فخرج من عند كعب، فقال: كتاب فيه علم، ويموت كعب لا أفرط به، فأتى كعبا وقال: فعلت ما أمرتني به قال: فما رأيت؟ قال: لم أر شيئا، فعلم كذبه، فلم يزل يناشده، ويطلب إليه حتى رده عليه، فقال: ألا من يؤدي أمانة؟ قال رجل: أنا.

فركب سفينة، فلما أتى ذلك المكان، ذهب ليقذفه، فانفرج له البحر، حتى رأى الأرض، فقذفه، وأتاه، فأخبره. فقال كعب: إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى :ما غيرت ولا بدلت، ولكن خشيت أن يتكل على ما فيها، ولكن قولوا: لا إله إلا الله، ولقنوها موتاكم. هكذا رواه ابن أبي خيثمة في "تاريخه" عن هدبة، عن همام. وشهر لم يلحق كعبا.

وهذا القول من كعب دال على أن تيك النسخة ما غيرت ولا بدلت، وأن ما عداها بخلاف ذلك. فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التوراة شيئا على وجه الاحتجاج معتقدا أنها التوراة المنزلة؟ كلا والله)[٢٠٣].

---

[٢٠٣] ذكر هذه القصة الامام الذهبي في سير أعلام النبلاء.

كتاب الفتن لنعيم بن حماد ﴿الكتاب المظلوم﴾

كتاب الفتن هو أشهر الكتب التي تناولت مواضيع الملاحم والفتن وأخبار آخر الزمان، وهو أقدم ما وصلنا في هذا الفن، وقد كان أحد الكتب التي أخذ عنها جميع من كتب في هذه المواضيع.

فمن هو صاحب هذا الكتاب؟

هو الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، نعيم بن حماد بن معاوية ابن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، صاحب التصانيف[٢٠٤]. ﴿ت٢٢٩هـ﴾. قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: جاءنا نعيم بن حماد ونحن على باب هشيم نتذاكر المقطعات، قال: جمعتم حديث رسول الله ﷺ؟ قال: فعنينا بها من يومئذ.

وروى الميموني عن أحمد قال: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم بن حماد. قال أبو بكر الخطيب: يقال: إن أول من جمع المسند، وصنفه نعيم. وقال العباس بن مصعب: كان من أعلم الناس بالفرائض.

- حاله بين الجرح والتعديل:

١- من وثقه:

يوسف بن عبد الله الخوارزمي: سألت أحمد بن حنبل عن نعيم بن حماد، فقال: لقد كان من الثقات.

وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: نعيم بن حماد معروف بالطلب، ثم ذمه يحيى وقال: يروي عن غير الثقات.

وقال إبراهيم بن عبد الله بن جنيد: سمعت يحيى بن معين وسئل عن نعيم بن حماد فقال: ثقة.

قال أحمد العجلي: نعيم بن حماد ثقة مروزي.

وقال أبو حاتم: محله الصدق.

---

[٢٠٤] سير أعلام النبلاء للذهبي.

وقال علي بن الحسين بن حبان: وجدت في كتاب أبي بخط يده، قال أبو زكريا: نعيم بن حماد: ثقة صدوق. رجل صدق أنا أعرف الناس به. كان رفيقي بالبصرة كتب عن روح بن عبادة خمسين ألف حديث.

٢- من ضعفه:

قال النسائي: ضعيف، وقال: ليس بثقة.

وقال الذهبي: كم كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته.

وقال أيضا: لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب "الفتن" فأتى فيه بعجائب ومناكير.

٣- القول الفصل فيه:

قال مسلمة بن القاسم: كان صدوقا وهو كثير الخطأ وله أحاديث منكرة في الملاحم انفرد بها.

وقال الحافظ ابن حجر: (أما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة، وقد قال الدارقطني فيه: إمام في السنة كثير الوهم، وقال أبو أحمد الحاكم: ربما يخالف في بعض أحاديثه وقد مضى أن ابن عدي يتتبع ما وهم فيه، فهذا فصل القول فيه)[٢٠٥]. وقال أيضا: (صدوق يخطئ كثيرا، فقيه عارف بالفرائض من العاشرة، وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال: باقي حديثه مستقيم)[٢٠٦].

بعض الأسباب التي تدفع إلى إنكار كتاب (الفتن):

القراءة السريعة لكتاب الفتن، والتي لا تركيز أو تدقيق في محتوياته، سيخرج القارئ منها بأن الكتاب يتحدث عن أحداث وقعت في زمن الخلافتين الأموية والعباسية، وربما يُعذر القارئ على حكمه هذا، ولكنه ليس حكما علميا، لأنه بالتدقيق والتحقيق، سيجد القارئ أن الكتاب يحتوي على ما كان وما سيكون، أي ما وقع فعلا وما سيقع، وسيجد القارئ أيضا أحداثا قد يحتار فيها، هل وقعت أم ستقع لاحقا؟ وذلك بسبب التشابه، إما في أسماء البلاد التي وردت في النصوص، كالشام والعراق مثلا، وإما في تشابه ألقاب بعض الخلفاء، كالمهدي والسفاح، أو حوادث وقعت وسيقع شبيه لها، كظهور السفياني (أبو العُمَيطر) في

---

[٢٠٥] الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيبه ٦٣٨/٥.

[٢٠٦] التقريب للحافظ ابن حجر ترجمة رقم: ٨٠٧٢.

الخلافة العباسية، أو الظهور المتعدد والمتكرر للرّايات السود، أو ربما سيجد تشابها في تكرر ورود أسماء بعض القبائل، كقريش وقيس وقحطان ومذحج وهمدان وغيرها.

لذا لابد للباحث أن يكون مُلماً بالتاريخ والواقع وأشراط الساعة، وما فيها من الشخصيات وأسماء القرى والخلفاء، بل وبتفاصيل كثيرة مما وقع سابقا.

وأخيرا، لابد للباحث من رسم الأحداث بناء على الأحاديث الصحيحة أولا، فيبني الجسم الأصلي مما تَأَكَّد لديه من أحاديث صحيحة، ثم يضع التفاصيل مما ثبت أيضا من النصوص، ثم لا بأس من الاستعانة بمرويات كتاب الفتن لنعيم بن حماد، بما يتوافق ولا يتعارض مع ما وضعه من الجسم أو الخطوط العريضة التي رسمها، على ألا يجزم بما توصل إليه، ولا يُنزل الأحداث والشخصيات على من قد يُشبّه له أنهم المقصود منها، مما يقع في زمنه، فمثلا السفياني هو السفياني، وليس فلان أو علان ممن ظهر في زماننا ويتشابه ببعض الصفات معه، كما أخطأ الكثير من الباحثين في إسقاطاتهم الروايات على أشخاص تبين لهم فيما بعد خطؤهم بسبب التسرع في تنزيل الأحكام. والله أعلم.

الخلاصة:

١- هو إمام في السنة، عالم بالفرائض، صدوق، ثقة عند أكثر أهل الجرح والتعديل، وأول من وضع المسند، ويكفي أن وثقه الإمام البخاري وحدّث عنه مقروناً بآخر، وروى عنه كلا من: أبو داود والترمذي وابن ماجة بواسطة، ويحيى بن معين وأبو محمد الدارمي ومحمد بن يحيى الذهلي وأبو حاتم الرازي، وخلق كثير من كبار أئمة الحديث.

أما الجرح والتعديل فهو اجتهاد يبنيه العالم بعد النظر في سيرة الراوي ومروياته وشيوخه ووجود العلل في أسانيده وغيرها من قواعد الجرح والتعديل.

٢- قول البعض أنه صنّف كتاب الفتن وأتى بعجائب ومناكير:

هذا الكلام على اطلاقه فيه تجنّي، فالكتاب فيه الصحيح والحسن والضعيف، وفيه المرفوع والموقوف، وفيه المقطوع وهو أكثره، وهذا بحد ذاته لا يسقط عدالته وفقا للقاعدة: من أسند لك فقد أحالك، وهذا كان حال الكثير من العلماء في ذلك الزمن كالإمام ابن جرير الطبري في تفسيره وتاريخه، حيث أنه نقل ما سمع، ولكنه نقل بالأسانيد، فيكون بهذا الاسناد قد برئت ذمته، وما على الدارس والباحث إلا النظر في هذه الأسانيد والحكم عليها، فجزى الله هؤلاء العلماء عنا خير

الجزاء، فالأعمار لا تتحمل أن يقوم العالم في ذلك الزمان لوحده بالجمع والتصنيف والتصحيح والتضعيف والجرح والتعديل والشرح والاستنباط.. إلى آخر ما يقال في أنواع هذه العلوم.

مع العلم أن كل نوع منها يحتاج إلى مؤسسة علمية متكاملة من أجل إنجاز ما كان يقوم به آحاد العلماء من جهد علمي.

٣- انصافاً للإمام نُعيم بن حماد، وللعلماء الذين أخذوا على كتاب الفتن ورود أحاديث ضعيفة كثيرة، وعملاً بقاعدة أن الحديث الضعيف يقويه الواقع، أي إذا جاءنا حديثاً سنده فيه ضعف، ولكن متن هذا الحديث قد وقع فعلاً، فإن هذا مما يُصحح الحديث لوقوعه، فالتصحيح والتضعيف مبني على اجتهاد العلماء وفق قواعد وضوابط وضعها أكابر علماء الأمة، وذهبوا إلى أن التضعيف مقدم على التصحيح احترازاً لحديث رسول الله ﷺ.

لذا قال العلماء أن الحكم على حديث ما بضعف سنده، ليس بالضرورة أن يكون متنه أيضا ضعيفاً، فقد يكون مروياً بأسانيد أُخرى صحيحة، وكذلك لا يعني صحة السند صحة للمتن دائماً، فقد يكون فيه علة لم تظهر لأحد العلماء وظهرت لغيره.

الشاهد أن كتاب الفتن للإمام نعيم قد احتوى على أحاديث صححها الواقع الذي نراه في زماننا ولم يشاهده علماء العصور السابقة، أيضاً قد حوى على أحاديث ضعفها العلماء بسبب أحد الرواة لكن المتن نفسه موجود في كتب الصحاح وغيرها.

أمر آخر قد يجهله الكثير اليوم ممن يردد عبارات: (كتاب الفتن كتاب مناكير وموضوعات وإسرائيليات) دون سابق دراسة، لو أجهد نفسه وأمعن النظر في متون أكثر المرويات، لوجد تعدد الأسانيد والطرق والرواة للمتن نفسه، أو لفكرة متن واحد مع تغير في بعض الألفاظ، كأحاديث السفياني مثلا، التي رواها الإمام أبي عمر الداني في كتابه السنن والحاكم في المستدرك، وقد جاء خبر السفياني عن عدد من الصحابة كسيدنا علي وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعمار وثوبان رضي الله عنهم، منها المرفوع ومنها الموقوف، وقد رواها عنهم عدد من التابعين وأتباعهم كالإمام الزهري ومحمد بن الحنفية ومكحول وضمرة ومطر ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم.

وأخيراً فإن الاسرائيليات التي رواها الإمام نعيم في كتاب الفتن لا تخرج عن إطار ما صحّ عن النبي ﷺ: **﴿حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج﴾**.

ونحن إذ ننقل ما وصلنا مما صحّ اسناده عن الصحابة رضوان الله عليهم مما تلقوه من مَسلمة الأحبار ككعب ووهب رحمهم الله، أو ما قرؤوه فيما وجدوه من كتب في فتح تستر كالمنسوب إلى النبي دانيال عليه السلام، أو ما يُقال أن سيدنا عبدالله بن عمرو وجده في فتح اليرموك بما يعرف بالزاملتين.

فإنما نحن ناقلون عمن هو أتقى وأعلم منا، ممن زكاهم الله ﷻ ورسوله ﷺ من الصحابة الكرام.

الفصل الخامس

المهدي

أبوابه:

- المهدي لغة واصطلاحا.
- تعريف بمهدي آخر الزمان.
- المهدي آخر خلفاء بيت المقدس.
- حديث عدد الخلفاء.
- خلفاء بيت المقدس.
- شخصيات يملكون وليسوا خلفاء.

المهدي لغة واصطلاحا:

قال ﷻ: ﴿**وَمَن يَهدِ الله فَهوَ المُهتَدِ**﴾. (الكهف:١٧)

وقال ﷻ: ﴿**وَلِكلِّ قَومٍ هَادٍ**﴾. (الرعد:٧)

المهدي لغةً: اسم مفعول من هداه هدًى وهَدْيًا وهداية، والهُدَى هو الرشاد والدلالة.

والمَهْدِيُّ: الذي قد هَداه الله إِلى الحق، وقد اسْتُعْمِل في الأَسماء حتى صار كالأَسماء الغالبة، وبه سُمي المهْدِيُّ الذي بَشَّر به النبيُّ، ﷺ، أَنه يجيء في آخر الزمان، ويريد بالخلفاء المهديين أَبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً، رضوان الله عليهم، وإِن كان عامّاً في كل من سار سِيرَتَهم، وقد تَهَدَّى إِلى الشيء واهْتَدَى[٢٠٧].

قال ابن الأثير: (المهدي الذي هداه الله إلى الحق)[٢٠٨]، وقد جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ دعا لبعض الصحابة فقال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: ﴿**اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به**﴾[٢٠٩].

ودعا لابن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه – وكان لا يثبت على الخيل – فضرب صدره وقال ﷺ: ﴿**اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا**﴾[٢١٠].

ودعا لأبي سلمة رضي الله عنه فقال: ﴿**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**﴾[٢١١].

الخلاصة:

يُطلق لفظ المهدي على غير المهدي محمد بن عبد الله مهدي آخر الزمان، وقد أشرت إلى هذا لأننا سنحتاج هذه الفائدة في المبحث القادم إن شاء الله ﷻ.

__اصطلاحًا:__ هو الذي بشَّر به النبي -ﷺ- أنه يجيء في آخر الزمان، ويؤيد الدين، ويُظهِر العدل، ويتبعه المسلمون، ويكون من أهل بيته -ﷺ- ويخرج في زمن عيسى والدجَّال.

---

[٢٠٧] أنظر لسان العرب.
[٢٠٨] النهاية لابن الاثير.
[٢٠٩] أخرجه الترمذي وأحمد وأبو نعيم في الحلية.
[٢١٠] أخرجه البخاري وأحمد وابن ماجة.
[٢١١] أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد. وتمامه: ﴿..... واخلفه في عقبة الغابرين﴾.

مهدي آخر الزمان

- الاسم والنسب:

محمد بن عبد الله الحسني العلوي الفاطمي؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحد، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئتْ ظلمًا وجورًا﴾**[٢١٢].

وهو من ولد فاطمة رضي الله عنها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **﴿المهديُّ من عترتي من ولدِ فاطمة﴾**[٢١٣].

- صفاته:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **﴿المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف**[٢١٤]**، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، ويملك سبع سنين﴾**[٢١٥].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **﴿لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني -أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي﴾**[٢١٦].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الانف، يملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين﴾**[٢١٧].

---

[٢١٢] أخرجه أبو داود، والترمذي وقال حسن صحيح.

[٢١٣] أخرجه أبو داود وابن ماجة.

[٢١٤] قال في النهاية: أجلى: خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته، والأقنى: طويل الأنف رقيق أرنبة الأنف مع حدب في وسطه.

[٢١٥] أخرجه أبو داود.

[٢١٦] رواه أبو داود.

[٢١٧] رواه أبو داود، والسيوطي وصححه.

- تواتر أحاديث المهدي:

لقد جزم عدد من الحفاظ والعلماء أن أحاديث المهدي متواترة، وقال الإمام ابن حجر في الفتح:

(وقال أبو الحسن الخسعي الآبدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، ذكر ذلك ردا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه ولا مهدي إلا)[٢١٨].

المهدي في صحيح البخاري:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم). ورواه مسلم أيضاً.**

المهدي في صحيح مسلم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)**.

في هذين الحديثين، ينزل المسيح عليه السلام في وقت إقامة صلاة، ويكون (الإمام) وهو نفسه (أميرهم)، يتهيّؤ للإمامة، فعندما يرى المسيح عليه السلام، يدعوه للإمامة، ولكنه يكرمه بها تكرمة لأمة النبي ﷺ.

هذا الإمام الأمير، أجمع الأئمة والشّرّاح على أنه مهدي آخر الزمان، يبعثه الله تعالى ليصلح الناس ويقودهم إلى الخير، فيجمع كلمتهم به.

---

٢١٨ مناقب الشافعي، للسجستاني ﴿ت٣٦٣هـ﴾، وقد وافقه على هذا عدد من العلماء، منهم:
- الإمام القرطبي في كتابه "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" - الإمام أبو الحجاج المِزّي في كتابه "تهذيب الكمال".

- الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "المنار المُنيف" - الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، وفي "تهذيب التهذيب" أيضًا - الحافظ السخاوي في كتابه "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" - الحافظ السيوطي في آخر كتابه "العرف الوردي في أخبار المهدي" - الفقيه ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه "الصواعق المحرقة"، وأيضًا في كتابه "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر"، إلا أنه لم يصرح في هذا الكتاب الأخير باسمه، بل قال: ﴿قال بعض الأئمة﴾ - العلامة الملا علي القاري في كتابه "رسالة المهدي من آل الرسول" - العلامة الفقيه مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه "فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر"، وقد ذكره العلامة صديق حسن خان في "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" - الشيخ محمد البرزنجي في كتابه "الإشاعة في أشراط الساعة" - العلامة الزرقاني في "شرح المواهب".

<u>المهدي آخر خلفاء بيت المقدس</u>

يتبادر إلى الأذهان أحياناً تساؤلاً منطقياً: هل المهدي هو الخليفة الوحيد في زمن الخلافة المقدسية؟ أم أنه يوجد خلفاء ولكنهم قبله؟ أم يوجد خلفاء ولكنهم بعده؟

في البداية نؤكد على أنه لا وجود للخلافة القادمة إلّا تلك التي ستنزل بإذن الله في بيت المقدس، ولا خلافة غيرها، فثَمّ عقر دارها.

والأحاديث تقول: ﴿**يا ابن حوالة، إذا رأيتَ <u>الخلافة</u> قد نزلت أرض المقدَّسة ..**﴾[٢١٩]، وحديث آخر فيه: ﴿**.. ثم تكون <u>خلافة</u> على منهاج النبوة، ثم سكت**﴾[٢٢٠].

فالأحاديث تقول (خلافة) بالجمع، وليس (خليفة) واحداً فقط، فإذاً هم كُثُر كما سيأتي بعد قليل، إذاً ليس المهدي وحده فقط.

أمّا أنهم بعده، فالأحاديث تقول أن بعد المهدي ينزل المسيح عليه السلام، إذاً لا خلافة بعده.

بقي أن يكونوا قبله، وهذا ما عليه الأدلة، بل وعلى عددهم وأعمالهم وألقابهم، وسيكون عددهم سبعة خلفاء، من ضمنهم وآخرهم المهدي، وقد يُطلق على كل واحد منهم لقب (مهدي)، كما مر معنا سابقاً في تعريف المهدي.

والأدلة على أن مهدي آخر الزمان هو آخر الخلفاء:

١- عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يقتتل عند كنزكم ثلاثة <u>كلهم ابن خليفة</u>، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لم أحفظه فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي**﴾[٢٢١].

فالحديث يشير إلى أنه سيسبق المهدي خلفاء، وسيكون من أبناء (ثلاثة من هؤلاء الخلفاء) أتباعاً أو جنوداً خاصّين بهم، فيقتتل هؤلاء الثلاثة وأتباعهم على كنزٍ ما، ثم يظهر المهدي على أثر اختلافهم واقتتالهم.

---

[٢١٩] رواه أحمد وأبو داود.
[٢٢٠] رواه الإمام أحمد والطيالسي والبيهقي والطبري، والعراقي وصححه.
[٢٢١] رواه ابن ماجة، والحاكم وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير: هذا اسناد قوي صحيح.

٢- عن أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهُمُ الأنبياء، كُلما هلك نبي خلفهُ نبيٌّ، وإنهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكون بعدي خُلفاء فيكثُرون. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهُم**﴾[٢٢٢].

وقد علمنا في الفصل الأول من هذا الكتاب أنه لم يأت سوى خمسة خلفاء فقط، وهم من سمّى رسول الله ﷺ فترتهم بالخلافة، وهم الخلفاء الراشدون الخمسة، فقد جاء بعدهم الملوك والسلاطين، ولم يأت بعدهم أيّ خليفة، وهذا الحديث يقول إنهم كثيرون، ولذلك لابد أن يأتي عدد من الخلفاء حتى يكونون كُثُر، وهم كما وصفهم النبي ﷺ بلقب الخلفاء، مميزاً لهم عن الملوك والسلاطين، وهم خلفاء الخلافة الثانية التي على منهاج النبوة، وهي في بيت المقدس، كما سيأتي قريبا بإذن الله ﷻ.

٣- عن جابر ابن سمرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة**﴾[٢٢٣].

وهذا الحديث يُكمل الذي قبله، إذ الخلفاء الكُثُر، هم اثنا عشر خليفة، يكون الدين قائماً حتى آخرهم، ومعلومٌ أنّ آخر خلفاء الإسلام هو المهدي، لأنه سيُسلّم الخلافة للمسيح عليه السلام بعد نزوله، وبعد المسيح عليه السلام لن يبقى من يقول الله الله، ويُرفع القرآن، فيُرفع الإسلام به.

قال الإمام السيوطي: (إن في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء: إن المهدي أحد الاثني عشر)[٢٢٤].

٤- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ﴿**يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ..**﴾[٢٢٥].

وهذا دليل رابع، أنه قبل المهدي خلفاء، فعند موت آخرهم، يحدث اختلافاً بين الناس، وتجري أحداث يكون في آخرها بيعة المهدي بعد الخسف بجيش السفياني، ويؤيده أيضاً الحديث التالي.

---

[٢٢٢] متفق عليه.
[٢٢٣] أخرجه أبو داود وغيره.
[٢٢٤] في آخر جزء من العرف الوردي في أخبار المهدي.
[٢٢٥] رواه أبو داود والطبراني في الأوسط.

٥- الجمع بين ثلاثة أحاديث واستنباط النتيجة منها:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض، يقسم المال صحاحاً. قال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية، ويملا الله قلوب أمة محمد ﷺ غناء ويسعهم عدله..**﴾[٢٢٦].

وعن ابن حَوالة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يا ابن حوالة، إذا رأيتَ الخلافة قد نزلت أرض المقدَّسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**﴾.

وعن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال: ﴿**بين يدي الساعة مَوَتانٌ شديد، وبعده سنوات الزلازل**﴾[٢٢٧].

ترتيب هذه الأحاديث على الشكل التالي: نزول الخلافة في الأرض المقدسة، ثم سنوات الزلازل والبلابل (أي الهموم)، ثم موتان شديد (إما بعد أو قبل أو مع الزلازل)، ثم يكون المهدي.

زمن ظهور المهدي:

وعليه، يكون المهدي آخر الخلفاء، يأتي في زمن اختلاف وزلازل، وكما أن الثابت أنه ينزل قبل المسيح عليه السلام، فلا خلفاء بعد المسيح ﷺ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ﴿**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله ﷻ لهذه الأمة**﴾[٢٢٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**كيف أنتم إذا نزل ابن مريمَ فيكم وإمامُكم منكم**﴾[٢٢٩].

وعن ابن عباس ﷺ قال: (المهدي منا، يدفعها إلى عيسى ابن مريم عليه السلام)[٢٣٠].

---

[٢٢٦] قال الهيثمي: رواه الإمام أحمد بأسانيد

[٢٢٧] رواه الإمام أحمد، والموتان هو كثرة الموت وانتشاره.

[٢٢٨] أخرجه مسلم.

[٢٢٩] البخاري ومسلم.

حديث عدد الخلفاء

عن جابر بن سمرة ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **﴿يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: انه يقول: كلهم من قريش﴾**[٢٣١].

روايات أُخرى للحديث:

﴿يكون من بعدي اثنا عشر أميراً ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني فقال: قال: كلهم من قريش﴾[٢٣٢].

﴿إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ثم تكلم بكلام خفي عليَّ فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش﴾[٢٣٣].

﴿لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي فسئلت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: كلهم من قريش﴾[٢٣٤].

﴿لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم افهمها فقلت لأبي ما قال؟ فقال: كلهم من قريش﴾[٢٣٥].

﴿يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة﴾[٢٣٦].

﴿لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة ثم قال كلمة، وخفض بها صوته فقلت لعمي وكان أمامي ما قال يا عم؟ قال: قال: يا بني: كلهم من قريش﴾[٢٣٧].

﴿لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر خليفة وقال كلمة خفيت علي وكان أبى أدنى إليه مجلساً مني فقلت ما قال؟ فقال: كلهم من قريش﴾[٢٣٨].

---

[٢٣٠] رواه نعيم في الفتن.
[٢٣١] رواه البخاري.
[٢٣٢] رواه الترمذي.
[٢٣٣] رواه مسلم.
[٢٣٤] مسلم.
[٢٣٥] مسلم وأبو داود.
[٢٣٦] رواية الامام أحمد.
[٢٣٧] الحاكم في المستدرك.
[٢٣٨] الحاكم.

﴿لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر كلهم من قريش قيل ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج﴾[239].

وفي فتح الباري: **﴿لا يزال أمر أمتي صالحا... فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا، ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر فقال فيها: ثم رجع إلى منزله فأتيته فقلت: ثم يكون ماذا؟ قال الهرج﴾**[240].

وعند الطبراني: **﴿يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش﴾**[241].

وفي رواية: **﴿بعدي اثني عشر خليفة ثم أخفى صوته فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم﴾**[242].

في الروايات الثلاث الأخيرة ملاحظة:

أنه ذكر بعد الخلفاء الاثني عشر يكون الهرج، وهو ما سيكون مع بداية خلافة مهدي آخر الزمان وقبله، وستأتي تفاصيل هذا الهرج في المباحث اللاحقة إن شاء الله، والملاحظة الثانية: أن الخلفاء من قريش، ومن بني هاشم تحديداً، وهذا يتفق مع كون المهدي هاشمياً أيضاً، وهو حسني.

فوائد هذه الروايات:

في البداية لابد أن نتذكر المراحل التي جاءت في حديث **﴿تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، .... إلى أن قال: ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت﴾**[243].

حيث عرفنا في الفصول السابقة من الكتاب ما يلي:

١- أن الخلافة مرحلتان: الراشدة والمقدسية.

٢- الفرق بين الخلافة والمُلك والسلطان والإمارة.

---

[239] تيسير الوصول إلى جامع الأصول

[240] ذكره الحافظ ابن حجر قال: عند البزار والطبراني نحو حديث جابر بن سمرة بلفظ: لا يزال أمر أمتي صالحا. وأخرجه أبو داود من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بن سمرة نحوه قال: وزاد " فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا، ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج " وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر فقال فيها: ثم رجع إلى منزله فأتيته فقلت: ثم يكون ماذا؟ قال الهرج

[241] منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند الامام احمد.

[242] كتاب ينابيع المودة تأليف شيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي.

[243] رواه الإمام أحمد والطيالسي والبيهقي والطبري، والعراقي وصححه.

٣- أن الخلفاء كُثُر، وأنهم أكثر من أربعة.

٤- من أحاديث عدد الخلفاء السابقة تبين أن عددهم اثني عشر خليفة.

٥- أنه قد مرّ في التاريخ خمس خلفاء، فإذاً بقيَ سبعاً.

مسألة بعد الاثني عشر خليفة يقع الهرج:

والهرج هي فتنة الدهيماء، وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله لاحقا.

عن أبي الطفيل قال: أخذ عبد الله بن عمرو بيدي فقال: ﴿يا عامر بن واثلة اثنا عشر خليفة من كعب بن لؤي ثم النقف والنقاف لن يجتمع أمر الناس على إمام حتى تقوم الساعة﴾[٢٤٤].

وعن علي بن زرارة الكوفي قال: (سيلي هذه الأمة سبعة كلهم خير من عمر بن عبد العزيز)[٢٤٥].

قلت: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم فهؤلاء خمسة، وصف رسول الله ﷺ مدتهم بالخلافة الراشدة، وحدد مدتهم.

عن أبي بحر، أن أبا الجلد حدثه: (أنه لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل بيت محمد، يعيش أحدهما أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة)[٢٤٦].

وبقي أن نعرف من هم هؤلاء السبعة الذين – بناء على ما سبق – أنهم في مرحلة خلافة بيت المقدس؟

لقد ذكر العلماء والشراح أنه بالإضافة إلى الخلفاء الأربعة، يُضاف لهم الحسن بن علي رضي الله عنهما، ومنهم من ذكر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ومنهم من زاد عليهما غيرهما، ونقل ابن بطال عن المهلب قوله: لم ألق أحدا يقطع في هذا الحديث يعني بشيء معين ومنهم من قال: لا أفهم معناه كأبي بكر بن العربي.

---

[٢٤٤] اسناده حسن، والنقف والنقاف: الفتن والقتل.

[٢٤٥] السنن الواردة في الفتن لابي عمرو الداني، مقطوع على ابن زرارة الكوفي.

[٢٤٦] أخرجه مسدد في مسنده الكبير.

وكذلك مرّ معنا في المباحث السابقة أن خليفة آخر الزمان المهدي محمد بن عبد الله هو آخر الخلفاء في هذه الأمة، حيث ينزل المسيح عليه الصلاة والسلام فتنتهي الخلافة بنزوله.

نقل من "فتح الباري" يؤيد ما ذهبت إليه:

قال الحافظ ابن حجر نقلا عن الحافظ ابن الجوزي: (والوجه الثالث أن المراد وجود اثنى عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم، ويؤيده ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير من طريق أبي بحر، أن أبا الجلد حدثه: "أنه لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل بيت محمد، يعيش أحدهما أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة" وعلى هذا فالمراد بقوله "ثم يكون الهرج" أي الفتن المؤذنة بقيام الساعة، من خروج الدجال ثم يأجوج ومأجوج، إلى أن تنقضي الدنيا. انتهى كلام ابن الجوزي ملخصا بزيادات يسيرة. والوجهان الأول والآخر قد اشتمل عليهما كلام القاضي عياض، فكأنه ما وقف عليه بدليل أن في كلامه زيادة لم يشتمل عليها كلامه، وينتظم من مجموع ما ذكراه أوجه، أرجحها الثالث من أوجه القاضي لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: كلهم يجتمع عليه الناس" وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته.

والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فسمي معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قُتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام، فولي نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان، ولما مات يزيد ولي أخوه إبراهيم فغلبه مروان، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل، ثم كان أول خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح ، ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا

بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر في جميع أقطار الأرض إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في بعض البلاد، بعد أن كانوا في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض شرقا وغربا وشمالا ويمينا مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة، ومن نظر في أخبارهم عرف صحة ذلك فعلى هذا يكون المراد بقوله: ثم يكون الهرج " يعني القتل الناشئ عن الفتن وقوعا فاشيا يفشو ويستمر ويزداد على مدى الأيام ، وكذا كان والله المستعان .

والوجه الذي ذكره ابن المنادي ليس بواضح، ويعكر عليه ما أخرجه الطبراني من طريق قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده، رفعه: **﴿سيكون من بعدي خلفاء، ثم من بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه﴾.)** انتهى النقل.

قلت: وفي مرحلة الخلافة المقدسية، سيكون وجوداً للجبابرة الذين يخرجون على الخليفة، ويعيثون فساداً وقتلاً بين الناس، ومنهم السفياني والمخزومي، كما سيأتي في المبحث التالي.

إذاً: بقي سبع خلفاء سوى الخلفاء الخمس والمهدي، فمن هؤلاء السبعة؟

لقد جاء في بعض الروايات المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، الصحيح منها والحسن والضعيف، وكذلك جاء عن مسلمة الأحبار ممن نقل عن كتب بني إسرائيل، وعن الزاملتين وعن أسفار النبي دانيال عليه السلام، وغيرها، ما يوافق هذه الأحاديث من حيث أن خلفاء هذه الأمة اثني عشر خليفة، ولكن على تفاصيل تبين ألقابهم وسير بعضهم وأزمانهم.

خلفاء بيت المقدس

بعد أن عرفنا أن الخلفاء قبل المهدي، وأن عددهم ستة وهو سابعهم، فمن هم هؤلاء الخلفاء؟ وما هي ألقابهم وأعمالهم؟

وهذه طائفة من الأحاديث والآثار، التي تبين ألقاب هؤلاء الخلفاء، وترتيب أزمانهم، وهم بداية من أول الخلفاء:

١- الأمير:

ومن ألقابه بحسب الروايات: (صاحب الأرض المقدسة –الهاشمي– رأس الملوك):

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم ذكروا عنده اثنا عشر خليفة ثم **الأمير** فقال ابن عباس: (والله إن منا بعد ذلك، السفاح والمنصور والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم)[٢٤٧].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ﴿صاحب الأرض المقدسة، وابنه السفاح، وسلام، وأمير العُصب، ومنصور، وجابر، والمهدي، وسسل وسلام[٢٤٨]﴾.

٢- الجابر:

وعبد الله بن عمرو بن العاص قال: (بعد الجبابرة الجابر، ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب فمن قدر أن يموت بعد ذلك فليمت)[٢٤٩].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: (سيلي أمر هذه الأمة خلفاء يتوالون كلهم صالح وعليهم تفتح الأرضين كلها، أولهم جابر. قال ابن أنعم: يجبر الله الناس على يديه، والثاني المفرح وهو كالطيرة لفروخها، والثالث ذو

---

[٢٤٧] رواه نعيم بن حماد في الفتن واسناده حسن الى ابن عباس، وله حكم الرفع إذ هو من الأمور الغيبية التي لا تقال من قبل الرأي، وأخرجه الخطيب البغدادي بإسناد آخر، والدولابي في الكنى بإسناد حسن، وابن الجوزي في العلل من طريقين، والحاكم بسند مختلف، وابن ابي شيبة في مصنفه، والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن. والخلاصة أن له خمسة أسانيد أكثرها حسن. والله أعلم.

[٢٤٨] قال الأزهري في تهذيب اللغة: هذا حديث عجيب واسناده صحيح، والله أعلم بالغيوب، ورواه الداني في سنن الفتن بإسناد صحيح، ونعيم في الفتن بدل ﴿سسل﴾ سين وسلام، والسيوطي في العرف الوردي ﴿سيف وسلام﴾.

[٢٤٩] رواه نعيم بن حماد في الفتن والسيوطي في الحاوي، اسناده فيه ابن لهيعة حدّث عنه عبد الله ابن وهب وهو مقبول لأنه ممن حدث عنه قبل حرق كتب ابن لهيعة، وفي تدليس اختلاف بين العلماء. والله أعلم.

العصب يمكث أربعين سنة، لا خير في الدنيا بعدهم، قال: ونسيت ما قال في ذي العصب وهو رجل صالح)[٢٥٠].

وعن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يكون بعد الجبابرة رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا ثم القحطاني بعده والذي بعثني بالحق ما هو دونه**﴾[٢٥١].

وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: (يكون بعد الجبارين الجابر يجبر الله به أمة محمد ﷺ، ثم المهدي[٢٥٢]، ثم المنصور، ثم السلام، ثم أمير العصب، فمن قدر على الموت بعد ذلك فليمت)[٢٥٣].

فأي وضع الذي سنتخيله يكون فيه حال الأمة منكسر يحتاج إلى جبر، خاصة أن هذه الفترة الزمنية هي ما بعد فتح بيت المقدس، فهل سبقها حروب كبرى؟ وما الدليل على هذا؟

٣- السّفّاح ﴿الذي يسفح المال ويحثوه﴾:

ومن ألقابه: المفرّج، طائر السماء.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (أبو بكر سميتموه الصديق أصبتم اسمه، وعمر الفاروق أصبتم اسمه، وعثمان ذو النورين، والكفل أصبتم اسمه، وصاحب الأرض المقدسة، وابنه السفاح، وسلام، وأمير العُصب، ومنصور، وجابر، والمهدي، وسسل وسلام)[٢٥٤].

وفيه أن السفاح هو ابن صاحب الأرض المقدسة الذي من ألقابه الأمير والهاشمي، وسيأتي تفصيله ان شاء الله.

---

[٢٥٠] أخرجه نعيم في الفتن، وأبو عمرو الداني في سنن الفتن، ومداره على عبد الرحمن بن زيد بن أنعم: عابد فاضل ولكنه ضعيف في الحديث، رواية الداني: سيلي هذه الأمة ثلاثة يتوالون يقيمون أربعين سنة لا خير في الحياة بعدهم: المجبر والمفرخ ﴿بالخاء﴾ وذو العصب، قال قلت ما المجبر؟ قال يُجبر الناس على يديه، وقال: فقلت فالمفرخ؟ قال: يكون للناس كالطير لفروخها، وقال: قلت له: ذو العُصب؟ قال: فذو العصب هو رجل صالح، وقد نسيت ما قال لي فيه.

[٢٥١] فيه الوليد بن مسلم مدلس في العنعنة وقد عنعنه. ﴿ العنعنة: هي قول الراوي عن فلان ولم يصرح بالتحديث﴾

[٢٥٢] هو أحد الخلفاء المهديين في آخر الزمان ممن يسبق المهدي الأخير.

[٢٥٣] رواه نعيم في الفتن وفيه ابن لهيعة، سبق الحدث عنه سابقا.

[٢٥٤] قال الأزهري في تهذيب اللغة: هذا حديث عجيب واسناده صحيح، والله أعلم بالغيوب، ورواه الداني في سنن الفتن بإسناد صحيح، ونعيم في الفتن بدل ﴿سسل﴾ سين وسلام، والسيوطي في العرف الوردي ﴿سيف وسلام﴾.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم ذكروا عنده اثنا عشر خليفة ثم الأمير فقال ابن عباس: (والله إن منا بعد ذلك السفاح والمنصور والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم)[٢٥٥].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال **﴿يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثيا يقال له السفاح﴾**[٢٥٦].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (ثلاثة خلفاء يتوالون كلهم صالح عليهم تفتح الأرضين أولهم جابر والثاني المفرج والثالث ذو العصب يمكثون أربعين سنة لا خير في الدنيا بعدهم)[٢٥٧].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: (سيلي أمر هذه الأمة خلفاء يتوالون، كلهم صالح، وعليهم تفتح الأرضين كلها، أولهم جابر. قال ابن أنعم: يجبر الله الناس على يديه، والثاني المفرج وهو كالطيرة لفروخها، والثالث ذو العصب يمكث أربعين سنة، لا خير في الدنيا بعدهم)[٢٥٨].

عن تبيع بن عامر قال: (يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء).

عن عبد الله بن عمرو قال: (السفاح ثم المنصور ثم جابر ثم المهدي ثم الأمين ثم سين وسلام ثم أمير العصب ستة منهم من ولد كعب بن لؤي ورجل من قحطان لا يرى مثلهم كلهم صالح).

عن عبد الله بن عمرو قال: (السفاح وسلام ومنصور وجابر والأمين[٢٥٩] وأمير العصب كلهم صالح لا يدرك مثله، ولا يُدرك مثله، كلهم من بني كعب بن لؤي،

---

[٢٥٥] سبق تخريجه.

[٢٥٦] قال د. رضا الله بن محمد ادريس المباركفوري في تخريجه لهذا الحديث في كتاب سنن الفتن للداني: ﴿اخرجه نعيم في الفتن وابن ابي شيبة في مصنفه دون ﴿ يقال له السفاح﴾ وأبو نعيم في اخبار أصفهان، والبيهقي في الدلائل واحمد في مسنده وليس فيه ﴿ من اهل بيتي﴾، وابن كثير في البداية والنهاية من رواية الامام احمد والبيهقي وقال هذا الاسناد على شرط اهل السنن ولم يخرجوه، وفي اسناده عطية العوفي وهو متكلم فيه، وقد قال ابن حجر انه صدوق يخطئ كثيرا كان شيعيا مدلسا، وهناك من وثقه ولكنهم قلة وخالفوا جمهور الأئمة الذين ضعفوه فيُقدم جرحهم ، وهو مفسر على توثيق من وثقه، وجزم الذهبي بأنه ضعيف، وعاد ابن كثير في موضع آخر من البداية والنهاية فأشار إلى ضعفه﴾.

[٢٥٧] رواه نعيم في الفتن بسند ضعيف

[٢٥٨] السابق

[٢٥٩] لعلها تصحيف، والمقصود هو الأمير، لأن الأمين لم يُذكر في أي رواية، أما الأمير فقد ذُكر، كما أن هذه الرواية فيها الألقاب بلا ترتيب.

منهم رجل من قحطان، منهم من لا يكون إلا يومين، ومنهم من يقال له: لتبايعنا أو لنقتلنك، فلو أنهم لا يبايعونه لقتلوه)[٢٦٠].

عن كعب قال: (يملك ثلاثة من ولد العباس المنصور والمهدي والسفاح)[٢٦١].

الإشارة إلى السفاح دون ذِكر لفظ "السفاح":

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عددا وفي رواية ابن حجر يحثي المال﴾**[٢٦٢].

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **﴿يكون في أمتي خليفة يحثى المال حثيا لا يعده عدا﴾**[٢٦٣].

عن أبي نضرة رضي الله عنه قال: كنا عند جابر بن عبد الله رضي عنه فقال: **﴿يوشك أهل العراق ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينار ولا مدي. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم؟ ثم سكت هُنيهة، ثم قال: قال رسول الله صلى الله ﷺ: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عداً. قلت لأبي نضرة: أترى أنه عمر بن العزيز؟ قال: لا﴾**[٢٦٤].

٤- المنصور اليماني القرشي ﴿ذو العُصب﴾:

سيكون اثنان اسمهما منصور، وقد أخطأ الكثير من الباحثين في الخلط بينهما، بسبب التشابه بين الاسمين، ولكن مع النظر والتدقيق في النصوص، فمن يفتح الله عليه سيلاحظ أنهما مختلفان، كما سيلاحظ أن هذا اليماني هو الرابع، بينما القحطاني سيكون السادس، وكلاهما من اليمن، إلا أن المنصور اليماني هو قرشي ولد في اليمن، ويخرج من المُكلّى، بينما القحطاني من حمير من ولد قحطان، ويخرج من صنعاء. والآن سأذكر ما جاء في منصور اليماني:

عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (يا معشر اليمن تقولون إن المنصور منكم فلا والذي نفسي بيده إنه لقرشي أبوه ولو شاء أن أنسبه إلى أقصى جد هو له فعلت).

---

[٢٦٠] رواه نعيم في الفتن، ورواه أبو عمرو الداني في سنن الفتن بإسناد رجاله ثقات، وأورد الحافظ ابن حجر جزء منه ووصف اسناده بأنه وجه قوي في فتح الباري.

[٢٦١] رواه نعيم في الفتن وفي سنده مجهول.

[٢٦٢] رواه مسلم في صحيحه.

[٢٦٣] رواه نعيم بسند ضعيف، والحديث صحيح.

[٢٦٤] رواه مسلم في صحيحه.

قال أبو عبد الله نعيم: (يخرج من قرية يقال لها يكلى خلف صنعاء بمرحلة أبوه قرشي وأمه يمانية).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (... صاحب الأرض المقدسة، وابنه السفاح، وسلام، وأمير العُصب، ومنصور، وجابر، والمهدي، وسسل وسلام[٢٦٥]).

فأمير العصب غير المنصور، ولم يذكر القحطاني لأنه هو المنصور، فإذا ذُكر القحطاني ذُكر في المقابل اليماني ذو العصب.

أما عن الترتيب فهذا النص يبينه:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (ثلاثة خلفاء يتوالون كلهم صالح عليهم تفتح الأرضين أولهم جابر والثاني المفرج والثالث ذو العصب يمكثون أربعين سنة لا خير في الدنيا بعدهم)[٢٦٦].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: (سيلي أمر هذه الأمة خلفاء يتوالون كلهم صالح وعليهم تفتح الأرضين كلها أولهم جابر، قال ابن أنعم يجبر الله الناس على يديه والثاني المفرج وهو كالطيرة لفروخها والثالث ذو العصب يمكثون أربعين سنة لا خير في الدنيا بعدهم)[٢٦٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنهم ذكروا عنده اثنا عشر خليفة، ثم الأمير فقال ابن عباس: والله إن منا بعد ذلك السفاح والمنصور والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم)[٢٦٨].

وعن كعب قال: (المنصور والمهدي والسفاح من ولد العباس)[٢٦٩].

عن كعب قال: (المنصور منصور بني هاشم)[٢٧٠].

---

[٢٦٥] قال الأزهري في تهذيب اللغة: هذا حديث عجيب واسناده صحيح، والله أعلم بالغيوب، ورواه الداني في سنن الفتن بإسناد صحيح، ونعيم في الفتن بدل ﴿سسل﴾ سين وسلام، والسيوطي في العرف الوردي ﴿سيف وسلام﴾.

[٢٦٦] رواه نعيم في الفتن بسند ضعيف

[٢٦٧] السابق، وجميع هذه الروايات هي من كتاب الفتن لنعيم بن حماد.

[٢٦٨] رواه نعيم بإسناد جيد، والخطيب البغدادي في تاريخه بسند ثاني، والدولابي في الكُنى مرفوعا بإسناد حسن، وابن الجوزي في العلل من طريقين أحدهما مرسل مرفوع، والحاكم بسنده وفيه ضعف، وابن ابي شيبة، والبيهقي في الدلائل بإسناد موقوف حسن.

[٢٦٩] رواه نعيم في الفتن وفي سنده مجهول.

[٢٧٠] رواه نعيم وفي سنده الوليد بن مسلم مدلس في العنعنة وابن لهيعة ضعيف.

وعن أرطاة قال: (أمير العصب يماني قال الوليد وفي علم كعب يماني قرشي وهو أمير العصب)[٢٧١].

وعن عبد الله بن عمرو: (يكون بعد الجبارين الجابر يجبر الله به أمة محمد ﷺ ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب فمن قدر على الموت بعد ذلك فليمت)[٢٧٢].

وهذا النص فيه بعض الخلط بسبب تشابه الأسماء، حيث أن المنصور الأول هو ذو العصب.

قال الوليد: (وفي علم كعب: أنه يماني قرشي وهو أمير العصب والعصب انفضاض أهل اليمن ومن تبعهم من سائر الذين أخرجوا من بيت المقدس).

- علامة توليه الخلافة:

عن أبي جعفر قال: (إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني)[٢٧٣].

- خلع منصور اليماني قبل موته:

عن أبي جعفر قال: (إذ ظهر السفياني على الأبقع وعلى المنصور والكندي والترك والروم خرج وصار إلى العراق ثم يطلع القرن ذو الشفاء فعند ذلك هلاك عبد الله ويخلع المخلوع وينسب إلى أقوام في مدينة الزوراء على جهل فيظهر الأخوض على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة ويقتل ستة أكبش من آل العباس ويذبح فيها ذبحا صبرا ثم يخرج إلى الكوفة).

- موته:

عن كعب قال: (يجتمع للسفاح ظلمة أهل ذلك الزمان حتى إذا كانوا حيث ينظرون الى عدوهم وظنوا أنهم مواقعوا بلادهم أقبل رأس طاغيتهم لم يعرف قبل ذلك وهو رجل ربعة جعد الشعر غائر العينين مشرف الحاجبين مصفار حتى إذا نظر الى المنصور في آخر تلك السنة الذي يجتمع فيها ظلمة أهل ذلك الزمان للسفاح يموت المنصور وهم متفرقون في غير بلدة واحدة، فإذا انتهى إليهم الخبر،

---

[٢٧١] السابق.

[٢٧٢] سبق تخريجه.

[٢٧٣] رواه نعيم وفي سنده جابر الجعفي ضعفه البعض، ووثقه ابن حبان.

ضربوا حيث كانوا، فيتابعون لعبد الله ويرجع السفياني فيدعو إلى نفسه بجماعة أهل المغرب، فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط لما سبق في علم الله ﷻ...).

٥- السلام: ولقبه: (صحة وعافية)، (سيف وسلام).

عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (بعد الجبابرة الجابر ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العُصب فمن قدر أن يموت بعد ذلك فليمت)[٢٧٤].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (... وصاحب الأرض المقدسة وابنه السفاح، وسلام، وأمير العُصب، ومنصور، وجابر، والمهدي، وسسل وسلام)[٢٧٥].

٦- منصور القحطاني اليماني:

وهو الخليفة الثاني الذي يحمل اسم منصور، وهو يمني حُميريّ قحطانيّ، يكون في بداية أمره مَلكاً على اليمن، ثم يكون ظهوره في بلاد الشام قبل مهدي آخر الزمان، ويكون خروجه من صنعاء، غاضباً لما سمعه من فِعل السفياني في الكوفة وغيرها بالعباسيين، ومن صفاته:

عن أرطاة قال: (بلغني أن المهدي -أحد الخلفاء- يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه، ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرين سنة ثم يموت قتلا بالسلاح، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ مهدي حسن السيرة، يفتح مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ ثم يخرج في زمانه الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم عليه السلام)[٢٧٦].

وعنه أيضاً قال: ﴿ويملك أرض اليمن رجلٌ مِن ولدِ قَحطان، يُسمّى منصور، ذو أنف وخال وضفيرتين، فتردُ خيله الرملة وأرض حرّان﴾.

وعن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (بعد المهدي -الأول-، الذي يخرج أهل اليمن إلى بلادهم، ثم المنصور-القحطاني-، ثم من بعده المهدي الذي تفتح على يديه مدينة الروم). وهذا الأثر ليس على الترتيب ولم يعددهم جميعا.

---

[٢٧٤] سبق تخريجه.

[٢٧٥] سبق تخريجه.

[٢٧٦] رواه نعيم في الفتن، وكذلك ما بعده.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه﴾**[٢٧٧].

وعنه أيضاً ﷺ قال: **﴿لا تذهب الأيام والليالي حتى يسوق الناس رجل من قحطان﴾**.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: (ورجل من قحطان كلهم صالح...[٢٧٨]).

وعن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿يكون بعد الجبابرة رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا ثم القحطاني بعده والذي بعثني بالحق ما هو دونه﴾**[٢٧٩].

ومعلوم في اللغة أن "ثم" تفيد التراخي، فليس المقصود أنه خلف الجبابرة مباشرة، وقد يكون المعنى أنه خلف الجبابرة الذي جاؤوا في زمنه، كالسفياني والأصهب والمخزومي، والله أعلم.

عن كعب قال: (المنصور مهدي، يُصلي عليه أهل السماء والأرض وطير السماء، يُبتلى بقتال الروم والملاحم عشرين سنة، ثم يُقتل شهيدا في الملحمة العظمى، هو وألفين معه كلهم أمير وصاحب راية فلم يصب المسلمون بمصيبة بعد رسول الله ﷺ أعظم منها)[٢٨٠].

وعن كعب أيضا قال: (المنصور حمير خامس خمسة عشر خليفة).

عن ذي مخبر قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش وسيعود إليهم﴾**[٢٨١]. وهذه العودة إليهم، قد يكون المقصود منها هي خلافة المنصور اليماني، والله أعلم.

- ظهوره ومبايعته:

عن أرطاة قال: (أمير العُصب ليس من ذي ولا ذو، ولكنهم يسمعون صوتا ما قاله إنس ولا جان: بايعوا فلاناً باسمه، ليس من ذي ولا ذو ولكنه خليفة يماني).

---

[٢٧٧] أخرجه البخاري وغيره. قال القرطبي: قوله يسوق الناس بعصاه: كناية عن استقامة الناس وانعقادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يُرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم، إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعنفه بهم.

[٢٧٨] سبق تخريجه.

[٢٧٩] سبق الحديث عن اسناده.

[٢٨٠] رواه نعيم في الفتن.

[٢٨١] رواه أحمد والطبراني ونعيم، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

وعن أبي جعفر قال: (إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلها جميعا، فيظهر عليهما جميعا، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده، وله فورة شديدة، يستقتل الناس قتل الجاهلية، فيلتقي هو والأخوص، وراياتهم صفر، وثيابهم ملونة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه، ثم تظهر الروم وتخرج إلى الشام، ثم يظهر الأخوص، ثم يظهر الكندي في شارة حسنة، فإذا بلغ تل سما -ارتفع- فأقبل، ثم يسير إلى العراق، وترفع قبل ذلك ثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة، ويقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين يدعو إلى أبيه، ويظهر رجل من الموالي، فإذا استبان أمره وأسرف في القتل قتله السفياني)[٢٨٢].

وجاء في فتح الباري عن القحطاني:

(قوله: "باب ذكر قحطان" تقدم القول فيه وهل هو من ذرية إسماعيل أم لا وإلى قحطان تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم...

قوله: **﴿لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان﴾** لم أقف على اسمه ولكن جوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له جهجاه أخرجه عقب حديث القحطاني.

قوله: **﴿يسوق الناس بعصاه﴾** هو كناية عن الملك، شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم، ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم، وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد.

وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطأة بن المنذر - أحد التابعين من أهل الشام - أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي، وأخرج أيضا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعا يكون بعد المهدي القحطاني، والذي بعثني بالحق ما هو دونه وهذا الثاني مع كونه مرفوعا ضعيف الإسناد، والأول مع كونه موقوفا أصلح إسنادا منه، فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى ابن مريم، لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين، وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه

---

[٢٨٢] رواه نعيم في الفتن.

والأمر إنما هو لعيسى؟ ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله ﷻ).

وجاء أيضا في فتح الباري:

(قوله: ﴿**حتى يخرج رجل من قحطان**﴾ تقدم شرحه في أوائل مناقب قريش، قال القرطبي في التذكرة: قوله "يسوق الناس بعصاه" كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته عليهم وعسفه بهم، قال: وقد قيل إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه، قال:

ولعله جهجاه المذكور في الحديث الآخر وأصل الجهجاه الصياح وهي صفة تناسب ذكر العصا. قلت: ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان فظاهره أنه من الأحرار، وتقييده في جهجاه بأنه من الموالي ما تقدم أنه يكون بعد المهدي وعلى سيرته وأنه ليس دونه. ثم وجدت في كتاب "التيجان لابن هشام" ما يعرف منه - إن ثبت - اسم القحطاني وسيرته وزمانه، فذكر أن عمران بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة: إن بلادكم ستخرب، وإن لله في أهل اليمن سخطتين ورحمتين:

فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وتخرب البلاد بسببه، والثانية غلبة الحبشة على أرض اليمن. والرحمة الأولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك، والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا إيمان إلا بأرض اليمن انتهى.

وقد تقدم في الحج أن البيت يحج بعد خروج يأجوج ومأجوج، وتقدم الجمع بينه وبين حديث "لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت وأن الكعبة يخربها ذو السويقتين من الحبشة" فينتظم من ذلك أن الحبشة إذا خربت البيت خرج عليهم القحطاني فأهلكهم، وأن المؤمنين قبل ذلك يحجون في زمن عيسى بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين تبدأ بمن بقي بعد عيسى ويتأخر أهل اليمن بعدها، ويمكن أن يكون هذا مما يفسر به قوله "الإيمان يمان" أي يتأخر الإيمان بها بعد فقده من جميع الأرض.

وقد أخرج مسلم حديث القحطاني عقب حديث تخريب الكعبة ذو السويقتين فلعله رمز إلى هذا، وسيأتي في أواخر الأحكام في الكلام على حديث جابر بن سمرة في الخلفاء الاثني عشر شيء يتعلق بالقحطاني.

وقال الإسماعيلي هنا: ليس هذا الحديث من ترجمة الباب في شيء.

وذكر ابن بطال أن المهلب أجاب بأن وجهه أن القحطاني إذا قام وليس من بيت النبوة ولا من قريش الذين جعل الله فيهم الخلافة فهو من أكبر تغير الزمان وتبديل الأحكام بأن يطاع في الدين من ليس أهلا لذلك انتهى.

وحاصله أنه مطابق لصدر الترجمة وهو تغير الزمان، وتغيره أعم من أن يكون فيما يرجع إلى الفسق أو الكفر، وغايته أن ينتهي إلى الكفر، فقصة القحطاني مطابقة للتغير بالفسق مثلا، وقصة ذي الخلصة للتغير بالكفر، واستدل بقصة القحطاني على أن الخلافة يجوز أن تكون في غير قريش، وأجاب ابن العربي بأنه إنذار بما يكون من الشر في آخر الزمان من تسور العامة على منازل الاستقامة، فليس فيه حجة لأنه لا يدل على المدعي، ولا يعارض ما ثبت من أن الأئمة من قريش انتهى). انتهى كلام الحافظ.

عن كعب قال: (يقاتل أهل اليمن قتالا شديدا فيما بين النهرين فيهزمه الله ومن معه فما يروع أهل المشرق ومن معه إلا بالقتلى يطفون على النهر فيعلمون بهزيمتهم فيقبل راكبهم إلى اليمن وهم نزول بين النهرين فيظهره الله ﷻ ومن معه فيصلح أمر الناس وتجتمع كلمتهم هنيهة، ثم يسيرون حتى ينزلوا الشام ويمكثون زمانا في ولاية صالحة ثم تثور بهم قيس فيقتلهم أهل اليمن حتى يظن الظان أن لم يبق من قيس أحد، ثم يقوم رجل من أهل اليمن فيقول الله الله في اخوانكم، الله والبقية، فتسير قيس فيمن بقى منها حتى ينزلوا بين النهرين فيجمعوا جمعا عظيما فيولون أمرهم رجلا من بني مخزوم ثم يموت والي اليمن فتفرح قيس بموته فيسير المخزومي حتى إذا جاز آخرهم الفرات مات المخزومي فتصير اليمن على حده وقيس على حدة فيغضب الموالي عن ذلك وهم أكثر الناس يومئذ فيقولون:

هلموا نولي رجلا من أهل الدين، فيبعثون رهطا من أهل اليمن ورهطا من مضر ورهطا من الموالي إلى بيت المقدس، فيتلون كتاب الله ﷻ ويسألونه الخيرة، فيرجع أولئك الرهط وقد ولوا رجلا من الموالي، فويل للناس بالشام وأرضها من ولايته فيسير إلى مضر يريد قتالهم ثم يسير رجلا من أهل المغرب رجل طويل جسيم عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقي حتى يدخل بيت المقدس فتصيبه الدابة فيموت موتا، فتكون الدنيا شر ما كانت ثم يلي من بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ملعون مشوم ثم يلي من بعده المضري العماني القحطاني يسير بسيرة أخيه المهدي وعلى يديه تفتح مدينة الروم.

قلت: وهذا المضري هو المخزومي وسيأتي الحديث عنه لاحقا إن شاء الله.

عن كعب قال: (في ولاية القحطاني تقتتل قضاعة بحمص وحمير وعليها يومئذ رجل من كندة فتقتله قضاعة ويعلق رأسه في شجرة في المسجد فتغضب له حمير فيقتتلون بينهم قتالا شديدا حتى تهدم كل دار عند المسجد كي تتسع صفوفهم للقتال فعند ذلك يكون الويل للشرقي من الغربي وعند ذلك بحمص فيكون أشقى قبائل اليمن بهم السكون لأنهم جيرانهم).

عن كعب الأحبار قال: (تقتتل حمير وقضاعة بحمص في بغل أشهب فتجلب قضاعة على حمير ما بينهم وبين الفرات فيقتتلون في سوق الرستن فتسير الخيلان في السوقين لا ترى إحداهما الأخرى وذلك قبل بنيان الحوانيت فكنا نعجب كيف تسير الخيلان لا ترى إحداهما الأخرى والسوق فضاء حتى بنيت الحوانيت فعلمنا أن ذلك تأويل الحديث الذي كنا نسمع وتصديقه فتقتتل الخيلان قتالا شديدا ثم يخرج عليهم ملك من زقاق القطن وفي حديث صفوان زقاق العطر على برذون أشهب. فيقرع بينهم فينصرف الفريقان وهم قليل نادمون فويل لعاد من أيم وويل لأيم من عاد وعاد حمير من أيم وعاد أهل اليمن وأيم قضاعة وفي حديث صفوان فهنالك تهلك القضعية).

حريز بن عثمان قال: (تقتتل قضاعه وحمير بحمص فيما بين باب الرستن إلى القبه فتكون بينهم مقتلة عظيمة).

عن تبيع قال: (فيشتد القتال بحمص حتى يهدم ما بين أسواقها وحتى يأتي قضاعة مددها من بين الفرات فما دونه ثم تكون الدبرة عليهم إذ اقتتلوا تحت قبة حمص).

قال عبد السلام وقال كعب: (تقتتل حمير وقضاعة في حمص حتى تهدم قضاعة ما حول سوقها من الدور إلى باب الرستن ليوسعوه لصف القتال، وتهدم أهل اليمن ما بينهم من الدور عند الأسواق فيوسعوه إن لصف القتال ثم تقعد كل قبيلة من حمير براية غربي حمص وشرقيها فيجتمعون عند مجتمع الأسواق ويشتد القتال في حمص ويكثر فيها سفك الدماء حتى تلصق حوافر الخيل على الصفا في الأسواق من الدماء حتى تسيل الدماء في مجامع الأسواق فيكون فيها مقتلة عظيمة فمن حضر ذلك فقدر أن يخرج من حمص فليفعل فطوبى لمن كان يسكن يومئذ في قرية أو يسكن نحو القبلة من حمص ثم تشتد حمير على قضاعة حتى يخرجونهم من باب الرستن ويشتد قتالهم حتى يجئ ملك على فرس يراه الناس وقد كادوا يتفانون فيحجز بينهم وتشتد قضاعة على حمير أهل الحاضرين وما حول الفرات من قضاعة فيقبلون بجيش عظيم فتكثر الفتن والقتال بالشام).

عن الزهري قال: (يموت المهدي موتا ثم يصير الناس بعده في فتنه، ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زمانا ثم يمنع الرزق فلا يجد من يغير عليه ثم يمنع العطاء فلا يجد أحدا يغير عليه وهو ينزل بيت المقدس فيكون هو وأصحابه مثل العجاجيل المربية وتمشي نساؤهم ببطيطات الذهب وثياب لا تواريهن فلا يجد من يغير عليه فيأمر بإخراج أهل اليمن قضاعه ومذحج وهمدان وحمير والأزد وغسان وجميع من يقال له من اليمن فيخرجهم حتى ينزلوا شعاب فلسطين.

فيرجع إليهم جديس ولخم وجذام والناس عصبا من تلك الجبال بالطعام والشراب ليكون لهم مغوثة كما كان يوسف مغوثة لأخوته إذ نادى مناد من السماء ليس بإنس ولا جان: بايعوا فلانا ولا ترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة فينظرون فلا يعرفون الرجل ثم ينادي ثلاثا.

ثم يبايع المنصور فيبعث عشرة أوفد إلى المخزومي فيقتل تسعة ويدع واحدا ثم يبعث خمسة فيقتل أربعة ويسرح واحدا ثم يبعث ثلاثة فيقتل اثنين ويدع واحدا فيسير إليه فينصره الله عليه فيقتله الله ومن معه ولا ينفلت إلا الشريد ولا يدع قرشيا إلا قتله فيلتمس إذ ذاك قرشي فلا يوجد كما يلتمس اليوم رجل من جرهم فلا يوجد فكذلك يقتل قريش فلا يوجدوا بعدها).

عن كعب قال: (يقاتل أهل اليمن قتالا شديدا فيما بين النهرين، فيهزمه الله ومن معه، فما يروع أهل المشرق ومن معه إلا بالقتلى يطفون على النهر، فيعلمون بهزيمتهم.

فيُقبل راكبهم إلى اليمن وهم نزول بين النهرين فيظهره الله ﷻ ومن معه، فيصلح أمر الناس وتجتمع كلمتهم هنيهة.

ثم يسيرون حتى ينزلوا الشام ويمكثون زمانا في ولاية صالحة ثم تثور بهم قيس فيقتلهم أهل اليمن حتى يظن الظان أن لم يبق من قيس أحد ثم يقوم رجل من أهل اليمن فيقول الله الله في أخوانكم الله والبقية فتسير قيس فيمن بقى منها حتى ينزلوا بين النهرين فيجمعوا جمعا عظيما فيولون أمرهم رجلا من بني مخزوم ثم يموت والي اليمن فتفرح قيس بموته فيسير المخزومي حتى إذا جاز آخرهم الفرات مات المخزومي فتصير اليمن على حده وقيس على حدة فيغضب الموالي عن ذلك وهم أكثر الناس يومئذ فيقولون: هلموا نولي رجلا من أهل الدين فيبعثون رهطا من أهل اليمن ورهطا من مضر ورهطا من الموالي إلى بيت المقدس فيتلون كتاب الله ﷻ ويسألونه الخيرة فيرجع أولئك الرهط وقد ولوا رجلا من الموالي فويل للناس

بالشام وأرضها من ولايته فيسير إلى مضر يريد قتالهم ثم يسير رجلا من أهل المغرب رجل طويل جسيم عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقي حتى يدخل بيت المقدس فتصيبه الدابة فيموت موتا فتكون الدنيا شر ما كانت ثم يلي من بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ملعون مشوم ثم يلي من بعده المضري العماني القحطاني يسير بسيرة أخيه المهدي وعلى يديه تفتح مدينة الروم).

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: (إن أدركت ذاك كنت مع أهل اليمن ولهم الغلبة).

ملاحظة هامة:

قد يقول قائل أن أكثر ما ذُكر مما سبق هو من الأحاديث والآثار الضعيفة، فكيف تبني عليه؟

أقول: وكذلك الباب القادم ينطبق عليه هذا الكلام، وقد نقلتها وجمعتها لبيان أمر هام جدا، وهو أني أريد أن أشير إلى أن جميع هذه الشخصيات إنما هم معاصرون لبعضهم البعض، فمن تقبّل هذه الروايات فليتقبلها بمجموعها، ومن يرفضها فليرفضها كلها مجتمعة، وعلى كلا الحالتين، نسدّ الباب أمام الذين أخذوا ببعض وتركوا بعضا منهم ، ثم أسقطوا من يشاؤون ممن يختارون من هذه الشخصيات على من يشاؤون من المعاصرين، بحسب هواهم ومصالحهم.

شخصيات يملكون (ليسوا خلفاء)

في زمن الخلفاء السبع، السابق ذِكرهم، يظهر بعضاً ممن يطلب المُلك لنفسه، وهم ليسوا من الخلفاء، ولكن يملك بعضهم على بعض الأمصار، ومنهم من يكون قائداً لأحد الملوك، ومنهم من يكون من الخوارج.

وقد كثر الحديث في زماننا عنهم، على أن أسمائهم هي رموز لبعض الشخصيات المعاصرة، وهذا تكلّف لا دليل عليه، فجميع هذه الشخصيات هي معاصرة لبعضها البعض، وجميعهم بعد نزول الخلافة المقدسية بزمن لا يعلمه إلا الله تعالى، فعندما نقرأ مثلاً عن السفياني، فهو هو، كما دلّت عليه الروايات، عن زمنه وصفاته ومعاصريه، وليس هو فلان أو علان من المعاصرين الآن قبل نزول الخلافة، فكل هذا توهّم وخطأ، استغل البعض هذا لقلّة معرفة الناس بهم، فأوهموا أتباعهم بأن المقصود هو فلان وعلان، لأسباب سياسية عقائدية، أقاموا لأجلها الفتن والحروب.

١- الجهجاه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له: الجهجاه﴾**[٢٨٣]. فهو من الملوك وليس من الخلفاء.

٢- المخزومي:

وهو شر من ينزل بيت المقدس، فتنته كبيرة، يقتل ويسبي، ويحارب العلم والعلماء.

عن المطلب بن حنطب قال: قال عمر بن الخطاب ﵁: ﴿لا أم لمن أدركته خلافة المخزومي﴾.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال رسول الله ﷺ: **﴿إن أهل بيتي سيلقون من أمتي بعدي قتلا شديدا وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة من بني مخزوم﴾**[٢٨٤].

[٢٨٣] رواه الامام أحمد.
[٢٨٤] رواه نعيم في الفتن.

وعن كعب قال: (سيلي أموركم غلمان من قريش يكونوا بمنزلة العجاجيل المربية على المذاود إن تركت أكلت ما بين يديها وإن أفلتت نطحت من أدركت).

وعن صفوان بن عمرو قال: حدثني رجل من شعبان قال: جلس عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما في مسجد دمشق ليس فيهم إلا أهل اليمن فقال: (يا أهل اليمن كيف أنتم إذا أخرجناكم من الشام واستأثرنا بها عليكم؟ قالوا أو يكون ذلك؟ قال نعم ورب الكعبة، فقال: مالكم لا تكلمون؟ فقال بعض القوم: أفنحن أظلم فيه أم أنتم قال بل نحن فقال اليماني: الحمد لله ﴿**سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾.

قال الوليد: (يلي المهدي فيظهر عدله ثم يموت ثم يلي بعده من أهل بيته من يعدل ثم يلي منهم من يجور ويسئ ويسبون حتى ينتهي إلى رجل منهم فيجلي اليمن إلى اليمن ثم يسيرون إليه فيقتلونه ويولون عليهم رجلا من قريش يقال له محمد، وقال بعض العلماء: انه من اليمن على يد ذلك اليماني تكون الملاحم).

عن الزهري قال: (يموت المهدي (الأول) موتا ثم يصير الناس بعده في فتنه، ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زمانا ثم يمنع الرزق فلا يجد من يغير عليه ثم يمنع العطاء فلا يجد أحدا يغير عليه وهو ينزل بيت المقدس فيكون هو وأصحابه مثل العجاجيل المربية وتمشي نساؤهم ببطيطات الذهب وثياب لا تواريهن فلا يجد من يغير عليه فيأمر بإخراج أهل اليمن قضاعه ومذحج وهمدان وحمير والأزد وغسان وجميع من يقال له من اليمن فيخرجهم حتى ينزلوا شعاب فلسطين فيرجع إليهم جديس ولخم وجذام والناس عصبا من تلك الجبال بالطعام والشراب ليكون لهم مغوثة كما كان يوسف مغوثة لأخوته إذ نادى مناد من السماء ليس بإنس ولا جان. بايعوا فلانا ولا ترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة فينظرون فلا يعرفون الرجل ثم ينادي ثلاثا ثم يبايع المنصور فيبعث عشرة أوفد إلى المخزومي فيقتل تسعة ويدع واحدا ثم يبعث خمسة فيقتل أربعة ويسرح واحدا ثم يبعث ثلاثة فيقتل اثنين ويدع واحدا فيسير إليه فينصره الله عليه فيقتله الله ومن معه ولا ينفلت إلا الشريد ولا يدع قرشيا إلا قتله فيلتمس إذ ذاك قرشي فلا يوجد كما يلتمس اليوم رجل من جرهم فلا يوجد فكذلك يقتل قريش فلا يوجدوا بعدها. حدثنا الوليد بن مسلم عمن حدثه عن كعب قال يقاتل أهل اليمن قتالا شديدا فيما بين النهرين فيهزمه الله ومن معه فما يروع أهل المشرق ومن معه إلا بالقتلى يطفون على النهر فيعلمون بهزيمتهم فيقبل راكبهم إلى اليمن وهم نزول بين النهرين فيظهره الله ﷺ ومن معه فيصلح أمر الناس وتجتمع كلمتهم هنيهة ثم يسيرون حتى ينزلوا الشام ويمكثون زمانا في ولاية صالحة ثم تثور بهم قيس

فيقتلهم أهل اليمن حتى يظن الظان أن لم يبق من قيس أحد ثم يقوم رجل من أهل اليمن فيقول الله الله في أخوانكم الله والبقية فتسير قيس فيمن بقى منها حتى ينزلوا بين النهرين فيجمعوا جمعا عظيما فيولون أمرهم رجلا من بني مخزوم ثم يموت والي اليمن فتفرح قيس بموته فيسير المخزومي حتى إذا جاز آخرهم الفرات مات المخزومي فتصير اليمن على حده وقيس على حدة فيغضب الموالي عن ذلك وهم أكثر الناس يومئذ فيقولون: هلموا نولي رجلا من أهل الدين فيبعثون رهطا من أهل اليمن ورهطا من مضر ورهطا من الموالي إلى بيت المقدس فيتلون كتاب الله ﷻ ويسألونه الخيرة فيرجع أولئك الرهط وقد ولوا رجلا من الموالي فويل للناس بالشام وأرضها من ولايته فيسير إلى مضر يريد قتالهم ثم يسير رجلا من أهل المغرب رجل طويل جسيم عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقي حتى يدخل بيت المقدس فتصيبه الدابة فيموت موتا فتكون الدنيا شر ما كانت ثم يلي من بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ملعون مشوم ثم يلي من بعده المضري العماني القحطاني يسير بسيرة أخيه المهدي وعلى يديه تفتح مدينة الروم).

٣- السفياني الأول:

ألقابه: (الأزهر الكلبي)، (الزهري ابن الكلبية)، (المشوه السفياني)، ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، بعينيه نكتة بيضاء.

يخرج من (المندرون، أندرا، الوادي اليابس) كلها وردت في روايات لنفس المكان شرقي بيسان، على جمل أحمر، يخرج في سبعة نفر، مع رجل منهم لواء معقود، يعرفون في لوائه النصر، لا يرى ذلك أحد يريده إلا انهزم، رايته حمراء، يموت بالقرحة في حلقه بين الشام والعراق.

٤- السفياني الثاني:

اسمه عبد الله أو عبد الإله بن يزيد، ابن الكلبية، مشوه الخلق، مصفح الرأس، حمش الساعدين، غائر العينين.

يخرج بين الطائف ومكة، أو بين مكة والمدينة، حين اختلاف الفرعان، في زمانه تكون الهدة، وهو صاحب جيش الخسف الذي يرسله إلى الحجاز عند خروج المهدي.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل**

بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم﴾[٢٨٥].

- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **﴿يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم قيل يا رسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته﴾**[٢٨٦].

٥- الأبقع:

هو أحد ملوك مصر، وهو أموي النسب، يقود جيشا لهم أجسام، له معارك مع السفياني.

فعن أبي جعفر: (قال إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني).

وعنه أيضاً: (إذا بلغ العباسي خراسان طلع بالمشرق القرن ذو الشفا... ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ثم لا يلبثون حتى يظهر الأبقع بمصر).

عن أرطأة: (إذا اجتمع الترك والروم وخسف بقرية بدمشق وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات الأبقع والأصهب والسفياني ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم فيقتل الترك والروم بقرقيسيا[٢٨٧] حتى تشبع سباع الأرض من لحومهم)[٢٨٨].

عن محمد بن الحنفية: (قال إذا اختلفوا بينهم رفع بالشام ثلاث رايات راية الأبقع وراية الأصهب وراية السفياني).

عن أبي جعفر: (قال إذا اختلفت كلمتهم وطلع القرن ذو الشفاء لم يلبثوا إلا يسيرا حتى يظهر الأبقع بمصر، يقتلون الناس حتى يبلغوا إرم، ثم يثور المشوه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة، ثم يظهر السفياني الملعون فيظفر بهما جميعا ويرفع قبل ذلك ثنتي عشرة راية بالكوفة معروفة ويقبل بالكوفة رجل من ولد الحسين يدعو إلى أبيه ثم يبث السفياني جيوشه).

---

[٢٨٥] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.
[٢٨٦] رواه مسلم.
[٢٨٧] منطقة أثرية قرب مدينة ديرالزور غربي سوريا.
[٢٨٨] رواه نعيم بن حماد في الفتن بإسناد جيد.

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: (يقتل أربعة نفر بالشام كلهم ولد خليفة: رجل من بني مروان، ورجل من آل أبي سفيان، قال فيظهر السفياني على المروانيين فيقتلهم، ثم يتبع بني مروان فيقتلهم، ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس، حتى يدخل الكوفة)[٢٨٩].

قلت: الرجل المرواني هو الأبقع ملك مصر، يكون في دمشق بعد أن جاء خلف البربري، فيقاتله السفياني في دمشق ويهزمه، ثم يلحق خلفه إلى مصر، فيدخلها، فيقتل ويسبي، ثم يرجع إلى دمشق فيلحق بالعباسيين إلى الكوفة.

قال أبو جعفر: (ينازع السفياني بدمشق أحد بني مروان، فيظهر على المرواني فيقتله، ثم يقتل بني مروان ثلاثة أشهر، ثم يقبل على أهل المشرق حتى يدخل الكوفة).

عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي ﷺ قال: (إذا اختلفت أصحاب الرايات السود خسف بقرية من قرى إرم ويسقط جانب مسجدها الغربي ثم تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني، فيخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر فيظهر السفياني عليهم)[٢٩٠].

عن ذي قريات قال: (يختلف الناس في صفر، ويفترق الناس على أربعة نفر: رجل بمكة العائذ، ورجلين بالشام: أحدهما السفياني، والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب ورجل من أهل مصر جبار فذلك أربعة).

قلت: الجبار الذي من أهل مصر هو نفسه الأبقع.

عن ابن زرير قال: (يختلفون على أربعة نفر: جبار يبايع لنفسه بيعة خلافة يعطي الناس مائة دينار، ورجلان بالشام يعطيان ما لم يعط أحد قبلهما، فأيهما غلب على دمشق فله الشام).

عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: (فتخرج ثلاثة نفر كلهم يطلب الملك رجل أبقع ورجل أصهب ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق).

عن أبي رومان عن علي: (قال تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني، يخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر فيظهر السفياني عليهم).

---

[٢٨٩] رواه نعيم في الفتن.

[٢٩٠] رواه نعيم، ورُوي عن الزهري نحوه بإسناد جيد.

عن ذي قريات قال: (يختلف الناس في صفر ويفترقون على أربعة نفر: رجل بمكة العائذ، ورجلين بالشام أحدهما السفياني والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب، ورجل من أهل مصر جبار، فذلك أربعة، فيغضب رجل من كندة فيخرج إلى الذين بالشام فيأتي الجيش إلى مصر فيقتل ذلك الجبار ويفت مصر فت البعرة ثم يبعث إلى الذي بمكة).

عن أبي جعفر قال: (إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام، فتكون بينهم ملحمة عظيمة ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلها جميعا فيظهر عليهما جميعا ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقتل الناس قتل الجاهلية فيلتقي هو والأخوص وراياتهم صفر وثيابهم ملونة فيكون بينهما قتال شديد ثم يظهر الأخوص السفياني عليه ثم يظهر الروم وخروج إلى الشام ثم يظهر الأخوص ثم يظهر الكندي في شارة حسنة فإذا بلغ تل سما (ارتفع) فأقبل ثم يسير إلى العراق وترفع قبل ذلك ثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة ويقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين يدعو إلى أبيه ويظهر رجل من الموالي فإذا استبان أمره وأسرف في القتل قتله السفياني).

عن كعب قال: (إذا كانت رجفتان في شهر رمضان انتدب لها ثلاثة نفر من أهل بيت واحد: أحدهم يطلبها بالجبروت والآخر يطلبها بالنسك والسكينة والوقار والثالث يطلبها بالقتل واسمه عبد الله ويكون بناحية الفرات مجتمع عظيم يقتتلون على المال يقتل من كل تسعة سبعة). وفيه أن فتنة ذهب الفرات في زمنهم.

عن الزهري قال: (إذا التقى أصحاب الرايات السود وأهل الرايات الصفر عند القنطرة، كانت الدبرة على أهل المشرق، فيهزمون حتى يأتوا فلسطين فيخرج على أهل المشرق السفياني فإذا نزل أهل المغرب الأردن مات صاحبهم وافترقوا ثلاث فرق فرقة ترجع من حيث جاءت وفرقة تحج وفرقة تثبت فيقاتلهم السفياني فيهزمهم ويدخلون في طاعته). وسيأتي شرحه في الفصل القادم أن شاء الله.

عن ابن الحنفية قال: (إذا ظهر السفياني على الأبقع، دخل مصر، فعند ذلك خراب مصر). وهذا موعد خراب مصر، لا كما يُروّج له البعض أنه قبل نزول الخلافة.

عن أبا سالم الجيشاني أخبره عن أبي زمعة وعبد الله بن عمرو وأبي ذر رضى الله عنهم قالوا: (ليُخرجنّ من مصر إلا من قُتل. قال خارجة قلت لأبي ذر فلا إمام جامع حين يخرج؟ قال: لا، بل تقطعت أقرانها).

عن كعب: (قال لتفتن مصر كما تفت البعرة).

عن ذي قريات قال: (إذا رأيت رجلا أعرج من بني أمية على مصر، فأخرج من الفسطاط على رأس بريد، فإنه يقتله رجل من أهل بيته ثم يبعث إليهم أهل الشام جيشا، فيلقاهم رجل من كندة بالعريش، فيمت بطاعتهم الأولى والآخرة، ويقول أنا أكفيكم هذا الأمر، فيقبل بالجيش فيقتل ذلك الرجل ومن يتابعه حتى يسبي أهل مصر ويتبعونهم "في رواية: يبيعونهم" بسوق مازن).

عن أبي جعفر قال: (إذ ظهر السفياني على الأبقع وعلى المنصور والكندي والترك والروم خرج وصار إلى العراق ثم يطلع القرن ذو الشفاء فعند ذلك هلاك عبد الله ويخلع المخلوع وينسب إلى أقوام في مدينة الزوراء على جهل فيظهر الأخوض على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة ويقتل ستة أكبش من آل العباس ويذبح فيها ذبحا صبرا ثم يخرج إلى الكوفة).

٦- الأصهب:

وهو ملك من بني أمية أيضاً، يخرج بعد موت الخليفة السفاح، حين وقوع الاختلاف الأول، وينادي بالمُلك لنفسه في دمشق، فيُعطي الأموال للناس يُرغّبهم بنفسه، ويقاتله السفياني ويقتله.

وقت خروجه:

عن أرطاة قال: (إذا اجتمع الترك والروم وخسف بقرية بدمشق وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم فيقتل الترك والروم بقرقيسيا حتى تشبع سباع الأرض من لحومهم).

عن محمد بن الحنفية قال: (إذا اختلفوا بينهم رفع بالشام ثلاث رايات: راية الأبقع وراية الأصهب وراية السفياني).

عن أبي جعفر قال: (إذا اختلفت كلمتهم وطلع القرن ذو الشفاء لم يلبثوا إلا يسيرا حتى يظهر الأبقع بمصر يقتلون الناس حتى يبلغوا إرم ثم يثور المشوه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة ثم يظهر السفياني الملعون فيظفر بهما جميعا ويرفع قبل ذلك ثنتي عشرة راية بالكوفة معروفة ويقبل بالكوفة رجل من ولد الحسين يدعو إلى أبيه ثم يبث السفياني جيوشه).

عن ذي قريات قال: (فيختلف الناس على أربع نفر: رجلان بالشام: رجل من آل الحكم أزرق أصهب ورجل من مضر قصير جبار والسفياني والعائذ بمكة فذلك أربعة نفر).

عن أبي جعفر محمد بن علي: (قال يقتل أربعة نفر بالشام كلهم ولد خليفة: رجل من بني مروان ورجل من آل أبي سفيان قال فيظهر السفياني على المروانيين فيقتلهم ثم يتبع بني مروان فيقتلهم ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس حتى يدخل الكوفة).

عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي ﷺ قال: (إذا اختلفت أصحاب الرايات السود خسف بقرية من قرى إرم "دمشق" ويسقط جانب مسجدها الغربي ثم تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني، فيخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر فيظهر السفياني عليهم).

عن ذي قريات قال: (يختلف الناس في صفر ويفترق الناس على أربعة نفر رجل بمكة العائذ ورجلين بالشام أحدهما السفياني والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب ورجل من أهل مصر جبار فذلك أربعة).

عن ابن زرير قال: (يختلفون على أربعة نفر: جبار يبايع لنفسه بيعة خلافة يعطي الناس مائة دينار، ورجلان بالشام يعطيان ما لم يعط أحد قبلهما، فأيهما غلب على دمشق فله الشام).

عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: (فتخرج ثلاثة نفر كلهم يطلب الملك رجل أبقع ورجل أصهب ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق).

عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي ﷺ قال: (تخرج بالشام ثلاث رايات الأصهب والأبقع والسفياني يخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر فيظهر السفياني عليهم).

عن ذي قريات قال: (يختلف الناس في صفر ويفترقون على أربعة نفر رجل بمكة العائذ ورجلين بالشام أحدهما السفياني والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب ورجل من أهل مصر جبار فذلك أربعة فيغضب رجل من كندة فيخرج إلى الذين بالشام فيأتي الجيش إلى مصر فيقتل ذلك الجبار ويفت مصر فت البعرة ثم يبعث إلى الذي بمكة).

عن كعب قال: (إذا دارت رحى بني العباس وربط أصحاب الرايات السود خيولهم بزيتون الشام ويهلك الله لهم الأصهب ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى أموي منهم إلا هارب أو مختفي ويسقط السعفتان بنو جعفر وبنو العباس ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق ويخرج البربر إلى سرة الشام فهو علامة خروج المهدي).

٧- العلج الحسيني:

قال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم العرب فرساً واجوده سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين، فإذا قُتل الخليفة بالعراق خرج عليهم رجل مربوع القامة كثّ اللحية أسود الشعر براق الثنايا فويل لأهل العراق من اتباعه المراق، ثم يخرج المهدي منا اهل البيت، فيملأ الارض عدلاً كما ملأت جوراً**﴾[٢٩١].

٨- شعيب بن صالح:

عن ابن الحنفية قال: (بين خروج الراية السوداء من خراسان وشعيب بن صالح وخروج المهدي، وبين أن يُسلّم الأمر للمهدي: اثنان وسبعون شهرا).

عن محمد بن الحنفية قال: (تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل ببيت المقدس ويوطئ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلاثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين ان يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرا).

عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتية من بني هاشم فتغير لونه فقلنا يا رسول الله: ما نزل نرى في وجهك شيئا نكرهه؟ فقال: ﴿**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من هاهنا، من نحو المشرق أصحاب رايات سود يسلون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثا فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملوها عدلا كما ملوها ظلما فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإنه المهدي**﴾.

عن ثوبان قال: (إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فاتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي).

---

[٢٩١] رواه نعيم بن حماد في الفتن.

صفاته:

عن الحسن قال: (يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله).

عن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يخرج رجل من أهل بيتي في تسع رايات**﴾ يعني بمكة[٢٩٢].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (المهدي على لوائه شعيب بن صالح)[٢٩٣].

وعن ربيعة بن سيف تبيع قال: (تخرج الرايات السود من خراسان معه قوم ضعفاء يجتمعون يؤيدهم الله بنصره ثم يخرج أهل المغرب على إثر ذلك).

وعن أبي جعفر قال: (يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم).

وعن سفيان الكلبي قال: (يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر ولم يذكر الوليد (أصفر) لو قاتل الجبال لهزها وقال الوليد لهدها حتى ينزل إيلياء).

موعد خروجه:

عن كعب قال: (إذا ملك رجل الشام وآخر مصر فاقتتل الشامي والمصري وسبى أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي).

وعن العلاء بن عتبة عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر: (بلاء يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء من نصرها نصره الله ومن خذلها خذله الله حتى يأتوا رجلا اسمه كاسمي فيوليه أمرهم فيؤيده الله وينصره).

وعن عمرو بن مرة الجملي صاحب رسول الله ﷺ يقول: (لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لهيا وحرستا. قلنا: ما بين هاتين زيتونة؟ قال: سينصب بينهما زيتون حتى ينزلها أهل تلك الراية فتربط خيولها بها).

---

[٢٩٢] رواه نعيم في الفتن بإسناد ضعيف.

[٢٩٣] نعيم بإسناد ضعيف.

قال عبد الله بن آدم: وحدثت بهذا الحديث عبد الرحمن بن سلمان فقال: إنما يربط بها أهل الراية السوداء الثانية التي تخرج على الراية الأولى فإذا نزلوها خرج عليهم خارجي من أهل هذه فلا يجد من أهل الراية الأولى إلا مختفيا فيهزمهم).

وعن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: (**يخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم يمكثون ما شاء الله ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلا من ولد أبي سفيان وأصحابه من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي**)[٢٩٤].

وعن علي رضي الله عنه قال: (تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يُدعى شعيب بن صالح فيَهزم أصحابه)[٢٩٥].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (إذا بلغ السفياني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح).

عن أبي جعفر قال: (تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة فإذا ظهر المهدي بمكة بعث إليه بالبيعة)[٢٩٦].

عن كعب قال: (إذا دارت رحى بني العباس وربط أصحاب الرايات السود خيولهم بزيتون الشام ويهلك الله لهم الأصهب ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى أموي منهم إلا هارب أو مختفي ويسقط السعفتان بنو جعفر وبنو العباس ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق ويخرج البربر إلى سرة الشام فهو علامة خروج المهدي)[٢٩٧].

عن ابن شوذب قال: كنت عند الحسن فذكرنا حمص فقال: (هم أسعد الناس بالمسودة الأولى وأشقى الناس بالمسودة الثانية فقلنا وما المسودة الثانية يا أبا سعيد؟ قال أبو الطهوي: يخرج من قبل المشرق في ثمانين ألفا محشوه قلوبهم إيمانا حشو الرمانة من الحب بوار المسودة الأولى، على أيديهم أول انتفاض أمر السفياني وخروج الهاشمي من خراسان برايات سود وعلى أصحابه وما يكون بينهما من الوقائع حتى تبلغ خيل السفياني المشرق)[٢٩٨].

---

[٢٩٤] من مراسيل ابن المسيب، رواه نعيم في الفتن.

[٢٩٥] رواه نعيم بإسناد ضعيف.

[٢٩٦] رواه نعيم بإسناد فيه جابر الجعفي، ضعّفه العلماء ووثقه ابن حبان.

[٢٩٧] رواه نعيم بإسناد صحيح الى كعب.

[٢٩٨] رواه نعيم بإسناد حسن.

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: (إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب اصطخر (مدينة بفارس) فتكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه)[٢٩٩].

عن أبي جعفر قال: (يبث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فرعه من وراء النهر من أهل خراسان فتقبل أهل المشرق عليهم قتلا ويذهب نجيهم فإذا بلغه ذلك بعث جيشا عظيما إلى اصطخر عليهم رجل من بني أمية فتكون لهم وقعة بقومس (منطقة في طبرستان) ووقعة بدولات (ضاحية في طهران) الري ووقعة بتخوم زرنج (في سجستان) فعند ذلك يأمر السفياني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة عند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال يسهل الله أمره وطريقه ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجل من بني تميم من الموال يقال له شعيب بن صالح إلى أصطخر إلى الأموي فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر فتكون بينهما ملحمة عظيمة عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري وفي عاقرقوفا وقعة صيلمية يخبر عنها كل ناج ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل ووقعة في أرض من أرض نصيبين ثم يخرج على الأخوص قوم من سوادهم وهم العصب عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في أيديه من سبي كوفان)[٣٠٠].

عن علي رضى الله عنه قال: (يلتقي السفياني والرايات السود فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح بباب اصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه)[٣٠١].

عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا: (يبعث السفياني خيله وجنوده فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعات في غير موضع فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلا من بني هاشم وهو يومئذ في آخر الشرق فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم مولى لهم أصفر قليل اللحية يخرج إليه

[٢٩٩] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣٠٠] رواه نعيم بإسناد فيه جابر الجعفي، ضعّفه العلماء ووثقه ابن حبان.
[٣٠١] رواه نعيم بإسناد ضعيف.

في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه فيصيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة ثم تكون الغلبة للسفياني ويهرب الهاشمي ويخرج شعيب بن صالح مختفيا إلى بيت المقدس يوطن للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام)[٣٠٢].

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: (يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله بعدما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربع مائة رجل ويبقر البطون ويقتل الولدان ويقتل أخوين من قريش رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة)[٣٠٣].

عن علي قال: (يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ ويقتل من بني هاشم رجال ونساء فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض[٣٠٤] من المدينة إلى مكة فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه)[٣٠٥].

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: (يهرب ناس من المدينة إلى مكة حين يبلغهم جيش السفياني منهم ثلاثة نفر من قريش منظور إليهم)[٣٠٦].

عن كعب قال: (تستباح المدينة حينئذ وتقتل النفس الزكية)[٣٠٧].

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: (سيكون خليفة من بني هاشم بالمدينة فيخرج ناس منهم إلى مكة فإذا قدموها أرسل إليهم صاحب مكة ما جاء بكم أعندنا تظنوا أن تجدوا الفرج؟ فيراجعه رجل من بني هاشم فيغلظ عليه فيغضب صاحب مكة فيأمر به فيقتل فإذا كان من الغد جاءه رجل منهم قد اشتمل بثوبه على سيفه فيقول من حملك على قتل صاحبنا؟ فيقول أغضبني فيقول اشهدوا يا معشر المسلمين إنه إنما قتله لأنه أغضبه فيخترط سيفه فيضربه به ثم ينحازون نحو الطائف فيقول أهل مكة والله لئن تركنا هؤلاء حتى يبلغ خبرهم الخليفة ليهلكنا قال فيسيرون إليهم فيناشدهم الهاشميون الله الله في دمائنا ودمائكم قد علمتم أنه قتل صاحبنا ظلما فلا يرجعون عنهم حتى يقاتلونهم فيهزموهم ويستولون على مكة ويبلغ صاحب المدينة

---

[٣٠٢] إنما أذكر هذه الروايات على ضعفها لتعدد الرواة مع التشابه في الأحداث، ولأنها غير موضوعة، والله أعلم.
[٣٠٣] رواه نعيم بإسناد ضعيف فيه مجاهيل.
[٣٠٤] المبيض: أي أصحاب الملابس البيض شعيب وأصحابه.
[٣٠٥] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣٠٦] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣٠٧] رواه نعيم بإسناد حسن.

أمرهم فيقولون والله لئن تركناهم لنلقين من الخليفة بلاء فيبعث إليهم صاحب المدينة جيشا فيهزمونهم فإذا بعث الخليفة إليهم بعثا فهم الذين يناديهم)[٣٠٨].

عن يوسف بن ذي قربات قال: (يكون خليفة بالشام يغزو المدينة فإذا بلغ أهل المدينة خروج الجيش إليهم خرج سبعة نفر منهم إلى مكة فاستخفوا بها فكتب صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليك فلان وفلان يسميهم بأسمائهم فاقتلهم فيعظم ذلك صاحب مكة ثم يتآمرون بينهم فيأتونه ليلا ويستجيرون به فيقول اخرجوا آمنين فيخرجون ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهما والآخر ينظر ثم يرجع إلى أصحابه فيخرجون حتى ينزلوا جبلا من جبال الطائف فيقيمون فيه ويبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناس فإذا كان ذلك غزاهم أهل مكة فيهزمونهم ويدخلون مكة فيقتلون أميرها ويكونون بها حتى إذا خسف بالجيش استعد أمره وخرج. حدثنا الوليد عن شيخ عن ابن شهاب قال إذا أتوا المدينة قتلوا أهلها ثلاثة أيام)[٣٠٩].

عن أبي جعفر قال: (فيبلغ أهل المدينة فيخرج الجيش إليهم فيهرب منها من كان من آل محمد ﷺ إلى مكة يحمل الشديد الضعيف والكبير الضعيف فيدركون نفسا من آل محمد ﷺ فيذبحونه عند أحجار الزيت (موضع في المدينة))[٣١٠].

عن علي رضى الله عنه قال: (إذا هزمت الرايات السود خيل السفياني التي فيها شعيب بن صالح تمني الناس المهدي فيطلبونه فيخرج من مكة ومعه راية النبي ﷺ فيصلي ركعتين بعد أن يئس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال أيها الناس ألح البلاء بأمة محمد ﷺ وبأهل بيته خاصة قهرنا وبغي علينا)[٣١١].

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: (يخرج ثلاثة نفر من قريش إلى مكة من جيش السفياني منظور إليهم فإذا بلغهم الخسف اجتمعوا بمكة لأولئك النفر الثلاثة من البلاد فيبايع أحدهم كرها)[٣١٢].

عن الزهري قال: (يستخرج المهدي كارها من مكة من ولد فاطمة فيبايع)[٣١٣].

---

[٣٠٨] رواه نعيم بإسناد حسن.
[٣٠٩] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣١٠] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣١١] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣١٢] رواه نعيم بإسناد ضعيف.
[٣١٣] رواه نعيم بإسناد حسن للزهري.

عن أبي جعفر قال: (ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب وأمركم أن لا تشركوا به شيئا وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات وتكونوا أعوانا على الهدى ووزرا على التقوى فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها وأذنت بالوداع فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف رهبان بالليل أسد بالنهار فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم وتنزل الرايات السود الكوفة فيبعث بالبيعة إلى المهدي ويبعث المهدي جنوده في الآفاق ويميت الجور وأهله وتستقيم له البلدان ويفتح الله على يديه القسطنطينية).

٩- عبد الرحمن البربري:

(صاحب فتنة البربر، الأعرج الكندي)، هو من البربر يملك المغرب ويكون له دولة ظالمة، رايته صفراء، يدخل مصر من الإسكندرية وفيها الروم، ثم يكمل طريقه حتى يصل إلى حمص في الشام، له معارك عديدة يقتل فيها الكثير من المسلمين في المغرب ومصر والشام، يكون في حرستا يوم خسفها، فيخرج له السفياني فيقاتله.

عن عصمة بن سيف السُلمي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ أنه: كان يتعوذ بالله من فتنة المشرق، قال: فقيل له: فالمغرب؟ قال: تلك أعظم وأطم)[٣١٤].

عن ربيعة بن سيف عن تبيع قال: (صاحب المغرب عبد الرحمن بن هند، طويل العثنون (اللحية)، على مقدمته رجل اسمه اسم شيطان، الويل لمن يقتل تحت لوائه، مصيره النار)[٣١٥].

عن حبيب بن صالح قال: ليخرجن رجل يقال له عبد الرحمن بأهل المغرب حتى يأتي حمص فيصعد على منبرها)[٣١٦].

---

[٣١٤] أخرجه نعيم في الفتن واسناده حسن، وأخرجه الطبراني.
[٣١٥] اسناده ضعيف، ربيعة صدوق له مناكير.
[٣١٦] اسناده حسن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما تحت أديم السماء خلق أشر من بربر، ولإن أتصدق بعلاقة سوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق مائة رقبة من بربر)[٣١٧].

عن الزهري: إذا دخلت الرايات الصفر مصر فاجتمعوا في القنطرة، انتظروا حتى يستجيش أهل المشرق وأهل المغرب ويقتتلون بها سبعا، يكون بينهم من الدماء مثلما كان في جميع الفتن، ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلونهم الرملة)[٣١٨].

وعنه أيضا رضي الله عنه: (أنه كان يتعوذ بالله في صلاته من فتنة المغرب)[٣١٩].

وعن أبي قبيل قال: (صاحب المغرب عبد الرحمن، وهو شر من ملك)[٣٢٠].

عن محمد بن الحنفية: (يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينما هم ينظرون في أعاجيبه إذا رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخل مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق)[٣٢١].

عن كعب الأحبار قال: (إذا ظهر المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها لأهل الشام، ويل للجندين: جند فلسطين والأردن، وبلد حمص من بربر يضربون بسيوفهم إلى باب العطر، وصاحب المغرب رجل من كندة أعرج).

[٣١٧] اسناده جيد، وأورده الهندي في كنز العمال.
[٣١٨] اسناده حسن.
[٣١٩] رواه نعيم بإسناد حسن، والبخاري في تاريخه، والطبراني، والداني، وابن عبد البر في الاستيعاب.
[٣٢٠] اخرجه نعيم بإسناد حسن.
[٣٢١] أخرجه نعيم في الفتن بإسناد حسن إلى ابن الحنفية.

الفصل السادس

السرد القصصي
وأحداث
الفتن والملاحم

﴿من نزول الخلافة إلى نزول المسيح عليه السلام﴾

مقدمة:

بعد معارك طاحنة، في الملحمة الكبرى التي فتح الله فيها بيت المقدس على أيدي المسلمين بقيادة هذا الأمير الهاشمي، الذي جمع الله له شمل الأمة، بعد سنوات من الفتن والحروب التي مزقت جسد الأمة.

بدأ الأمير رحلة الخلافة، فها هو يعلن عودة الخلافة للأمة الإسلامية، بعد أن رُفعت عنها لأكثر من قرن من الزمان، خلافة تُلغي الحواجز والحدود بين الشعب الواحد، الذي يجمعه رب واحد ورسول واحد ودين واحد وقبلة واحدة.

ومع هذا الإعلان يبدأ العمل ويبدأ البناء، ولسان حاله يقول: نحن أبناء اليوم، هاتوا أيديكم لكي نعيد بناء الأمجاد، لكي نصنع حضارة تليق بإسلامنا العظيم، تعالوا نعلوا على جراح الماضي، ندعوا الله أن يتقبل شهدائنا ويُشفي مرضانا ويغفر زلاتنا، وأن يعيننا على ذِكره وشكره وحُسن عبادته، وأن يعيننا على القيام بدينه كما يرضى.

البناء جارٍ، والأيدي تعمل، والهِممُ عالية، أمّةٌ تُلملِم جراحها وتستعدّ للنهوض ولكن،،،

أعداء الأمة لا يزالون يتربصون بها، يمكرون بظلمة الليالي، يُعدّون الخطط الخبيثة للنيل منها، إنهم أعداء الدين والإنسانية، ممن يحملون في قلوبهم البغض والضغينة والحقد على الإسلام، إنهم أعداء السلام والأمان من الروم والبربر والأعاجم.

نحن لا نكره الشعوب، ولا نعاديهم، بل نحن مأمورون بدعوتهم والأخذ بأيديهم إلى طريق الجنة بالإسلام، ولا طريق غيره إلى الجنة، فكيف نكرههم ونعاديهم؟! وما مصلحتنا في ذلك؟!

لكننا بالمقابل لا نرضى بالظلم من أي أحد على أي أحد، ولا نرضى بالاستبداد والاحتلال، ومن واجبنا وحقنا الدفاع عن ديننا ودمائنا وأهلنا وأرضنا، وعن كل ضعيف مظلوم.

الرحلة بدأت، رحلة الرخاء والضيق، الملاحم والفتن، قال كعب رحمه الله: (لن تزالوا في رخاء من العيش حتى تنزل الخلافة بيت المقدس)[٣٢٢].

---

[٣٢٢] رواه نعيم في الفتن بسندين مختلفين.

توطئة ضرورية:

سأقدم في هذا المبحث - إن شاء الله - حركة الأحداث كما جاءت في المرويات السابقة وغيرها مما جاء في كتاب الفتن للإمام الحافظ نعيم بن حماد، وكتاب سنن الفتن للإمام الحافظ أبو عمرو الداني، وغيرهما، ملتزماً بعدة نقاط:

١- لا أجزم بما سأقدمه هنا، بأن هذا ما سيجري حقاً وفعلاً، جزماً قاطعاً، فلا يعلم الغيب إلا الله ﷻ عالم الغيب والشهادة، إنما هو عرضٌ وتقديمُ لما فهمت من هذه الروايات التي وضعتها بين يدي القارئ والباحث بتخريجها من كتبها من تراثنا – بحسب ما وصلني – على قصور مني.

٢- لن أقوم بتنزيل الأحداث على شخصيات معينة معروفة أو غير معروفة، تاركاً هذا لتخيّل كل قارئ.

٣- لمزيد من التفاصيل حول السرد القصصي، يُرجى الاطلاع على كتاب:

(القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) للإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله، بتحقيق ودراسة وتعليق: مصطفى عاشور.

٤- في هذا الفصل ردا على من يقوم بسرقة بعض الأحداث -التي ليس لها وجود إلا بعد فتح بيت المقدس- وتنزيلها على واقع الأمة الآن، أي قبل فتح فلسطين، لكي يتاجر بها سياسياً أو عقدياً أو اجتماعياً أو مذهبياً أو طائفياً.

لذا فمن أراد الأخذ بما جاء في كتب الفتن سابقة الذكر، فعليه الأخذ بها جميعا، لورودها جميعا بنفس درجات الإسناد وبنفس الرواة، ومن يقول بأنها روايات ضعيفة لا تطمئن النفس إليها، فله أن يرفضها جميعاً، والكلام هنا عن أحداث السفياني وما قبله أو بعده، وقصدي من هذا الرد على من يأخذ بروايات السفياني فقط ليستغلها في غايات خاصة كما ذكرت سابقاً.

٥- ألتزم الحياد والإنصاف في النقل والجمع، ولا أقدم رأيي في أي مما سيأتي، فما أنا إلا ناقل، مع قليل من الشرح والجمع والتوضيح.

والله أعلم.

السرد القصصي للأحداث

عن أبي قبيل قال: (لا يزال الناس بخير في رخاء ما لم ينتقض مُلك بني العباس، فإذا انتقض مُلكهم لم يزالوا في فتن حتى يقوم المهدي)[٣٢٣].

وعن أرطاة قال: (ينزل المهدي بيت المقدس ثم يكون خلفاء من أهل بيته بعده تطول مدتهم ويتجبرون حتى يصلي الناس على بني العباس وبني أمية مما يلقون منهم).

اخترت أن يكون هذا الأثر بداية لسرد الأحداث، لأنه يختصر كل الأحداث القادمة، وربما يتساءل البعض: كيف تبني سردا على أحاديث أكثرها ضعيف؟ كما أن أكثرها مقطوعاً على بعض التابعين، وليست مرفوعة إلى النبي ﷺ؟

الجواب ببساطة: أن الجسم العام للسرد هو مبني أصلا على الأحاديث المرفوعة الصحيحة، كما أننا عندما نقرأ عن الهرج والفتن في آخر الزمان، فإن لم تكن هذه المرويات عن التابعين من أئمة المسلمين هي ترجمة فعلية لهذا الهرج وهذه الفتن، فما عساها أن تكون؟

الصحابة رضوان الله عليهم سمعوا من النبي ﷺ الكثير الكثير، وليس كل ما سمعوه منه وصلنا بالأسانيد، كما أنه قد يقول الصحابي كلاما فلا يرفعه إلى النبي ﷺ، فيبدو وكأنه منه، وهو ما يسميه العلماء بالموقوف، وكذلك قد يروي التابعي كلاما فلا يرفعه للصحابي فيسميه العلماء مقطوعاً على التابعي.

ولكن من المعلوم أن الصحابة جميعا إنما تعلموا في مدرسة النبوة، وتعلم منهم تابعيهم من الأئمة الثقاة العدول، فنهلوا من نفس المدرسة المنورة، مدرسة النبوة الكريمة.

وقد قدمت في مبحث سابق عن سماع بعض الصحابة والتابعين عن بعض أحبار اليهود ممن دخل الإسلام وحسن اسلامه، فسمع منهم الصحابة ولم يتحرجوا في النقل عنهم، وهم أذكى الناس وأعلم الناس وأتقى الناس بعد الأنبياء والرسل، فما يجدر بنا إلا أن ننقل ما نقلوه، ونحدّث بما حدثّوا به، غير متحرجين ولا مكذبين ولا مصدقين، كما تعلمنا من نبينا ﷺ.

---

[٣٢٣] رواه نعيم بن حماد في الفتن، وأورده السيوطي في الحاوي ونسبه لكتاب نعيم بن حماد.

وحيث أنه لا يوجد في تاريخ أي أمة من الأمم، مُلكاً أو حُكماً استمر على حاله دون منغصات وفتن، فهذه سنة الله ﷻ في الأمم، فما مِن حُكمٍ إلا وهو زائل، وما من أمة إلا ولها أعدائها، وما من شعب إلا وفيه من يطمع في الوصول إلى الحكم، بأي طريقة استطاع، حتى ولو كان على حساب دماء الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال، وكل هذا مدعاة لظهور الفتن والهرج بين الناس.

<u>بداية تشكل الدول:</u>

من الطبيعي بعد ظهور أي دولة جديدة، أن يقوم الحاكم الجديد بإعادة تشكيل دولته بما يناسب عقيدته وعقيدة من معه.

وهذا ربما يأخذ وقتا طويلا من السنوات، من عملٍ دؤوبٍ لنزعِ أنقاض الماضي ومُخلّفات الحروب، ثم إعادة البناء والإصلاح والتجديد، على كافة المستويات.

وهذا ما سيقوم به الأمير فعلا، وأقصد بالأمير – كما مر في المبحث السابق- هو الفاتح لبيت المقدس والخليفة الأول.

إنها المسؤولية العظمى، تبدأ من رسم الخطوط العريضة للأمة، وسياساتها المقبلة، وتحديد الأصدقاء والأعداء، ودراسة الموازنات والميزانيات، ومعرفة المقدّرات والمطلوبات، والنظر في حالها و تحدياتها... إلخ.

دولة تتشكل من جديد، تاريخها عريق، قوانينها ربانية، حملها ثقيل، شعبها مصطفى، ها هي تقوم من كبوة استمرت لقرن من الزمان، لها أعداء متربصون... هذا هو وصفها في هذه المرحلة.

فماذا يقول مجموع الروايات عن هذه المرحلة وما بعدها؟

<u>أعمال الخليفة الأول الفاتح:</u>

البداية مع فاتح بيت المقدس، فما هي أعماله في هذه الفترة؟

قال بن سعد روى الوليد بن مسلم عن شيخ من أهل دمشق عن يونس بن ميسرة بن جليس سمعت عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يكون في بيت المقدس بيعة هدى﴾[٣٢٤].

بعد هذه البيعة تبدأ أعمال الخليفة الأول فاتح بيت المقدس:

---

[٣٢٤] رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن عساكر في تاريخ دمشق، وفيه مجهول وهو الشيخ الذي من دمشق.

أولا- العدل والمساواة:

عن دينار بن دينار قال: (يظهر المهدي (الأول) وقد تفرق الفيء، فيواسي بين الناس فيما وصل إليه، لا يُؤثر فيه أحداً على أحد، ويعمل بالحق حتى يموت، ثم تصير الدنيا بعده هرجا)[٣٢٥].

وليس هذا مهدي آخر الزمان، لأن مهدي آخر الزمان هو من ينتقل الحُكم في وجوده إلى المسيح عليه السلام، وليس بعدهما هرجا، إنما الهرج يبدأ بعد الخليفة الثالث والرابع كما سيأتي لاحقا إن شاء الله.

فعن دينار أيضا قال: (بلغني أن المهدي إذا مات صار الأمر هرجاً بين الناس، ويقتل بعضهم بعضاً، وظهرت الأعاجم، واتصلت الملاحم، فلا نظام ولا جماعة حتى يخرج الدجال)[٣٢٦].

والكلام هنا عن فتنة الدهيماء، فالدجال يخرج بعد ظهور مهدي آخر الزمان.

ثانيا- البناء:

عن محمد بن الحنفية قال: (ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس يملأ الأرض عدلاً يبني بيت المقدس بناءً لم يُبن مثله)[٣٢٧].

وهذا الأثر يذكرنا بالحديث التالي:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**﴾[٣٢٨].

وهذا البناء والعمران، قد يكون بسبب ما سبق الفتح من خراب ودمار، نتيجة الحرب وما استُخدم فيها من أسلحة دمار شامل، والله أعلم.

ثالثا- الهدنة:

تكملة الأثر السابق عن ابن الحنفية: (... تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين في خلافته، ثم يغدرون به، ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غما، ثم يلي بعده رجل من بني هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه).

---

[٣٢٥] رواه نعيم بن حماد في الفتن.

[٣٢٦] رواه نعيم بإسناد ضعيف إلى دينار.

[٣٢٧] رواه نعيم بإسناد ضعيف

[٣٢٨] رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة وغيرهم.

وهذه أول هدنة مع الروم، تكون بين الخليفة الأول فاتح بيت المقدس وبينهم، بعد الحرب التي تكلمت عنها سابق، والله أعلم.

رابعا- مقر دار الخلافة ووقف الحروب:

عن كعب الأحبار قال: (لا تنقضي الأيام حتى ينزل خليفة من قريش بيت المقدس يجمع فيها قومه من قريش، منزلهم وقرارهم....، وتدين لهم الأمم، ويدر لهم الخراج، وتضع الحرب أوزارها)[٣٢٩].

خامسا- تعامله مع الأسرى:

قال ابن شوذب: (إنما سُمي المهدي لأنه يُهدى إلى جبل من جبال الشام، يستخرج منها أسفارا من أسفار التوراة، فيُحاج بها اليهود، فيُسلم على يديه جماعة من اليهود)[٣٣٠].

وعن سليمان بن عيسى قال: (قد بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلا منهم ثم يموت المهدي)[٣٣١].

وليس هذ المهدي هو مهدي آخر الزمان – بفهمي – لأن مهدي آخر الزمان لا ينزل الأرض المقدسة إلى بعد فترة من الزمان تكون الخلافة فيها قد انقطعت وعمت الفوضى والدهيماء، ويكون هو فيها في أرض خراسان في جهاد، ومن جانب آخر فإنه من المنطق أن يكون هذا الأثر في فاتح بيت المقدس حيث لايزال وجودا لبعض اليهود ممن لم يفر إلى أصفهان حيث آخر خروجهم مع الدجال، وممن لم يستطع الهرب إلى أي مكان، وممن لم يُقتل أثناء الملحمة التي أدت إلى فتح بيت المقدس.

وعن أبي أمية الكلبي عن شيخ حدثهم زمن ابن الزبير أدرك الجاهلية علامة قال: (تنزل الخلافة بيت المقدس تكون بيعة هدى يحل لمن بايعه بها نساؤهم يقول لا يأخذ عليهم بطلاق ولا عتق)[٣٣٢].

---

[٣٢٩] رواه نعيم وفيه الوليد بن مسلم وقد عنعنه.

[٣٣٠] رواه أبو عمرو الداني في سنن الفتن بسنده، ونعيم بن حماد في الفتن.

[٣٣١] رواه نعيم بن حماد في الفتن بإسناد ضعيف.

[٣٣٢] رواه نعيم في الفتن بإسناد ضعيف

ومعلوم في الفقه الإسلامي أنه لا يجوز اتخاذ المسلمات في الحروب إماء، إنما الإماء والعبيد هم نتيجة الحروب مع غير المسلمين، ومعلوم أن من في بيت المقدس اليوم هم من اليهود، وهذا يؤكد الأثرين السابقين.

موت الخليفة الأول:

مرّ معنا قبل قليل في هذا الأثر:

- عن ابن الحنفية: (... تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين في خلافته ثم يغدرون به ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غما، ثم يلي بعده رجل من بني هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه).

- وعن أبان بن الوليد المعيطي سمع ابن عباس يُحدث معاوية رضى الله عنهم يقول: (يلي رجل منا في آخر الزمان أربعين سنة تكون الملاحم لسبع سنين بقين من خلافته فيموت بالأعماق غما...)[٣٣٣].

<u>- تكملة السرد والأحداث:</u>

مع الخليفة الثاني (الجابر):

بعد موت الخليفة الأول، تكون البيعة لولده الذي لقبه الجابر، كما سبق وأن ذكرنا من روايات:

(بعد الجبابرة الجابر ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب فمن قدر أن يموت بعد ذلك فليمت)[٣٣٤].

(سيلي أمر هذه الأمة خلفاء يتوالون كلهم صالح وعليهم تفتح الأرضين كلها أولهم جابر يجبر الله الناس على يديه)[٣٣٥].

(يكون بعد الجبارين الجابر يجبر الله به أمة محمد ﷺ)[٣٣٦].

---

[٣٣٣] رواه نعيم في الفتن بإسناد ضعيف.

[٣٣٤] رواه نعيم بن حماد في الفتن والسيوطي في الحاوي، اسناده فيه ابن لهيعة حدّث عنه عبد الله ابن وهب وهو مقبول لأنه ممن حدث عنه قبل حرق كتب ابن لهيعة، وفي تدليس اختلاف بين العلماء. والله أعلم.

[٣٣٥] أخرجه نعيم في الفتن، وأبو عمرو الداني في سنن الفتن، ومداره على عبد الرحمن بن زيد بن أنعم: عابد فاضل ولكنه ضعيف في الحديث، رواية الداني: سيلي هذه الأمة ثلاثة يتوالون يقيمون أربعين سنة لا خير في الحياة بعدهم: المجبر والمفرخ ﴿بالخاء﴾ وذو العصب، قال قلت ما المجبر؟ قال يُجبر الناس على يديه، وقال: فقلت فالمفرخ؟ قال: يكون للناس كالطير لفروخها، وقال: قلت له: ذو العُصب؟ قال: فذو العصب هو رجل صالح، وقد نسيت ما قال لي فيه.

[٣٣٦] رواه نعيم في الفتن وفيه ابن لهيعة، سبق الحدث عنه سابقا.

وهو الخليفة الثاني، الذي يكمل مسيرة والده في جبر حال الأمة، وحتى نعرف أعمال الخليفة الثاني لابد من متابعة الخليفة الأول، فقد قرأنا في سيرة الخليفة الأول هذا الأثر:

عن ابن الحنفية: (... تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين في خلافته ثم يغدرون به ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غما).

إذاً فالروم غدروا بالخليفة الأول في أواخر مدة خلافته، بعد أن نزلوا في الأعماق، وهي منطقة في شمال سوريا وفيها (مرج دابق)، إذاً فالجابر سيكمل هذا القتال ضد الروم في شمال سوريا.

وقرأنا أيضاً في سيرة الخليفة الأول:

عن كعب الأحبار قال: (لا تنقضي الأيام حتى ينزل خليفة من قريش بيت المقدس يجمع فيها قومه من قريش، منزلهم وقرارهم، فيغالون في أمرهم، ويترفون في ملكهم حتى يتخذوا أسكفات البيوت من ذهب وفضة، ونمّيت لهم البلاد، وتدين لهم الأمم، ويدر لهم الخراج، وتضع الحرب أوزارها)[٣٣٧].

والشاهد من النص ما تحته خط، فالسؤال المنطقي هو من أين لدولة حديثة الظهور خارجة من ملحمة كبرى، أن يكون لها هذه الأموال من الذهب والفضة ليتحقق النماء بل والترف؟

الجواب في هذا النص:

عن كعب: (يبعث ملك في بيت المقدس جيشا إلى الهند، فيفتحها ويأخذ كنوزها، فيجعله حلية لبيت المقدس، ويقدموا عليه بملوك الهند مغلولين، يقيم ذلك الجيش في الهند إلى خروج الدجال)[٣٣٨].

ولدينا في هذا النص شاهدان:

الأول: مرّ معنا قبل قليل، أن الخليفة الأول يبني بيت المقدس بناءً لم يُبن مثله، وفي هذا النص أنه يجعل حلية بيت المقدس من الذهب، هذا يعني أنه هو الملك الذي يبعث جيشاً إلى الهند.

وحيث أن هذا الجيش يستمرُّ في جهاده وفتوحاته في الهند حتى خروج الدجال، فهذا يعني أنه في هذه الفترة يكون تحت قيادة الخليفة الثاني الجابر.

---

[٣٣٧] رواه نعيم في الفتن.
[٣٣٨] رواه نعيم في الفتن.

مع الخليفة الثالث (السفاح):

وهكذا تستمر الفتوحات ويزداد النماء في الأمة حتى يموت هذا الخليفة، ثم يبايع من بعده للخليفة الثالث وهو السفاح.

الذي تستمر الفتوحات في عهده وتكثر الغنائم، فيسفح المال ويحثوه حثوا ولا يعده عدا، حتى ينادى به خليفة على مصر.

عن أبي قبيل قال: (إذا سمعت أو إذا جئت هذا المنبر – يعني منبر مصر – فيقرأ لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين، فأوشك أن تسمع لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين)[٣٣٩].

فمن هو أمير المؤمنين عبد الله في هذا الأثر؟ ومن هو عبد الرحمن؟

عن أبي قبيل: (إذا قُرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، لم يلبث إلا يسيرا حتى يُقرأ من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين، وهو صاحب المغرب، وهو شرّ من ملك)[٣٤٠].

إذن الخليفة السفاح اسمه عبد الله، وهناك غيره خليفتان اسمهما يبدأ بحرف العين، وهنا وقفة صغيرة مع حرف العين ثم نكمل السيناريو:

عن أبي حسان بن توبة قال: (لا بد من أن يملك من بني العباس ثلاثة، أول أساميهم عين).

عن كعب قال: (إذا ملك رجل من بني العباس يقال له عبد الله وهو ذو العين الآخرة منهم، بها افتتحوا وبها يختمون، فهو مفتاح سيف الفناء، فإذا قرئ كتاب له بالشام من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، لم يلبثوا أن يبلغكم كتاب قد قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين، فإذا كان ذلك ابتدر أهل المشرق وأهل المغرب الشام كفرسي رهان، يرون أن الملك لا يتم إلا لمن ضبط الشام، كل يقول من غلب عليها فقد حوى على الملك).

هذا يعني أن هناك ثلاثة خلفاء تبدأ أسماؤهم بحرف العين، وهم: الأول، والأخير، وفي الوسط أيضا واحد علامته خروج البربر في زمنه، وحيث أننا وصلنا لمرحلة البربر مع الخليفة الثالث، إذن فهو الخليفة الأوسط الذي يحمل اسمه حرف لاعين، وعليه فإن الخليفة الأول أيضا كان اسمه بحرف العين، (عبد الله أو عبد

---

[٣٣٩] نعيم في الفتن.
[٣٤٠] نعيم في الفتن بإسناد آخر.

الرحمن أو علي أو عادل أو عيسى... إلخ﴾، ويبقى آخر خليفة سيحمل أيضا الاسم نفسه، ولكنه لن يكون السابع مهديّ آخر الزمان لأن اسمه محمد، لذا فهو السادس، وهو آخر السبعة من غير محمد المهدي.

عودة إلى سرد الأحداث:

إذاً ها هي مرحلة البربر قد جاءت في السرد، وقد تقدم الكلام عن البربر وأميرهم عبد الرحمن في الفصل السابق.

والآن مع سير الأحداث، وسأذكر عددا من الروايات، الهدف من ذكرها إطلاع القارئ على عددِ من روى هذا الحدث، فإن كان سند بعضها ضعيفا، فهل من المصادفة تعدد الرواة؟ أم هي روايات كانوا يعرفونها ويتحدثون به؟

- عن أبي سبأ عتبة بن تميم التنوخي قال: (الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ بمصر من عبدِ الله عبد الله أمير المؤمنين فإذا كان ذلك، فهو أول زوال ملكهم وانقطاع مدتهم)[٣٤١].

- عن إسماعيل بن العلاء بن محمد الكلبي عن أبيه قال: (إذا قرئ كتاب أول النهار لبني العباس من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين فانتظروا كتابا يقرأ عليكم من آخر النهار من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين).

- عن جبير بن نفير قال: (ويل لعبد الله من عبد الله ويل لعبد الله من عبد الرحمن).

خط سير جيش البربر أصحاب الرايات الصفر:

- عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال لقوم من أهل مصر:

(إذا أتاكم كتاب من قبل المشرق يقرأ عليكم من عبد الله أمير المؤمنين فانتظروا كتابا آخر يأتيكم من المغرب يقرأ عليكم من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين والذي نفسي حذيفة بيده لتقتتلن أنتم وهم عند القنطرة وليخرجنكم من أرض مصر وأرض الشام كفرا كفرا، ولتباعن المرأة العربية على درج دمشق بخمسة وعشرين درهما)[٣٤٢].

- عن الزهري قال: (إذا دخلت الرايات الصفر مصر فاجتمعوا في القنطرة انتظروا حتى يستجيش أهل المشرق وأهل المغرب ويقتتلون بها سبعا يكون بينهم

[٣٤١] رواه نعيم في الفتن بسند مقبول.

[٣٤٢] رواه نعيم في الفتن، وسيأتي الحديث لاحقا عن معركة القنطرة ‘ن شاء الله.

من الدماء مثلما كان في جميع الفتن ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلونهم الرملة)[٣٤٣].

- عن حبيب بن صالح قال: (ليخرجن رجل يقال له عبد الرحمن بأهل المغرب حتى يأتي حمص فيصعد إلى منبرها)[٣٤٤].

وقفة لشرح الوضع العام في دولة الخلافة:

- الخليفة هو السفاح وهو في أواخر مدته.

- الترك (الكرد) في جزيرة الشام نواحي دير الزور.

- دمشق تحت الخلافة.

- الروم في دابق شمال سوريا.

- الروم في الإسكندرية، والقاهرة تحت مُلك الأبقع الأموي.

- ظهرت دولة البربر وتستعد لغزو دولة الخلافة بدءا من الإسكندرية.

تبدأ تحركات البربر نحو الإسكندرية، وفيها الروم، فيقاتلوهم ويهزموهم ويكملون مسيرتهم باتجاه القاهرة فيحتلونها ويقتلون ويسبون، ثم يكملون سيرهم حتى يصلون إلى منطقة القنطرة، فيقتلون أهلها ويفر من يفر منهم إلى جبل الجون.

في هذه الأثناء يطالب الناس الخليفة في الخروج إليهم، فيرسل عليهم جيشا يقوده السفياني، وهو وقتها قائدا للخليفة عبد الله السفاح.

فيلتقي الجيشان في القنطرة ويكون النصر من حليف البربر فيهزمون جيش الخليفة، ثم يلتقون في العريش بعد مجيء جيش من العراق لنصرة جيش الخليفة، فيهزمهم البربر أيضا.

عندها يتراجع جيش الخليفة ويعود إلى الشام، وينطلق جيش البربر نحو فلسطين فيصلون مدينة الرملة، ثم ينطلقون إلى الأردن ثم دمشق.

وفي هذه الأثناء يستولي الروم على بلاد المغرب بعد خروج جيش البربر منها.

- موت الخليفة السفاح وظهور الخلاف في بيت الخلافة:

---

[٣٤٣] رواه نعيم بسند حسن.

[٣٤٤] رواه نعيم بسند حسن.

في هذه الأثناء يأتي خبر موت الخليفة السفاح، ويقع الخلاف الأول في بني العباس على خليفتين، ينادون لهما بالخلافة، وهما الفرعان، وتظهر راية الأصهب في دمشق، ويرفع السفياني رايته، ويكون بداية الخلافة هذا في شهر صفر.

في هذه الأثناء يستطيع الأبقع أن يهزم البربر في مصر، ويرسل جيشا من ذوي الأجسام إلى الشام.

ينطلق البربر إلى دمشق، فيخرج عليهم السفياني حتى ينزل الجابية، وتدور المعارك بين أربع رايات: الأصهب والبربر والسفياني والأبقع.

فبينما البربر في دمشق ينظرون إلى أعاجيب مسجدها، يسقط الجدار الغربي للمسجد ويقع خسف حرستا.

وتدور المعارك بين هذه الرايات الأربع، فيهزمهم السفياني جميعا، وينقسم البربر إلى ثلاث فرق: فرقة تهرب باتجاه حمص وفيها عبد الرحمن حتى يجلس على منابر حمص فيفعل فيها الأفاعيل، وفرقة تهرب إلى الحجاز فيحجون ويبقون فيها حتى ظهور المهدي، وفرقة تنظم إلى السفياني فيقاتلون معه.

يخرج البربر من حمص باتجاه بحيرة فامية، فيرسل الله ﷻ على دوابهم داء فلا يبقى منها شيء إلا مات، فيأتيهم السفياني، فتقع بينهم معركة عظيمة، حتى أن كل رجل من جيش السفياني ليقتل السبعين من جيش البربر حتى يفنوهم عن آخرهم وتكون نهاية البربر.

- عودة إلى السرد ومع السفياني:

في دمشق يستولي السفياني عليها ويعلن خروجه على الخلافة، ويُجبر الناس على مبايعته، ويلاحق فيها بني العباس وبني هاشم ممن هم من أهل الخلافة، فيقتل كل من يجدهم فيها ويبقر البطون ويسبي النساء، ويقع البلاء.

يعظم جيش السفياني في هذه المرحلة، ويقوم فيها بعدة معارك، فيقوم السفياني بطرد الأبقع ويلحق به حتى يدخل مصر، وقتها يكون خراب مصر، وينجو من يهرب منهم إلى فلسطين إلى جبل الخليل، وتفت مصر فت البعرة، ثم يعود فيلاحق أهل العراق حتى يدخل الكوفة، ثم يدخل حمص وينهي البربر، ثم تقع معركة في دير الزور ضد الترك ومعركة في دابق ضد الروم، في معارك متلاحقة.

معركتا الحص وقرقيسيا:

أثناء ذلك، يسمع أحد قادة الخليفة ممن كان في خراسان بما فعله السفياني بأهله في دمشق، وهو حسيني من أبناء عمومة الخلفاء، فيقدم الكوفة ويتوارى فيها يتحين فرصة للخروج إلى الشام لينتقم من السفياني.

ثم يجهز جيشا في الكوفة فيخرج فيهم نحو الشام، فيبلغ ذلك السفياني، فيتوجه بجنوده ومنهم من انظم إليه من البربر، فيلتقي الجيشان قرب جبل الحصى، فتقع معركة عظيمة بينهما، يموت فيها خلق كثير، فينهزم جيش الكوفة ويهرب نحو قرقيسيا، فيدركه السفياني فيها، ويقتل من جنوده من كل عشرة سبعة، ثم يهرب جيش الكوفة إلى عرقوقا قرب بغداد، فيعود السفياني إلى الكوفة لينتقم منهم، فيقوم فيهم بالقتل والسبي وتُفت الكوفة فت البعرة. فيكون خراب الكوفة بعد خراب مصر.

<u>موت السفياني الأول وظهور السفياني الثاني:</u>

عندما يخرج السفياني الأول من الكوفة باتجاه عودته إلى الشام، يُصاب بقرحة في حلقه ويموت، فيستلم الجيش ابن اخته، وهو السفياني الثاني.

عندما يسمع أهل العراق بموت السفياني، يثورون مرة أخرى، ويقولون لقد انتهت دولة أهل الشام، ويُعدّون جيشا قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل، فيبلغ ذلك السفياني الثاني، فيبعث عليه جيشا يقوده رجل جسيم له غديرتان اسمه قمر بن عباد الحارثي، فيلتقي جيش الشام بجيش العراق قرب جبل الحص قرب حلب، فيقاتلهم ويهزمهم، فيقتل بها نيفا وسبعون ألفا، ثم يرجع إلى الكوفة، فكم من دم مهراق، وبطن مبقور، ووليد مقتول، ومال منهوب، ودم مستحل، فيسبي نسائها، وتُعرك الكوفة عرك الأديم، ويهرب من استطاع الهرب إلى الحجاز.

وهو الذي يسمع بخروج المهدي في الحجاز فيجهز جيشا ليغزوه، وهو جيش الخسف.

ويعود السفياني الثاني إلى دمشق، فيقتل كل من عصاه، وينشرهم بالمناشير، ويطحنهم بالقدور ستة أشهر.

وفي هذه الأثناء أيضا، يسمع رجلا في اليمن بهذه الأحداث اسمه المنصور، ولقبه اليماني، فيخرج من صنعاء بجيش ليقاتل السفياني، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل إن شاء الله.

معركة الرقة:

ينزل فيها ملك من بيت الخلافة عباسي، فيمكث فيها سنتين، يكون بينه وبين الروم معارك في جزيرة الشام، حتى يستقر في الرقة، وهو ممن يشارك في معركة الحص ضد السفياني.

وفي خضم هذه المعارك، وبعد معركتي الحص وقرقيسيا، يرسل السفياني جيشا إلى خراسان، حيث ينتشر فيها جيشا قد خرج للفتوحات من عهد الخليفة السفاح، ينشغل بالفتوحات في أثناء الأحداث الساقة، وقد تحدثنا عنه سابقا في إطار غزوة الهند.

هذا الجيش يكون عليه قائدا من أحد أبناء الخلافة المقدسية، ويكون تحته عدد من القادة على كتائبه.

ومن هؤلاء القادة رجلا أسمر كوسج ربعة، مولى لبني تميم اسمه شعيب بن صالح، يكون بالري في خراسان، على جيش عدده أربعة آلاف ثيابهم البيض وراياتهم سود، لا يلقاه أحد إلا فلّه، من نصره نصره الله، ومن خذله خذله الله، وهو أحد قادة المهدي، مهدي آخر الزمان، وهو الذي يمهد لعودته إلى بيت المقدس.

<u>معركة باب اصطخر:</u>

عندما يرسل السفياني بجيشه خلف الجيش الذي في خراسان، يتجهز له جيش خراسان الذي قادته المهدي وشعيب وبن صالح، فتقوم بينهما معارك عدة في أكثر من موقع، فيلتقيان في (قومس) و(دولات) و(الري)، فيسير المهدي بجيشه، وشعيب بن صالح بمن معه، حتى يلتقي المهدي وشعيب وجيش السفياني في إحدى مدن فارس اسمها باب اصطخر، فيكون بينهما ملحمة عظيمة، ينتصر فيها جيش المهدي وشعيب بن صالح، وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه.

ثم تكون معركة أخرى بينهم في المدائن، ثم يتقدم جيش المهدي حتى يصل إلى عقرقوفا قرب بغداد، فتكون معركة صيلمية يخبر عنها كل ناج، ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل، ووقعة في أرض من أرض نصيبين، حتى يخرج أهل العُصب ومن معهم من الكوفة والبصرة، يقودهم منصور اليماني.

- تكملة السرد في أحداث مناطق مختلفة:

والآن لنعود إلى الوراء قليلا، لنرى ما هي الأحداث التي توافقت زمنيا في بيت المقدس مع أحداث السفياني في المعارك السابقة:

فتنة الكوفة وجيش الخسف:

بعد معارك السفياني مع الترك والروم في قرقيسيا، يدخل السفياني الكوفة فيسببها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفا، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها ويهدم الحصون.

في هذه الأثناء يحاول المهدي وشعيب بن صالح أن يدخل الكوفة ليستنقذ من بقي فيها من بني هاشم، فيبعث السفياني إلى المدينة خيلا فيأخذ قوما من بني هاشم حتى يرد بهم الكوفة.

حينها يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفياني في طلبهما فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة، نزل جيش السفياني البيداء فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم.

ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي.

<u>في بيت المقدس:</u>

وهنا تأتي مرحلة المخزومي[٣٤٥]: ينزل المخزومي ببيت المقدس، فيلبس التاج، وتنقل إليه الخزائن وأشراف الناس، فيتجبرون فيها ويشتد حجّابه وتكثر أموالهم، حتى يطعم الرجل منهم الشهر والآخر الشهرين والثلاثة، حتى يكون مهزولهم كسمين سائر الناس وينشئوا فيها نشوء كالعجول المربية على المذاود.

محاربته للعلم والعلماء:

ويُطفئ المخزومي سنناً كانت معروفة، ويبتدع سنناً لم تكن، ويظهر الشرّ في زمانه، ويظهر الزنا، وشرب الخمر علانية.

---

[٣٤٥] من مجموعة روايات في كتاب الفتن لنعيم بن حماد.

ويُخيف العلماء في زمانه، حتى لو أن رجلا ركب راحلة ثم طاف الأمصار كلها، لم يجد رجلاً من العلماء يُحدّثه بحديثٍ علمٍ من الخوف.

وفي زمانه يكون المسخ والخسف، ويكون الإسلام غريباً، ويكون المُتمسِّك بدينه كالقابض على جمرة من نار، أو كخارط القتاد في الليلة المظلمة.

حتى يصير من شأنه أنه يرسل ابنته تمر في السوق ومعها الشُّرط، عليها بطيطان من ذهب، وثوب لا يواريها مقبلة ولا مدبرة من رقته، فلو تكلم أحد من الناس في الإنكار عليه في ذلك بكلمة واحدة ضُربت عنقه.

المخزومي وأهل اليمن:

يبدأ فيمنع الناس الرزق ثم يمنعهم العطاء، ثم بعد ذلك يأمر بإخراج أهل اليمن من الشام فتخرجهم الشرط متفرقين، لا تترك جندا يصل إلى جند حتى يخرجوهم من الريف كله.

فينتهون إلى بُصرى[٣٤٦]، وذلك عند آخر عمره، فيتراسل أهل اليمن فيما بينهم حتى يجتمعوا كاجتماع قزع الخريف فينصبون من حيث كانوا بعضهم إلى بعض عصباً عصباً، ثم يقولون أين تذهبون وتتركون أرضكم ومهاجركم؟ إلى أن يجتمع رأيهم على أن يبايعوا رجلاً منهم.

فبينا هم يقولون نبايع فلاناً بل فلاناً، إذ سمعوا صوتاً، ما قاله أنس ولا جان:

بايعوا فلاناً، يسميه لهم، فإذا هو رجل قد رضوا به وقنعت به الأنفس ليس من ذي ولا ذي، ثم يرسلون إلى جبار قريش (المخزومي) نفراً منهم، فيقتلهم ويردّ رجلاً منهم يخبرهم ما قد كان، ثم إن أهل اليمن يسيرون إليه، وللمخزومي من الشُّرط عشرون ألفاً.

فيسير أهل اليمن، فتقاتلهم لخم وجذام وعاملة وجديس، فينزلون لهم الطعام والشراب، والقليل والكثير، ويكونون يومئذٍ مغوثةً لليمن، كما كان سيدنا يوسف ﷺ مغوثة لأخوته بمصر.

قال كعب: (والذي نفس كعب بيده إن لخم وجذام وعامله وجديس، لمن أهل اليمن، يأهل اليمن فإن جاؤوكم يلتمسون نسبهم فيكم فصلوهم فإنهم منكم).

---

[٣٤٦] مدينة أثرية في حوران جنوب سوريا، تشتهر بقلعتها وآثارها المتعددة.

ثم يسيرون جميعا حتى يشرفوا على بيت المقدس، فيلقاهم المخزومي في جموع، فيهزمهم أهل اليمن، ولا يقومون لأهل اليمن اقتناع الرجل بثوبه في القتال.

عن كعب قال: (إذا وضعت الحرب أوزارها، قالت مُضر للقرشي الذي ببيت المقدس (المخزومي): إن الله أعطاك ما لم يعط أحدا، فاقتصرته على بني أبيك.

فيقول: من كان من أهل اليمن فليلحق بيمنه ومن كان من الأعاجم فليلحق بأنطاكية، وقد أجلناكم ثلاثا، فمن لم يفعل ذلك فقد حل بدمه).

قال فتلحق اليمن بزيزاء[٣٤٧]، والأعاجم بأنطاكية.

قال فبينما اليمانيون بزيزاء إذ سمعوا مناديا ينادي من الليل:

يا منصور يا منصور.

فيخرج الناس إلى الصوت، فلا يجدون أحداً ثَمّ ينادي، الليلة الثانية ثم الثالثة، قال فيجتمعون فيقولون: يا أيها الناس أترجعون إلى الأعرابية بعد الهجرة وترجعون على أعقابكم وتدعون مجاهدكم وخططكم ودار هجرتكم ومقابر موتاكم، قال فيولون عليهم رجلاً.

فيجتمعون وينظرون لمن يبايعون، فبينما هم كذلك، إذ سمعوا صوتاً ما قاله إنس ولا جان: بايعوا فلاناً -باسمه- ليس من ذي ولا ذو ولكنه خليفة يماني.

قال كعب: (إنه يماني قرشي، وهو أمير العُصب، والعُصب فيه انتقاص أهل اليمن ومن تبعهم من سائر الذين خرجوا من بيت المقدس وذلك قول تبع:

وبالشطر أحبه من قومنـــا   تـقـود بالملـك بعد الكـــرب

هـذا الخـلـف العـابــر يــف   ضي الجموع وجمع العصـب

عن كعب قال: (فتخرج أهل اليمن إلى مقدم الأرض فينزلون على لخم وجذام فيواسونهم في معائشهم حتى يكونوا فيها سواء).

---

[٣٤٧] مدينة بالقرب من إربد.

الموالي والجهجاه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له: الجهجاه**﴾[٣٤٨].

وعنه أيضاً ﷺ أنه سمع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: ﴿**إذا وقعت الملاحِمُ بعث الله من دمشقَ بعثًا من الموالي، أكرمَ العرب فرسًا، وأجودهم سلاحًا، يؤيدُ الله بهم الدين**﴾[٣٤٩].

وفي زيادة عند نعيم: (فإذا قُتل الخليفة بالعراق، خرج عليهم رجل مربوع القامة كثة اللحية أسود الشعر براق الثنايا، فويل لأهل العراق من اتباعه المُرّاق ثم يخرج المهدي منّا اهل البيت، فيملأ الارض عدلاً كما ملأت جوراً)[٣٥٠].

- تكملة السرد:

علمنا أنه بعد فتنة الكوفة يقدِم القحطاني من صنعاء مُغضبا، ثم يقاتل السفياني، وفي هذه الأثناء يظهر رجل من الموالي، بعد معركة النهرين.

حتى يصطلح أمر الناس وتجتمع كلمتهم، ثم يسيرون حتى ينزلوا الشام ويمكثون زمانا في ولاية صالحة ثم تثور بهم قيس فيقتلهم أهل اليمن حتى يظن الظان أن لم يبق من قيس أحد، ثم يقوم رجل من أهل اليمن فيقول الله الله في اخوانكم، الله والبقية، فتسير قيس فيمن بقى منها حتى ينزلوا بين النهرين فيجمعوا جمعا عظيما فيولون أمرهم رجلا من بني مخزوم ثم يموت والي اليمن فتفرح قيس بموته فيسير المخزومي حتى إذا جاز آخرهم الفرات مات المخزومي فتصير اليمن على حده وقيس على حدة فيغضب الموالي عن ذلك وهم أكثر الناس يومئذ فيقولون:

هلمّوا نُولّي رجلاً من أهل الدّين، فيبعثون رهطا من أهل اليمن ورهطا من مُضر ورهطا من الموالي إلى بيت المقدس، فيتلون كتاب الله ﷻ ويسألونه الخيرة فيرجع أولئك الرهط وقد ولّوا رجلا من الموالي، فويلٌ للناس بالشام وأرضها من ولايته فيسير إلى مضر يريد قتالهم، ثم يسير رجلا من أهل المغرب.

رجلٌ طويلُ جسيمٌ عريضُ ما بين المنكبين، فيقتل من لقي حتى يدخل بيت المقدس فتصيبه الدابة فيموت موتا، فتكون الدنيا شرّ ما كانت، ثم يلي من بعده رجلٌ من

[٣٤٨] رواه الامام أحمد.

[٣٤٩] أخرجه ابن ماجة والحاكم واللفظ له، وصححه ووافقه الحاكم.

[٣٥٠] أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

مضر يقتل أهل الصلاح ملعون مشوم ثم يلي من بعده المضري العماني القحطاني يسير بسيرة أخيه المهدي وعلى يديه تفتح مدينة الروم.

- تكملة السرد:

عن عمار ﷺ قال: (ليأتين على الناس زمان، إذا وجد الرجل من قريش صُنع به ما يُصنع بحمار وحش إذا صيد، وتوجد العمامة على رأسه، فتنزع عن رأسه ثم تُضرب عنقه)[٣٥١].

قلت:

كان هذا في زمن السفياني الثاني، حيث أنه بدأ بالبحث عن بني العباس فيقتلهم – كما مر معنا – بعد فتنة الكوفة، انتقاماً من المهدي وشعيب بن صالح اللذان قاتلاه ما بين خراسان والعراق.

وكذلك ما لقوه بنو العباس من المخزومي من مطاردات وقتل في العراق والشام.

فعن كعب قال: (إذا كثر الهرج في الناس قال الناس إنما هذا القتال في قريش ولها، فاقتلوهم حتى تستريحوا، فيقتلونهم، حتى لا يبقى منهم أحد، ويغزو الناس بعضهم بعضا، كما كانوا في جاهليتهم ويملك الناس رجل من الموالي)[٣٥٢].

قلت:

والمقصود هنا من قتال قريش بعضهم بعضا، هم السفياني والمخزومي والأصهب، حيث أن السفياني والأصهب من بني أمية من قريش، أما المخزومي فهو قرشي من بني مخزوم.

وعن كعب قال: (إذا ظهر اليماني قُتلت قريش يومئذ ببيت المقدس)[٣٥٣].

والمقصود باليماني هو القحطاني، حيث أنه يتزامن مع قائد الموالي، حيث أن قائد الموالي يكون ملكا في دمشق، بعد معركة النهرين، أما القحطاني فقد بويع بالخلافة في بيت المقدس، بعد أن بايعه أهل اليمن في زيزياء وبصرى، وبعد أن قتل المخزومي.

---

[٣٥١] رواه نعيم بسند حسن.
[٣٥٢] رواه نعيم بسند ضعيف.
[٣٥٣] رواه نعيم بسند فيه ضعف.

عن أرطاة قال: (على يدي ذلك الخليفة اليماني وفي ولايته تفتح رومية).

عن تبيع قال: (الذي يهزم الروم يوم الأعماق هو خليفة الموالي).

ولنا عودة لمعركة الأعماق بين الموالي والروم، والآن الخليفة اليماني الذي هو القحطاني.

الخليفة السادس (القحطاني):

وقد سبق التعريف به، وسنبدأ هنا من بعد مبايعة أهل اليمن له، وقتاله للمخزومي وانتصاره عليه، ومعاركه مع الروم، وغيرها:

عن سليمان بن عيسى وكان علامة في الفتن قال[٣٥٤]: (... ثم يكون شريف الذكر من قوم تُبّع، يقال له منصور ببيت المقدس).

خلافته:

إحدى وعشرين سنة، خمسة عشرة منها عدل، وثلاث سنين جور، وثلاث سنين منها حرمان الأموال لا يُعطى أحدٌ درهماً، يُقسّم أهل الذمة بين مقاتلته.

وهو الذي ينفي الموالي عمق الأعماق[٣٥٥]، وهو الذي يدوس ولد إسماعيل[٣٥٦] كما يدوس البقر الأندر (البيدر)، وهو الذي يخرج عليه المولى اسمه اسم نبي وكنيته كنية نبي يسير إليه من الأعماق، حتى يلقى منصور ببطن أريحاء فيقاتله، فيقتله ثم يملك المولى، وينفى ولد قحطان وولد إسماعيل إلى مدينتي كنز العرب، المدينة وصنعاء، وهو الذي يخرج على يديه الترك والروم حتى يملكوا ما بين عمق أنطاكية إلى جبل الكرمل بفلسطين بمرج مدينة عكا، يملك المولى ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك من بعده هيم المهدي الثاني وهو الذي يقتل الروم ويهزمهم ويفتح القسطنطينية ويقيم فيها ثلاث سنين أربعة أشهر وعشرة أيام ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيسلم المُلك إليه.

---

[٣٥٤] بتصرف.

[٣٥٥] مرج دابق شمال سوريا.

[٣٥٦] يقصد المخزومي ومن معه.

معركة السفياني والمهدي بعد جيش الخسف:

مرّ معنا سابقا أن جيشا أرسله السفياني إلى الحجاز، يريد المهدي بمكة فخسف الله به، فتكون هذه المعجزة هي علامة خروج المهدي، والتي من غيرها لا يُعرف المهدي.

وهذه طائفة من أحاديث جيش الخسف كما في الصحاح وكتب السنن، ثم نعود إن شاء الله إلى تكملة السيناريو:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم**)[٣٥٧].

جاء في فتح الباري:

(قوله: (يغزو جيش الكعبة) في رواية مسلم: عبث النبي ﷺ في منامه فقلنا له: صنعت شيئا لم تكن تفعله، قال: العجب أن ناسا من أمتي يؤمون هذا البيت لرجل من قريش، وزاد في رواية أخرى أن أم سلمة قالت: ذلك زمن ابن الزبير، وفي أخرى أن عبد الله بن صفوان أحد رواة الحديث عن أم سلمة قال: والله ما هو هذا الجيش.

قوله: (ببيداء من الأرض) في رواية مسلم "بالبيداء" وفي حديث صفية على الشك، وفي رواية لمسلم عن أبي جعفر الباقر قال هي بيداء المدينة.

والبيداء: مكان معروف بين مكة والمدينة.

قوله: (يخسف بأولهم وآخرهم) زاد الترمذي في حديث صفية: "ولم ينج أوسطهم" وزاد مسلم في حديث حفصة: "فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم" واستغني بهذا عن تكلف الجواب عن حكم الأوسط وأن العرف يقضي بدخوله فيمن هلك أو لكونه آخرا بالنسبة للأول وأولا بالنسبة للآخر فيدخل.

قوله: (وفيهم أسواقهم) كذا عند البخاري، جمع سوق وعليه ترجم، والمعنى أهل أسواقه، أو السوقة منهم.

---

[٣٥٧] أخرجه البخاري وغيره.

وقوله: "ومن ليس منهم" أي: من رافقهم ولم يقصد موافقتهم. ولأبي نعيم من طريق سعيد بن سليمان عن إسماعيل بن زكريا: "وفيهم أشرافهم"، وفي رواية محمد بن بكار عند الإسماعيلي: "وفيهم سواهم" وقال: وقع في رواية البخاري: "أسواقهم" فأظنه تصحيفا، فإن الكلام في الخسف بالناس لا بالأسواق.

قلت: بل لف: "سواهم" تصحيف فإنه بمعنى قوله ومن ليس منهم فيلزم منه التكرار، بخلاف رواية البخاري. نعم أقرب الروايات إلى الصواب رواية أبي نعيم، وليس في لفظ: "أسواقهم" ما يمنع أن يكون الخسف بالناس، فالمراد بالأسواق أهلها أي: يخسف بالمقاتلة منهم ومن ليس من أهل القتال كالباعة، وفي رواية مسلم: " فقلنا: إن الطريق يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر - أي: المستبين لذلك القاصد للمقاتلة، والمجبور، أي: المكره - وابن السبيل - أي سالك الطريق - معهم وليس منهم، والغرض كله أنها استشكلت وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة، فوقع الجواب بأن العذاب يقع عاما لحضور آجالهم، ويبعثون بعد ذلك على نياتهم.

وفي رواية مسلم: **يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى** وفي حديث أم سلمة عند مسلم: فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارها؟

قال: يخسف به، ولكن يبعث يوم القيامة على نيته أي: يخسف بالجميع لشؤم الأشرار ثم يعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده، قال المهلب: في هذا الحديث أن من كثر سواد قوم في المعصية مختارا أن العقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: ويبعثون على نياتهم، وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي من ضرورة البشرية، ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته.

وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: "إن ناسا من أمتي" والذين يهدمونها من كفار الحبشة. وأيضا فمقتضى كلامه أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها). انتهى النقل من فتح الباري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم)**[٣٥٨].

- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم قيل يا رسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)**[٣٥٩].

- عن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول **(ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم)**[٣٦٠].

- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يأتي جيش من قبل المشرق يريدون رجلا من أهل مكة حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم يصيبهم مثل ما أصابهم، فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان مُستكرها؟ قال: يصيبهم كلهم ذلك ثم يبعث الله كل امرئ على نيته)**[٣٦١].

- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **﴿يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون﴾**[٣٦٢]. قال أبو داود: قال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم سبع سنين.

---

[٣٥٨] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.
[٣٥٩] رواه مسلم.
[٣٦٠] رواه مسلم.
[٣٦١] رواه الإمام أحمد.
[٣٦٢] رواه أبو داود والطبراني في الأوسط.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **{يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر فيأتيه عصب العراق وابدال الشام، فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير إليه رجل من قريش أخواله كلب فيهزمهم الله}**[٣٦٣].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(المحروم من حرم غنيمة كلب ولو عقالا والذي نفسي بيده لتباعن نساؤهم على درج دمشق حتى ترد المرأة من كسر بساقها)**[٣٦٤].

- عودة إلى السرد:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (يخرج السفياني والمهدي كفرسي رهان فيغلب السفياني على ما يليه والمهدي على ما يليه)[٣٦٥].

يبعث السفياني إلى المهدي بمكة جيشا، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة، أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول: يا ويح أهل مكة ما أصابهم، فينصرف إلى غنمه، ثم يرجع فلا يرى أحدا، فإذا هم قد خُسف بهم، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة؟!

فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها، وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها فلا يطيقها، فيعرف أنه قد خُسف بهم.

فينطلق إلى صاحب مكة (المهدي) فيبشره فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام[٣٦٦].

يقع الخسف بجيش السفياني فلا ينجو منهم أحدا إلا رجل واحد، يحول الله وجهه إلى قفاه، فيمشي كمشيته كان مستويا بين يديه[٣٦٧].

في هذه الأثناء، تنقطع التجارات والطرق وتكثر الفتن، فيخرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض ما جاء بكم؟

---

[٣٦٣] رواه أبو داود والحاكم وابن حبان بسند صحيح

[٣٦٤] رواه الحاكم بسند صحيح.

[٣٦٥] رواه نعيم بن حماد في الفتن.

[٣٦٦] رواه نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن.

[٣٦٧] رواه نعيم عن أرطأة بإسناد حسن.

فيقولن جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته.

فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له:

أنت فلان بن فلان؟

فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار.

حتى يفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به، فيقال هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة.

فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة، فيطلبونه بمكة.

فيصيبونه فيقولون:

أنت فلان بن فلان وأمك فلانة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك.

فيقول: لست بصاحبكم، أنا فلان بن فلان الأنصاري، مروا بنا أدلكم على صاحبكم حتى يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن فيقولون:

إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من جرم.

فيجلس بين الركن والمقام، فيمد يده فيبايع له، ويلقي الله محبته في صدور الناس، فيسير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل[٣٦٨].

<u>خطبة المهدي في بمكة المكرمة:</u>

يظهر المهدي بمكة عند العشاء[٣٦٩]، ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه، وعلامات ونور وبيان، "فيقول: هذه العلامات التي كنتم تخبرون[٣٧٠]"، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول:

أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئا، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة

---

[٣٦٨] رواه نعيم بن حماد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، بسند ضعيف.
[٣٦٩] رواه نعيم في الفتن عن أبي جعفر.
[٣٧٠] هذه الجملة رواها نعيم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند حسن.

رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعوانا على الهدى، ووزرا على التقوى.

فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته.

مبايعة السفياني للمهدي:

يسمع[٣٧١] المهدي بالخسف، فيخرج من مكة خلف أصحابه، ويمشي في إزار ورداء، معه اثني عشر ألفا، فيهم الأبدال، حتى ينزلوا إيلياء (القدس).

في هذه الأثناء، يسمع أهل الشام بجيش الخسف، فيقولوا للسفياني:

قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك[٣٧٢].

فيقول السفياني: لعمرو الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض، إن هذا لعبرة وبصيرة، فيأتي السفياني بيت المقدس، فيقول: أخرجوا إليّ ابن عمي حتى أكلمه، فيؤدي إليه الطاعة فيبايعه.

السفياني يرجع في بيعته:

ثم يخرج حتى يلقى قبيلة كلب، وهم أخواله، فيعيرونه بما صنع ويقولون:

ما صنعت انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له؟ كساك الله قميصا فخلعته؟

فيقول ما ترون؟ ما أصنع؟ لقد أسلمني الناس؟ أستقيله البيعة؟

فيقولون: نعم، فإنا معك فاستقل ببيعتك.

فيأتي السفياني إلى إيلياء، فيقول: أقلني.

فيقول المهدي: إني غير فاعل.

فيقول: بلى.

فيقول له: أتحب أن أقيلك؟

فيقول: نعم.

---

[٣٧١] رواه نعيم عن محمد بن علي بإسناد ضعيف.

[٣٧٢] رواه نعيم عن علي رضي الله عنه باسناد ضعيف.

فيقيله ثم يقول: هذا رجل خلع طاعتي[٣٧٣].

معركة المهدي مع السفياني:

يقبل المهدي من مكة[٣٧٤]، والسفياني من الكوفة نحو الشام، كأنهما فرسا رهان، فيسبقه السفياني فيقطع بعثا آخر من الشام إلى المهدي، بعد أن خُسف بالبعث الأول.

فيلقون المهدي بأرض الحجاز، فيبايعونه بيعة الهدى، ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز.

فيقيم بها، ويقال له: انفذ.

فيكره الحجاز ويقول: أكتب إلى ابن عمي (في رواية ابن عمتي)، فإن يخلع طاعته فأنا صاحبكم.

فإذا وصل الكتاب إلى السفياني، سلم له وبايع، وسار المهدي حتى ينزل بيت المقدس، فلا يترك المهدي بيد رجل من الشام فترا من الأرض إلا ردها على أهل الذمة، ورد المسلمين جميعا إلى الجهاد.

فيمكث في ذلك ثلاث سنين، ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة، يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي السفياني فيقول:

بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت بايعت عدونا، لتخرجن فلنقاتلن.

فيقول السفياني: فيمن أخرج؟

فيقول: لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك ولا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف.

فيرحل وترحل معه عامر بأسرها، حتى ينزل بيسان، ويوجه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل، (وفي رواية عن الزهري: يخرج المهدي من مكة بعد الخسف في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا عدة أهل بدر)[٣٧٥]، (وفي رواية عن علي رضي الله عنه: يسير بهم في اثني عشر ألفا إن قلوا أو

---

[٣٧٣] هذا الحوار مزجته من ثلاث روايات أخرجها نعيم، منها الحسن ومنها الضعيف.

[٣٧٤] رواه نعيم بسنده إلى أرطأة بسند حسن.

[٣٧٥] رواه نعيم عن الزهري بإسناد حسن.

خمسة عشر ألفا إن كثروا شعارهم أمت أمت، لا يبالون في الله لومة لائم، فتخرج إليهم سبع رايات من الشام، فيهزمهم ويملك)[٣٧٦].

فينزلون على فاثور[٣٧٧] إبراهيم.

فتصف كلب خيلها وإبلها وغنمها، فإذا تشامت الخيلان ولت كلب أدبارها،

(وفي رواية الزهري: فيلتقي هو وصاحب جيش السفياني وأصحاب المهدي يومئذ جنتهم البراذع يعني تراسهم كان يسمى قبل ذلك يوم البراذع ويقال إنه يسمع يومئذ صوت من السماء مناديا ينادي ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي فتكون الدبرة على أصحاب السفياني فيقتتلون لا يبقى منهم إلا الشريد فيهربون إلى السفياني فيخبرونه ويخرج المهدي إلى الشام فيلتقي السفياني المهدي ببيعته ويتسارع الناس إليه من كل وجه وتملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا).

ويُأخذ السفياني، فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا[٣٧٨] القنطرة التي على يمين الوادي على الصفا المعترضة على وجه الأرض، عليها يذبح كما تذبح الشاة[٣٧٩]، فالخائب من خاب يوم كلب حتى تباع الجارية العذراء بثمانية دراهم.

---

[٣٧٦] رواه نعيم بإسناد حسن.

[٣٧٧] ﴿قال ياقوت الحموي: وأهل الشام يتخذون خوانا من رخام يسمونه الفاثور إبراهيم﴾، الفاثور: الطست أو الخوان من رخام أو فضة أو ذهب.

[٣٧٨] هو جبل الطور يقع شرقي مدينة القدس. معجم بلدان فلسطين.

[٣٧٩] في رواية: ﴿يُأتى به أسيرا فيأمر به فيذبح على بلاطة إيلياء عند باب الرحمة﴾، ورواية: ﴿عند باب جيرون﴾.

الخليفة السابع (مهدي آخر الزمان):

والبداية من العلامات التي تسبق ظهوره، وقد مرّ معنا منها علامة الخسف والسفياني، فماهي باقي العلامات؟ وقد سبق التعريف به في المبحث السابق، مما يغني عن الإعادة هنا، وسنتحدث إن شاء الله عن أعماله بعد تسلمه الخلافة.

عن عبد الله بن عمرو قال: (ملاحم الناس خمس قد مضت ثنتان، وثلاث في هذه الأمة: ملحمة الترك، وملحمة الروم، وملحمة الدجال، ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة)[٣٨٠].

وفي رواية: عن عبد الله بن عمرو قال: (الملاحم ثلاث: مضت ثنتان وبقيت واحدة ملحمة الترك بالجزيرة).

والجمع بين الروايتين هيّن، فالحاصل أن المجموع خمس ملاحم، وبقي ثلا، ومن هذه الثلاث ملحمة الترك، وقد خصص في الرواية الثانية أنها في جزيرة العرب، فلا تعارض.

عن حسان بن كريب أنه سمع ابن ذي الكلاع يقول: (كنت عند معاوية فجاءه بريد من أرمينية من صاحبها، فقرأ الكتاب فغضب، ثم دعا كاتبه فقال: اكتب إليه جواب كتابه، تذكر أن الترك أغاروا على طرف أرضك فأصابوا منها، ثم بعثت رجالا في طلبهم فاستنقذوا الذي أصابوا، ثكلتك أمك فلا تعودن لمثلها، ولا تحركنهم بشيء ولا تستنقذ منهم شيئا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إنهم سيلحقونا بمنابت الشيح﴾**.

قتال الترك:

من هم الترك؟

أصل الأتراك يرجع إلى أحد أولاد النبي نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة وهم يافَث وسام وحام والرابع هو كنعان لقد غرق في البحر، والأتراك من يافَث، إلاّ أن الأثار القديمة عندهم قليلة بسبب كونهم أقوام أو قبائل رحّل، وأكثر المعلومات المتعلقة عن تاريخ الأتراك من كتابات السومريين.

وأصل موطن الأتراك من أسيا الوسطى بين الهند والصين وسيبريا، وبين بحر أرال وجبال الألطاي، ثمّ نزحوا إلى بلاد الأناضول والدّول الإسلامية والدّول الأوروبية.

---

[٣٨٠] رواه نعيم بسند ضعيف.

وعندما حبس ذو القرنين قومي يأجوج ومأجوج ترك منهم قبيلة، فسميت بالترك، ومن سلالتهم اليوم: الروس والصين وما حولها مما يسمى بالعرق الأصفر.

أحاديث قتال الترك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **﴿لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة﴾**[٣٨١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

﴿لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قومًا وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر﴾[٣٨٢].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **﴿لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم: حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر﴾**[٣٨٣].

ذكر في الرواية الأولى والثانية أنهم الترك، وفي الرواية الثانية أنهم من خوز وكرمان من الأعاجم، وفي جميع الروايات صفاتهم: حمر الوجوه صغار الأعين يلبسون الشعر.. الخ، وخوز وكرمان من بلاد العجم.

قال الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري:

(خوز: بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاي: قوم من العجم.

وكرمان: بكسر الكاف على المشهور ويقال: بفتحها، والراء ساكنة على كل حال. وتقدم في الرواية التي قبلها: "تقاتلون الترك"، واستشكل؛ لأن خوزا وكرمان ليسا من بلاد الترك: أما خوز فمن بلاد الأهواز، وهي من عراق العجم، وقيل: الخوز صنف من الأعاجم. وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضا، بين خراسان وبحر الهند. ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين. انتهى).

٤- وفي رواية: **﴿بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر، وتقاتلون قومًا صغار الأعين، حمر الوجوه، كأنها المجان المطرقة﴾**[٣٨٤].

---

[٣٨١] رواه الشيخان وأحمد وابن ماجة، واللفظ للبخاري.

[٣٨٢] رواه مسلم وأبو داود والنسائي، واللفظ لمسلم.

[٣٨٣] رواه أحمد والبخاري واللفظ له.

ولفظ البخاري: قال: سمعته يقول (وقال هكذا بيده): ﴿بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر، وهو هذا البارز﴾. وقال سفيان مرة: (وهم أهل البارز)[٣٨٥].

- الجمع بين هذه الروايات:

فالظاهر أنهما قومان، ولكل قوم خرجة، ففي الحديث الأول ﴿حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر (و) حتى تقاتلوا الترك﴾، وفي رواية الإمام أحمد أيضا ﴿قوما نعالهم الشعر وقوما صغار الأعين﴾، ثم في الحديث الثاني ذكر الترك، وفي الحديث الثالث ذكر العجم.

إذاً هما خرجتان لقومين غير مختلفين في الأوصاف، ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء القومان هما غير ما حدث من المغول في القرن السابع الهجري، حتى أن الإمام ابن حجر رحمه الله – وهو الذي كان زمنه بعد المغول بحوالي قرنين من الزمان – لم يذكر أن المغول هم أحد هاتين الخرجتين، والظاهر لأنهما في آخر الزمان، وأيضاً لأن المغول لم يصلوا إلى الجزيرة العربية، والله أعلم.

ويبقى هناك احتمال آخر، وهو أنه ستُقسّم بلاد فارس إلى دولتين، دولة يُقيمها الأكراد – مثلا – في آخر الزمان، فيضمون إليهم خوزاً وكرمان، بدليل أنهم يسوقون أهل خراسان وسجستان إلى العراق سوقا عنيفا، مع أنها أيضا بلاد عجم لا تُرك، فيكون الجيش المقاتِل خليط من القبائل ذات العرق التركي، ومعهم بعض الأعاجم في جيشهم، وله قيادة تعادي الإسلام والمسلمين، وهم يحملون نفس الصفات المذكورة في الروايات ﴿**نعالهم الشعر صغار الأعين حمر الوجوه فطس الأنوف**﴾.

والدولة الثانية تكون لليهود في أصفهان، بدليل أن اليهود سيخرجون في آخر الزمان – أي بعد هذه المرحلة بزمن قريب – سيخرجون مع الدجال، قال ﷺ: ﴿**يخرج الدجال من يهودية أصبهان يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم التيجان**﴾[٣٨٦]. والله أعلم.

---

[٣٨٤] رواه الإمام أحمد.

[٣٨٥] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقع ضبط الأولى بفتح الراء بعدها زاي، وفي الثانية بتقديم الزاي على الراء، والمعروف الأول، ووقع عند ابن السكن وعبدوس بكسر الزاي وتقديمها على الراء، وبه جزم الأصيلي وابن السكن، ومنهم من ضبطه بكسر الراء.
قال القابسي: معناه البارزين لقتال أهل الإسلام، أي: الظاهرين في براز من الأرض. ويقال: معناه القوم الذين يقاتلون، تقول العرب: هذا البارز: إذا أشارت إلى شيء ضار.
وقال ابن كثير: قول سفيان المشهور في الرواية من تقديم الراء على الزاي، وعكسه تصحيف، كأنه اشتبه على الراوي، من البارز، وهو السوق بلغتهم.

[٣٨٦] رواه أحمد وصححه ابن حجر.

الخلاصة: أنه سيكون عدوٌّ من تجمّع قبائل العرق التركي، أو من إحداها، يكون لهم دولة تضم أجزاء من بلاد الأهواز والعجم، وتحتل بعضاً من البلاد العربية أيضاً، يكون لها امتداداً وأطماعاً في أرض العرب.

هذه الدولة سيكون لها مع العرب صولات وجولات ومعارك، حتى يُنهي دولتهم المهدي، حتى لا يقال ترك، كما انتهت دولة الفرس قبلهم.

عن أرطأة: (يقاتل السفياني الترك، ثم يكون استئصالهم على يدي المهدي، وهو أول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك)[٣٨٧].

وعن مكحول أرسله إلى النبي ﷺ: **﴿للترك خرجتان: خرجة يخربون أذربيجان، والثانية يربطون خيولهم بالفرات، لا ترك بعدها﴾**[٣٨٨].

فما هي تحركات هذه الدولة الجديدة؟

تذكر الروايات دخول الترك إلى بعض بلاد العرب، فهي تصل إلى جزيرة العرب في نجد والحجاز، ويدخلون أرض العراق، ويدخلون الجزيرة الشامية، تبدأ معاركهم مع العرب قبل فتح بيت المقدس، ثم تستمر في زمن الخليفة الأول – كما مرّ معنا – ثم في زمن الخليفة الثاني، ويقاتلهم السفياني أيضا في عدة معارك، حتى يكون إنهاء دولتهم على يدي المهدي بإذن الله ﷻ. وتفصيل ذلك:

١- الترك في جزيرة العرب:

عن عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **﴿يوشك خيل الترك مُخرّمة الآذان أن تُربط بسَعَف نخل نجد﴾**[٣٨٩].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، فسمعت النبي ﷺ يقول: **﴿إن أمتي يسوقها قوم عراض الأوجه، صغار الأعين، كأن وجوههم الحجف -ثلاث مرات-، حتى يلحقوهم بجزيرة العرب:**

أما السياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما الثانية فيهلك بعض وينجو بعض، وأما الثالثة؛ فيصطلمون كلهم من بقي منهم. قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال:

---
[٣٨٧] رواه نعيم بإسناد حسن إلى أرطأة.
[٣٨٨] رواه نعيم وهو ضعيف ومرسل.
[٣٨٩] رواه ابن قانع، والهندي في كنز العمال.

الترك، قال: أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين﴾[٣٩٠].

قال: وكان بُريدة ﷺ لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء الترك.

٢- الترك في أرض العراق:

عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: **﴿يوشك أن لا تأخذوا من الكوفة نقدا ولا درهما، قيل: وكيف؟ قال: يجيء قوم كأن وجوههم المجان المطرقة، حتى يربطوا خيولهم على السواد، فيجلوكم إلى منابت الشيح، حتى إن البعير والزاد أحب إلى أحدكم من القصر من قصوركم هذه﴾**[٣٩١].

وعن معاوية ﷺ قال: **﴿اتركوا الرابضة ما تركوكم فإنهم سيخرجون حتى ينتهوا إلى الفرات فيشرب منه أولهم ويجيء آخرهم فيقول: قد كان هاهنا ماء﴾.**

عن سلامة بن مليح الضبي، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: (أتيناه فقال: أممن أنتم؟ فقلنا: من أهل العراق. قال: والله الذي لا إله إلا هو ليسوقنكم بنو قنطورا من خراسان وسجستان[٣٩٢] سوقا عنيفا، حتى ينزلوا بالأبلة[٣٩٣]، فلا يدعوا بها نخلة إلا ربطوا بها فرسا، ثم يبعثون إلى أهل البصرة، إما أن تخرجوا من بلادنا، وإما ان ننزل عليكم، قال: فيفترقون ثلاث فرق: فرقة تلحق بالكوفة، وفرقة بالحجاز، وفرقة بأرض العرب البادية. ثم يدخلون البصرة فيقيمون بها سنة، ثم يبعثون الى الكوفة: إما أن ترتحلوا عن بلادنا واما ان ننزل عليكم، فيفترقون ثلاث فرق:

---

[٣٩٠] رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

[٣٩١] رواه ابن أبي شيبة في مصن*فه*.

[٣٩٢] خراسان وسجستان:

سيستان: وكانت تسمى في القرون الإسلامية الاولى "سجستان"، هي منطقة تاريخية تقع في شرق إيران ويقع قسم منها في جنوب أفغانستان حيث كانت الأخيرة في أغلب العصور جزءا من الإمبراطورية الفارسية.

أما خراسان:

خراسان الكبرى منطقة جغرافية واسعة. من الناحية التاريخية: يشمل إقليم "خراسان الإسلامي" شمال غرب أفغانستان ﴿مثل مدينة حيرات﴾ وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الحالية في إيران. من مدنه التاريخية: حيرات ونيسابور وطوس ﴿تعرف باسم مشهد اليوم﴾ وبلخ ومرو. وكان إقليم خراسان الساساني أصغر حجماً من خراسان الإسلامية. فقد كان يمتد من شرق لوكانيا ﴿جرجان﴾ حتى نهر المرغاب.

[٣٩٣] الأبلة بضم الهمزة والباء واللام المشددة، مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ونهرها الذي يقع في شمالها، وجانبها الآخر على غربي دجلة.

فرقة تلحق بالشام، وفرقة بالحجاز، وفرقة بالبادية أرض العرب، وتبقى العراق لا يجد أحد فيها قفيزا ولا درهما. قال: وذلك إذا كانت إمارة الصبيان فوالله ليوكنن، رددها ثلاث مرات)[394].

وعن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: **﴿أرض يقال لها البصرة أو البصيرة يأتيهم بنو قنطورا حتى ينزلوا بنهر يقال له دجلة ذي نخل فيتفرق الناس فيه ثلاث:**

فرق فرقة تلحق بأصلها فهلكوا، وفرقة تأخذ على أنفسها فكفروا، وفرقة تجعل عيالاتها خلف ظهورها فيقاتلونهم فيفتح الله على بقيتهم﴾[395].

وعن سليمان بن ربيعة من نساك أهل البصرة قال أتينا عبد الله بن عمر فسمعته يقول: (يوشك بني قنطورا[396] يسوقوا أهل خراسان وأهل سجستان سوقا عنيفا حتى يربطوا دوابهم بنخل الأبلة، فيبعثون إلى أهل البصرة أن خلوا لنا أرضكم أو تنزل بكم، فيفترقون على ثلاث فرق: فرقة تلحق بالعرب وفرقة بالشام وفرقة بعدوها وأمارة ذلك إذا طبقت الأرض أمارة السفهاء)[397].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أعينهم كالودع ووجوههم كالجحف، لهم وقعة بين الدجلة والفرات، ووقعة بمرج حمار، ووقعة بدجلة، حتى يكون الجواز أول النهار بمائة دينار للعبور إلى الشام، ثم يزيد آخر النهار)[398].

سير الأحداث:

يسوق الترك جيوشهم وفيها بعض العجم، يخرجون من خراسان، ينزلوا في الأبلة فيربطون خيولهم فيها، ثم يدخلون البصرة فيصنعون كما صنعوا، ثم يدخلون الكوفة فيصنعون ما صنعوا.

كل ذلك يهددون أهل هذه المدن ويطردونهم، فيكون الهرب على الشكل التالي:

انقسام أهل العراق إلى ثلاث فرق:

---

[394] رواه نعيم بإسناد صحيح.

[395] رواه نعيم بإسناد حسن.

[396] بنو قنطوراء: اسم أبي الترك، وقيل اسم جارية كانت للخليل عليه الصلاة والسلام ولدت له أولادا جاء من نسلهم الترك وفيه نظر، فإن الترك من أولاد يافث بن نوح وهو قبل الخليل بكثير، كذا ذكره بعضهم، ويمكن دفعه بأن الجارية كانت من أولاد يافث: أو المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من بنات أولاده وقد تزوجها واحد من أولاد يافث فأتت بأبي هذا الجيل فيرتفع الإشكال.

[397] رواه نعيم بإسناد ضعيف.

[398] رواه نعيم بإسناد ضعيف.

فرقة تلحق بأصلها بجزيرة العرب، منابت الشيح والقيصوم[٣٩٩] فيهلكون، وفرقة بالشام يجعلون عيالهم خلف ظهورهم فيهرب بعضهم ويقاتل بعضهم، وفرقة بعدوّها وقد كفروا.

مصير هذه الفرق الثلاثة:

الأولى: الهلاك، بسبب انهم اختاروا المكان الخطأ، وهو الجزيرة العربية وذلك لأن العدو سيلحق بهم.

الثانية: كفروا، لأنهم خانوا المسلمين فالتحقوا بالعدو وحالفوهم.

الثالثة: هم خير الفرق ويفتح الله على آخرهم، أما من يخرج منهم بعياله وأهله فيكون الجواز اول النهار بمائة دينار للعبور إلى الشام ثم يزيد أخر النهار. وأما من جاهد منهم فسيكون لهم ثلاث وقعات ضد الترك:

وقعة بين الدجلة والفرات، ووقعة بمرج حمار، ووقعة بدجلة، ويكون هذا في زمن المهدي كما سيأتي قريبا.

<u>النتائج:</u>

١- البشارة:

قال ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: (قال لي عبد الله بن عمرو بن العاص: أوشك بنو قنطورا أن يخرجوكم من أرض العراق. قال قلت: ثم نعود؟ قال: أنت تشتهي ذلك؟ قلت: أجل. قال: نعم، ويكون لهم بها سلوة من عيش)[٤٠٠].

٢- النصر الرباني:

- عن كعب: ﴿قال ليردن الترك الجزيرة حتى يسقوا خيلهم من الفرات فيبعث الله عليهم الطاعون فيقتلهم فلا يفلت منهم إلا رجل واحد﴾.

- عن كعب قال: (تنزل الترك آمد[٤٠١]، وتشرب من الدجلة والفرات ويسعون في الجزيرة، وأهل الإسلام من الحيرة لا يستطيعون لهم شيئا، فيبعث الله عليهم ثلجا بغير كيل فيه صر من ريح شديدة وجليد، فإذا هم خامدون، فإذا أقاموا أياما، قام أمير أهل الإسلام في الناس فيقول: يا أهل الإسلام ألا قوم يهبون أنفسهم لله

---

[٣٩٩] نباتات تخرج في جزيرة العرب.

[٤٠٠] رواه نعيم بإسناد جيد.

[٤٠١] مدينة على دجلة، أغلب سكانها من الأكراد، تعرف اليوم بديار بكر.

فينظروا ما فعل القوم، فينتدب عشرة فوارس فيجيزون إليهم فإذا هم خامدون، فيرجعون فيقولون: إن الله قد اهلكهم وكفاكم هلكوا من عند آخرهم)[٤٠٢].

إذاً يحتل الترك بعضاً من بلاد العرب، فيُهلك الله ﷻ مَن بالعراق منهم بالثلج والجليد والأمراض.

وفي هذه الأثناء، يكون أيضا الروم يحتلون بعض المدن في بلاد العرب، ولكن خطر الترك أشد وأكبر، لأنهم الأقوى والأكثر احتلالا.

العدو كثير العدد، والمسلمون قلّة، والأعداء من غير الترك والروم في البلاد، فلابد من عقد صلحا مع أحد المحتلين للانقضاض على الآخر، ثم القضاء على الثاني، فتكون الهدنة مع الروم.

إذاً، لابد من عقد صلح وهدنة مع الروم، حتى يتأتّى للمسلمين أن يُجيّشوا للعدو المحتل، فيعقد المهدي صلحا آمنا مع الروم، على أن يغزوا جميعا الجيش القادم من بلاد الترك والعجم.

لنتعرف أولا على وضع الروم في بلاد العرب قبل الهدنة:

الروم في بلاد العرب:

قلنا إنه في الوقت نفسه يكون للترك والروم تواجدا احتلاليا في بلاد العرب، وقرأنا عن تواجد الترك، فأين يتواجد الروم؟

عن ابن محيريز قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنما فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس، بعد الروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلفهم قرن مكانه أصحاب صخر وبحر هيهات هيهات إلى آخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير)**[٤٠٣].

ملك الروم الهرقلي:

عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الملاحم على يدي الخامس من آل هرقل)**[٤٠٤].

---

[٤٠٢] رواه نعيم بإسناد ضعيف.

[٤٠٣] رواه نعيم، بإسناد مرسل.

[٤٠٤] رواه الطبراني، في الأوسط ومسند الشاميين. حدثنا الوليد، نا سليمان بن عبد الرحمن، نا محمد بن عبد الرحمن القشيري، ثنا أرطاة بن المنذر، عن أبي البكرات، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: الملاحم على يدي الخامس من آل هرقل، لا يروى هذا الحديث عن أبي موسى إلا بهذا الإسناد، تفرد به أرطاة بن المنذر.

وعن المهاجر بن حبيب، أن رسول الله ﷺ قال: **(الخامس من آل هرقل الذي يكون على يديه الملاحم، وقد تملّك هرقل ثم ابنه من بعده قسطة بن هرقل، ثم ابنه قسطنطين بن قسطة، ثم ابنه اصطفان بن قسطنطين، ثم خرج ملك الروم من آل هرقل إلى ليون، وولده من بعده، وسيعود الملك من الخامس من آل هرقل الذي تكون على يديه الملاحم)**[٤٠٥].

يملك الروم ملك لا يعصونه، أو لا يكاد يعصونه، فيسير بهم حتى ينزل أرض كذا وكذا أياما[٤٠٦]، ينشأ[٤٠٧] هذا الملك في الروم غلاما، يشب في السنة شباب الغلام في في عشر سنين، فيكون بأرض الروم، تُملّكه الروم في أنفسها، فيقول:

حتى متى وقد غلبنا هؤلاء على مكان من أرضنا، لأخرجن فلأقاتلنهم حتى أغلبهم على ما غلبوا، أو يغلبوني على ما بقي تحت قدمي.

فيخرج في سبعة آلاف سفينة، حتى يكون بين عكا والعريش، ثم يضرم النار في سفنه، فيخرج أهل مصر من مصر وأهل الشام من الشام حتى يصيروا إلى جزيرة العرب.

فذلك اليوم الذي كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول:

"ويل للعرب من شر قد أقترب".

لَلحبل والقتب يومئذ أحبّ إلى الرجل من أهله وماله، فتستعين العرب بأعرابها، ثم يسيرون حتى يبلغوا أعماق أنطاكية، فتكون أعظم الملاحم ثم حتى تخوض الخيل إلى ثنتها، ويرفع الله النصر عن كلٍ حتى تقول الملائكة:

يا رب ألا تنصر عبادك المؤمنين؟

فيقول: حتى يكثر شهداؤهم.

فيقتل ثلث، ويرجع ثلث، ويصبر ثلث، فيخسف الله بالثلث الذي رجع.

قادة جيش المسلمين:

وكما يكون للروم ملك لا يعصونه، فإنه يكون لخليفة المسلمين المهدي أيضا قادة لا يعصونه، ويأتمرون بأمره. ومن هؤلاء القادة:

---

[٤٠٥] رواه نعيم بن حماد بإسناد مرسل.
[٤٠٦] رواه نعيم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بإسناد حسن.
[٤٠٧] رواه نعيم بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بإسناد حسن.

١- جيش الموالي من دمشق: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿**إذا وقعت الملاحم خرج بعث من دمشق من الموالي هم أكرم العرب فرسا وأجوده سلاحا يؤيد الله بهم الدين**﴾[٤٠٨].

٢- القحطاني اليماني:

عن كعب قال: (على يدي ذلك اليماني تكون ملحمة عكا الصغرى وذلك إذا ملك الخامس من أهل هرقل).

معارك الروم والعرب:

عن مكحول قال: (ليمخرن الروم الشام أربعين صباحا لا تمتنع منها إلا دمشق وأعالي البلقاء)[٤٠٩].

وعن عبد الرحمن بن سليمان قال: (يغلب ملك من ملوك الروم على الشام كله إلا دمشق وعمان ثم ينهزم وتبنى قيسارية[٤١٠] أرض الروم فتصير جند من أجناد أهل الشام)[٤١١].

معركة عكا مع الروم:

تنزل[٤١٢] الروم بسهل عكا، وتغلب على فلسطين وبطن الأردن وبيت المقدس، ولا يجيزون عقبة أفيق[٤١٣] أربعين يوما.

ثم يسير إليهم المهدي فيحوزونهم إلى مرج عكا، فيقتتلون بها حتى يبلغ الدم ثنن الخيل، فيهزمهم الله ويقتلونهم، إلا عصبة يسيرون إلى جبل لبنان ثم إلى جبل بأرض الروم.

يكون[٤١٤] المهدي في بيت المقدس فيبعث إلى مصر وأهل العراق يستمدهم ولا يمدونه، ويمر بريده بمدينة حمص، فيجد عجمها قد أغلقوا على من فيها من ذراري المسلمين.

[٤٠٨] رواه ابن ماجة ونعيم والحاكم وقال صحيح وقال الذهبي على شرط مسلم.
[٤٠٩] رواه أبو داود ونعيم في الفتن بإسناد حسن.
[٤١٠] اسم مدينة في تركيا اليوم، ومدينة في فلسطين.
[٤١١] رواه أبو داود، ونعيم في الفتن باسناد فيه ضعف، وفيه: ﴿ثم تظهر نار من عدن أبين﴾ وهو بركان عدن.
[٤١٢] رواه نعيم عن حسان بن عطية بسند حسن.
[٤١٣] ﴿عقبة أفيق﴾ وهي قرية من الجولان في طريق الغور، والعامة تقول: ﴿فيق﴾
[٤١٤] رواه نعيم عن كعب بإسناد منقطع.

فيعظمه ذلك فيسير بمن حضره من المسلمين حتى يلقاه الروم بسهلة عكا، فيقاتلهم فيهزمهم الله، ويطلبهم المسلمون حتى يلحقونهم ببلادهم ويسير إلى حمص فيفتحها الله على يديه.

ثم يبعث[٤١٥] الروم يسألون المسلمين الصلح، فيصالحونهم الصلح الآمن، على أن يكون عشر سنين، فيومئذ تقطع المرأة الدرب إلى الشام آمنة، وتبنى مدينة قيسارية التي بأرض الروم.

فعن يونس بن سيف[٤١٦] الخولاني قال: (تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم / الترك وكرمان / فيفتح الله لكم، فتقول الروم: غلب الصليب، فيغضب المسلمون، فينحازون وتنحازون، فتقتتلون قتالا شديدا عند مرج ذي تلول، ثم يفتح الله لكم عليهم، ثم تكون الملاحم بعد ذلك)[٤١٧].

وفي ذلك الصلح، تعرك الكوفة عرك الأديم، حيث نزول جيوش الترك والعجم فيها[٤١٨]، وهو أول لواء يعقده المهدي، فيطلب العرب من الروم المدد العسكري عليهم، فيمدونهم، فينتصر المسلمون، ثم يبعث المسلمون جيشا يكون بالقسطنطينية غوثا للروم ضد الجيوش الترك والعجم، فينصرهم الله عليهم ويهزمونهم ويقتلونهم.

فيقول قائل النصارى: بصليبنا غلبتم فأعطونا حظنا من الغنيمة والنساء والذرية.

ويقول قائل المسلمون: الله غلب. فيأبى المسلمون أن يعطوهم أحدا من هؤلاء الأسرى من النساء والذرية، وتقول الروم: لا نزال نقاتلكم حتى تخرجوا إلينا كل بضعة فيكم من غيركم.

فتخرج العجم فتقول: معاذ الله أن نخرج إلى الكفر بعد الإسلام.

فذلك حين يغضب الله عز وجل فيضرب بسيفه ويطعن برمحه فلا يبقى منهم مخبر إلا قتل.

فيقتتلون، ثم ينصرفون فيجتمعون للملحمة.

---

[٤١٥] رواه نعيم عن تبيع.

[٤١٦] يونس بن سيف: العنسي الكلاعي الحمصي، ت١٢٠ هجري، وثقه الدارقطني وابن حبان والذهبي وغيرهم، روى عن ابن المسيب وغيره.

[٤١٧] رواه نعيم بإسناد جيد إلى يونس الخولاني.

[٤١٨] عن أرطاة قال: ﴿أول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك، فيهزمهم ويأخذ ما معهم من السبي والأموال ثم يسير إلى الشام فيفتحها ثم يعتق كل مملوك معه وأعطى أصحابه قيمهم﴾.

غدر الروم:

وبعد مضي سنتين من الصلح مع الروم، (يغدرون[٤١٩] في الثالثة، أو في الخامسة، فينزل جيشا من المسلمين بمرج ذي تلول.

فيقول قائل المسلمون: الله غلب.

ويقول قائل الروم: الصليب غلب.

فيتداولونها، فيغضب المسلمون، وصليبهم منهم غير بعيد، فيثور ذلك المسلم إلى صليبهم فيدقه، ويبرزون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه.

فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم، ويثور الروم إلى أسلحتهم، فيقتلون تلك العصابة من المسلمين، يستشهدون، فيأتون ملكهم فيقولون:

قد كفيناك حد العرب وبأسهم فماذا ننتظر؟ فيجمع الروم حمل امرأة ثم يأتون تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا)[٤٢٠].

ثم يجع المسلمون للروم، ويجمع الروم للمسلمين تسعة أشهر[٤٢١].

فتح القسطنطينية:

يستجيش العرب والروم تسعة أشهر يحضّرون للملحمة الكبرى، التي يفتحون فيها القسطنطينية، حيث رفض المسلمون تسليم من معهم من الأسرى من المسلمين ممن كانوا في جيش الترك والعجم، ممن خرجوا معهم مضطرين للقتال، فيكون ما يكون من غدر الروم لهم، فيكون فسطاط المسلمين يومئذ في دمشق، والروم في القسطنطينية (إسطنبول).

عن أبي هريرة ﵁: (لا تذهب الليالي والأيام حتى يغزو العادي رومية، فيفعل إلى القسطنطينية، فيرى أن قد فعل، ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان)[٤٢٢].

---

[٤١٩] رواه المام الطبراني في المعجم الكبير، والامام مسلم وغيرهم.

[٤٢٠] روى الامام البخاري: ﴿ثمَّ فتنةٌ لا يَبْقَى بيتٌ من العربِ إلاَّ دخلَته، ثمَّ هُدْنة تكونُ بينكم وبين بني الأصفرِ، فيَغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلِّ غايةٍ اثنا عشرَ ألفًا﴾.

[٤٢١] روى الامام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أشار بيده ﴿ونحَّاها نحو الشَّامِ﴾، فقال : عدوٌّ يَجمعون لأهل الإسلامِ ويجمع لهم أهلُ الإسلامِ﴾.

[٤٢٢] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

مرحلة الفسطاطين:

عن أبي الدَّرداء ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ﴿**فُسطاطُ المسلِمين يوم المَلْحمَةِ الكُبرى بأرضٍ يُقال لها: الغُوطَة، فيها مَدينةٌ يُقال لها: دِمشق، خير منازِلِ المسلِمين يومَئِذٍ**﴾[٤٢٣].

وعن عمير بن هانئ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا صار الناس في فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا هما اجتمعا فأبصرك الدجال اليوم أو غد**﴾[٤٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم:**

خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون:

لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم.

فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته﴾[٤٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

﴿**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ـ قال ثور: لا أعلمه إلا قال ـ الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله، والله**

[٤٢٣] رواه أبو داود والطبراني والبزار وغيرهم.

[٤٢٤] رواه نعيم في الفتن بإسناد فيه ضعف بسبب عنعنة الوليد بن مسلم فيه.

[٤٢٥] رواه مسلم.

أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون﴾[٤٢٦].

عن أبي ثعلبة الخشني، صاحب رسول الله ﷺ ورضي الله عنه قال: **﴿إذا رأيت الشام مأدبة، أو مائدة، رجل وأهل بيته، فعند ذلك فتح القسطنطينية﴾**[٤٢٧]. وأظن ابن وهب قال: مائدة.

<u>ترتيب فتح المدن:</u>

﴿مدينة نيقية ثم القسطنطينية ثم روما﴾.

قال كعب الأحبار: (تفتح عمورية قبل نيقيه، ونيقية قبل القسطنطينية، والقسطنطينية قبل رومية).

عن أبي قبيل سمع عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول: (كنا عند رسول الله ﷺ فسئل: أي المدينتين تفتح أول؟ روميه أو قسطنطينية؟ قال النبي ﷺ: ﴿مدينة ابن هرقل أول هي القسطنطينية).

<u>ظهور الدجال:</u>

بعد فتح القسطنطينية يسمع المسلمون صوتا أن الدجال خرج في أهلهم، فيعجّلون في العودة، فيكتشفون أنه كذب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿... فيفتتحون قسطنطينية. فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال: يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته﴾[٤٢٨].

---

[٤٢٦] رواه مسلم.
[٤٢٧] رواه نعيم بإسناد حسن.
[٤٢٨] رواه مسلم.

الخاتمة

الحاجة إلى هذا الكتاب:

في البداية أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به المسلمين، فإن انتفع به مسلمٌ واحدٌ فقد حقّق هذا الكتاب هدفاً من أهدافه.

كما أن هذا الكتاب فيه دعوة عملية للإعداد والعمل، لما بعد فتح بيت المقدس، حيث مدة رجاء الأمة، وبالتالي المبادرة إلى التفكر والتحضير لمواجهة الفتن القادمة كما علمنا رسول الله ﷺ، عندما سُئل: متى الساعة؟ فقال: ماذا أعددت لها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد)، وهذه الفتن كائنة لا محال، وليس بيد أحد من الناس دفعها، فهي قَدَراً مقدوراً، ولكنها النجاة النجاة، خاصةً بعد أن قرأنا عن أنواع العلماء والدجالين، فهي دعوة لكل مسلم لرفع راية العلم، العلم الذي ينجينا من الزلل في الفتن، بالاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا كما فهمه شذّاذ الآفاق والمتنطعون، بل كما رضيه الله تعالى لخلقه وكما بيّنه رسوله ﷺ للناس.

لذا حرصت على تقديم العِلم للعِلم، أي كمادة علمية بعيدة عن الأهواء والإسقاطات (التجارية)، ولهذا أكثرتُ من النصوص حتى تكون بين يدي القارئ، فيُعمل فيها عقله.

وقد تعمّدتُ ألّا أستشهد بنصوصٍ من كُتب أهل الكتاب الموجودة بين أيديهم اليوم، مع أني استشهدت بما رواه مَسلمة أهل الكتاب في القرون الثلاثة الأولى، ككعب الأحبار رحمه الله، وذلك لأن ما قالوه قديماً هو بعكس ما في كتبهم اليوم، وذلك لأن التحريف والتغيير لايزال مستمراً عندهم، بدليل قوله تعالى:

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦).

فاستعمل فعل (يُحرّفون) بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم بالتغيير والتبديل في كل زمان، بما يوافق مصالحهم ومخططاتهم التي يعملون لأجلها.

لذا أنصح إخواني من الباحثين في علم الملاحم والفتن، ألّا يأخذوا بها، بعد أن رأيت من تولّع بها ظاناً نفسه أنه على صواب.

كما أنصح الباحثين ألا يتعجلوا الإسقاط، فيخدمون بذلك أعداء الإسلام بغير علم وتدقيق في تناول النصوص، مما يوهم الناس ويُثبطهم، ويساعد على نشر معتقدات فاسدة من حيث لا يدرون.

أخي القارئ:

أعتذر عن تقصيري وعدم توسعي في بعض المسائل، وعن إغفالي لذِكر بعض النصوص، كل ذلك مخافة الإطالة وإدخال السآمة والملل على القارئ، وفيما ذكرت خيراً كثير.

أخي القارئ:

هذا جهد المقلّ، قدمت فيه من المواضيع ما رأيتُ أنه يخدم فكرة قيام الخلافة المقدسية في آخر الزمان، فإن أصبتُ، فهذا فضل من الله تعالى، وإن أخطأت فلا أدّعي العصمة، فالعلم بحرٌ واسعٌ، لم يبلغ شواطئه أحدٌ من البشر اليوم، ولكن لابد من قَدَرٍ كافٍ يتعلمه المسلم لينجو من المهالك والفتن، أعتقد أنني قاربت هذا القدر، ولا أدّعي الوصول إليه، ولكنه القدر المستطاع، إعذاراً إلى الله تعالى.

إن ترتيب الفتن ليس بالأمر الهيّن، ويحتاج إلى جمع النصوص والتثبت منها، ثم فهمها على مُرادها، وحيث أن فيها ما هو قطعي الدلالة، وما هو ظني الدلالة، فلا يستطيع أحد الادعاء بقطعية المُراد منها، لذا يجب عدم الجزم المطلق بالمراد من الظني الدلالة إلا بما توافق مع القطعي الواضح الذي لا يحتمل الظن، وهو متوفّر بحمد الله وفضله علينا.

وأخيراً..

أسأل الله العلي القدير بأسمائه الحسنى، أن يكتب القبول لهذا الكتاب، وأن تتم الفائدة منه لكل مسلم، إنه القادر على ذلك وهو أكرم مسؤول.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- كتب التفاسير:

تفسير الإمام الطبري، تفسير القرطبي، تفسير البغوي، تفسير ابن كثير، التحرير والتنوير لابن عاشور، تفسير الشيخ الشعراوي، رحمهم الله تعالى.

٣- كتب علوم القرآن:

أحكام القرآن للابن العربي، الانتصار للقرآن للباقلاني.

المعاجم:

لسان العرب، معجم المعاني الجامع، تهذيب اللغة للأزهري، تاج العروس.

٤- كتب الأحاديث:

صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبو داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجة، سنن الترمذي، مسند الإمام أحمد، صحيح ابن حبان، صحيح ابن خزيمة، سنن البيهقي ودلائل النبوة له، المستدرك للحاكم النيسابوري، معاجم الطبراني الثلاث، سنن الدارمي، الحلية لأبي نعيم الأصبهاني ودلائل النبوة له، مسند البزار، مسند أبو يعلى، مصنف عبد الرزاق، مصنف ابن ابي شيبة، كنز العمال للهندي، مجمع الزوائد للهيثمي، مسند ابن راهوية، مسند ابن وضاح، مسند ابن مرداويه، مسند عبد الحميد، الزهد لعبد الله بن أحمد بن حنبل، الآحاد والمثاني لابن أبي بكر الشياني، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ لابن الربيع الشيباني.

٥- كتب شروح الأحاديث:

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، قوت المغتذي على جامع الترمذي للإمام السيوطي، عون المعبود شرح أبو داود للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم للقرطبي، الآداب الشرعية والمنح المرعية لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، جامع بيان العلم وفضائله لابن عبد البر، مرقاة المصابيح لعلي القاري، أنموذج اللبيب في فضائل الحبيب للسيوطي.

٦- كتب السير والتراجم والتاريخ:

البداية والنهاية لابن كثير، سيرة ابن هشام، تاريخ الطبري، النهاية لابن الاثير، تاريخ دمشق لابن عساكر، سير أعلام النبلاء للذهبي، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني، الطبقات الكبرى لابن سعد، تاريخ البخاري، المسالك والممالك لعبيد الله ابن خردابذة في الجغرافية، الكامل في الضعفاء لابن عدي الجرجاني، أخبار الأذكياء لابن الجوزي، مناقب الشافعي للسجستاني، الزهرة العطرة في حديث العترة لأبو المنذر سامي بن أنور المصري.

٧- كتب السياسة الشرعية:

الأحكام السلطانية للماوردي، غياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني تحقيق د. مصطفى حلمي ود. فؤاد عبد المنعم، مقدمة ابن خلدون.

٨- كتب في أشراط الساعة:

الفتن لنعيم بن حماد، بتحقيقين: (مجدي الشورى، وأيمن عرفة)، سنن الفتن لأبي عمرو الداني بتحقيقين: (نضال العبوشي، ود. رضا الله بن محمد المباركفوري)، التذكرة للقرطبي، العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي، النهاية لابن كثير، الفتن لحنبل بن إسحاق، الأسس والمنطلقات للشيخ أبا بكر ابن علي المشهور.

٩- معاصرون استفدت منهم:

كتب ومقالات ودروس للعلماء الأفاضل:

الشيخ الشعراوي رحمه الله، الدكتور أحمد نوفل، الشيخ بسام جرار، الشيخ أبوبكر العدني.

الفهرس